

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربيّ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل: DL /01 /19

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم

تخصص: لسانيات عامّة

شعبة: دراسات لغويّة

تمظهرات الخطاب اللسانيّ المغاربيّ في كتابات مصطفى
غلفان وعبد السلام المسدي وصالح بلعيد

تاريخ المناقشة : /..... /.....

إعداد الطّالب: تهامي بلعقون

أمام لجنة المناقشة المكوّنة من السّادة:

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة	الصفة
1				رئيسا
2	مراد قفي	أستاذ محاضر -أ-	جامعة مسيلة	مشرفا و مقررا
3				ممتحنا
4				ممتحنا
5				ممتحنا
6				ممتحنا

السنة الجامعية: 2024/2023.

الإهداء:

إلى من ربّاني صغيرا واحترقا ليضيئا دربي والذي الكريمين - حفصهما الله -

إلى عمّتي الكريمتين أكل الله أعمارهما

إلى رفيقة الدرب وقرّة العين زوجتي الكريمة عرفانا وامتنانا

إلى فلذة كبدي وقلبي الصّغير تميم وآدم - حفصهما الله -

إلى إخوتي الكرام خالد عمر وعماد حبا وتقدير

إلى أخواتي الكريمات إجلالا واحتراما وإلى كلّ أبنائهم وبناتهم

إلى كلّ من عرفت ومن لم أعرف.

أهدي ثمرة جهدي، وأسأل الله البركة.

تهامي

مَقْدِمَةٌ

تستند النظريّات والأبحاث في بنائها إلى معايير وأسس واضحة، تنال من خلالها سمة العلميّة، وتُعدّ هذه الخاصيّة مسألة جديّة في النظريات والعلوم التجريبيّة والإنسانيّة، حيث تنشُد معظم الدّراسات أن تكون علميّة، فبعد أن كانت مسألة العلميّة حكرًا على العلوم التجريبيّة قبل القرن العشرين؛ تغيّر الحال في القرن الواحد والعشرين، إذ إنّ الدّراسات الإنسانيّة بدورها جعلت العلميّة هدفًا تصبو إليه، ومن الدّراسات التي حجزت لنفسها مكانًا في مصاف العلوم؛ علم اللّسانيّات الحديث، فلقد أصبح هذا العلم جسرا تعبره العلوم إن هي أرادت لنفسها الدقّة والموضوعيّة وسلامة الطّرح والمنهج.

لقد ثارت اللّسانيّات الحديثة ضدّ كلّ الممارسات اللّغويّة القديمة التي لم تضاف للبحث اللّغويّ الكثير، فمارست قطيعة مثمرة أدّت إلى تطوّر الأبحاث اللّغويّة، وقد قاد هذه الحركيّة العلميّة التجديديّة، جمّ كبير من اللّسانيين يتقدّمهم اللّسانيّ (دي سوسير)، هذا الأخير الذي أحدث طفرة علميّة غيرت مجرى الأبحاث اللّغويّة في جميع أنحاء العالم، ولم تقتصر نتائج تطوّر اللّسانيّات الحديثة على اللّغة فحسب؛ بل امتدّت إلى كلّ العلوم المجاورة كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وعلوم الحاسوب والرياضيات، وامتدّ تأثير اللّسانيّات حتى طال الجانب الطّبيّ، كمعالجة أمراض الكلام والأمراض العصبيّة.

وامتدّ تأثير اللّسانيّات في العالم أجمع بما في ذلك الثّقافة العربيّة، فلقد سجّل العرب انبهارًا كبيرًا باللّسانيّات الحديثة خاصّة في المشرق العربيّ، فحاولوا تمثّلها وتطبيقها على اللّغة العربيّة، فنتج بذلك توجه جديد في ميدان الدّراسات اللّغويّة، يطلق على رواده الوصفيّون العرب، الذين حاولوا إعادة النّظر في الجهود التراثيّة العربيّة بل سعى بعضهم إلى قطيعة مع التّراث وتجديده إذا تطلّب الأمر، فأدّى ذلك

إلى صراع فعليّ بين دعاة الحدّثة ودعاة الأصالة والتراث، امتدّ صداه إلى يومنا هذا.

أمّا في المغرب العربيّ فقد تأخّر ظهور اللسانيّات مقارنة بالمشرق العربيّ، وذلك راجع لأسباب عدّة منها أنّ معظم دول المغرب العربيّ كانت تحت وطأة الاستعمار وبعد ستينات القرن المنصرم؛ بدأ اللسانيّون المغاربة يحتكّون بالبحوث اللسانيّة الغربيّة، ولقد خُطت الدّراسات اللسانيّة في البيئّة المغاربيّة خطوات متسارعة، كان الهدف منها تبنيّ النّظريات اللسانيّة بغية تطويع نماذجها لدراسة اللّغة العربيّة. ونتج عن هذا الاحتكاك انقسام الدّراسات اللسانيّة المغاربيّة إلى اتّجاهات كثيرة، فمنها اتّجاه حدّثيّ كان هدفه النّظريّات اللسانيّة الغربيّة، واتّجاه محافظ حاول صدّ الدّراسات الحديثة والتشبّث بالتراث، واتّجاه توفيقيّ حاول الجمع بين الأوّل والثاني، وبعد مرور نصف قرن على تبنيّ مفاهيم اللسانيّات الغربيّة، تراكم إنتاج اللسانيّين المغاربة للمؤلّفات اللسانيّة، فنتج عن ذلك أزمة كادت تعصف بجذوى اللسانيّات المغاربيّة، ولتصحيح الوضع وتقييم نتائج هذا التراكم وتقويمه، كان لا بدّ من ظهور نمط مستحدّث في اللسانيّات، ليس الهدف منه التنظير؛ بل غايته مراجعة ونقد اللسانيّات المغاربيّة، وإرجاعها إلى الممارسة العلميّة الصحيحة المنبثقة من اللسانيّات العامّة.

وضمن هذا التوجّه النّقديّ يندرج موضوع أطروحتنا الموسومة بـ: تمظهرات الخطاب اللسانيّ المغاربيّ في كتابات مصطفى غلفان وعبد السلام المسدي وصالح بلعيد، وتأتي هذه الأطروحة محاولةً لولوج حقل الخطاب اللسانيّ المغاربيّ، ورصد علاقته بالخطاب اللسانيّ العام، والنّظر في أسسه والمفاهيم التي تبنّاها، وكذا الإشكالات التي وقع فيها، محاولين قراءة ونقد المعرفة اللسانيّة المغاربيّة من خلال معايير مستنبطة من الممارسة الإبستيمية.

بناء على التقديم السابق وإذا سلّمنا بوجود خطاب لسانيّ مغاربيّ قائم الذات، يقودنا هذا الزعم إلى طرح الإشكال الآتي: ما الأصول والأسس المنطقيّة التي قام عليها الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ في توجّهاته وصنوفه الشهيرة؟ ويقع تركيزنا على الاتجاه التمهيدي والتراثيّ والتقويميّ.

وقد تفرّعت عن هذا الإشكال أسئلة فرعيّة لها علاقة به منها:

- ما النتائج التي حقّقها الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ على المستوى العربيّ والعالميّ؟

- ما القيمة المعرفية للخطابات اللّسانية المغاربية؟ وهل استطاعت الوصول إلى القارئ بسهولة؟

- كيف تعامل اللّسانيّون المغاربة مع التراث اللّغويّ العربيّ؟

- ما الاتّجاهات التي تثبت تطوّر الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ؟

تقودنا الإشكاليات السابقة من خلال هذه الأطروحة إلى البحث عن أهم اتّجاهات الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، إضافة إلى مرجعيّاته الفكرية والتاريخية والمعرفيّة التي استند عليها في تكوين خطابه، ورصد عقباته وأزماته التي وقع فيها، كذلك التركيز على أهمّ الجهود ومحاولة تصنيفها وتحليل أفكارها ومنهجها وموضوعها وغاياتها، وتقديم نقد يهدف إلى تقويم المنجز اللّسانيّ المغاربيّ، ومدى تأثيرها في القارئ العربيّ.

ومن الأسباب التي دعنتني إلى ولوج الخطاب اللّسانيّ:

- شغفي بمقياس اللّسانيّات مذ كنت طالبا في المراحل الجامعيّة الأولى،

وبالفكر اللّسانيّ الحديث من حيث منهجه ونتائجه.

- قلّة الدّراسات التي تهدف إلى نقد وتقييم الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ.

- التّضح والتّراكم المعرفيّ للنّماذج المختارة في الأطروحة، وتأثيرها في ساحة البحث اللّسانيّ العربيّ والمغاربيّ.

وتروم هذه الأطروحة تحقيق أهداف عديدة منها:

- الكشف عن الأسس والأصول المعرفيّة للخطاب اللّسانيّ المغاربيّ.
- إظهار القيمة المعرفيّة والمنهجية والنّظرية للخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، ورصد الإطار المنهجي لمختلف بحوثه ودراساته.
- استشراف تطوّرات الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ وأزماته واقتراح حلول لها.
- التعريف بالجهود اللّسانية المغاربية، ومكانتها ضمن البحوث اللّسانية العالميّة.
- تقديم قراءة نقدية تقويمية للخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، وبالأخصّ للمدونة التي اشتغلنا عليها.

ولم أعتد في إعداد هذه الأطروحة على منهجا بعينه، حيث يلاحظ القارئ اعتمادنا مناهج متعدّدة، وهذا ما اضطرّنا إليه الموضوع، ومن هذه المناهج:

المنهج الوصفي التحليليّ؛ فقد استعنا به في وصف الخطاب اللّسانيّ، والخطاب العلميّ من حيث منهجه وغايته وموضوعه، إضافة إلى تحليل أجزائه المكوّنة له كالعنوان، والمقدّمة، واللّغة المستعملة وغيرها.

أمّا المنهج التّاريخيّ؛ فقد توسّلنا في العودة إلى الأصول التاريخيّة للخطاب اللّسانيّ الغربيّ، والعربيّ، والمغاربيّ، وذلك لمعرفة المصادر التي صدر عنها والأسس التي بُني عليها.

أمّا عن الدّراسات التي سبقت موضوعنا، فيمكن القول إنّ فكرة موضوع الأطروحة مستمدّة من دراسات سابقة، لذلك لم يمكن عملنا في هذا الموضوع

تأسيسياً، كما لا ندعي فضل سبق فيه، ففكرة تقويم الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ تتاولتها العديد من الكتابات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الدّراسة التي قام بها يوسف منصر ضمن أطروحته المقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، أصوله، مفاهيمه إجراءاته عبد الرحمن الحاج صالح وعبد السلام المسدي وعبد القادر الفاسي الفهري" حيث قام الباحث بتعريف الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ والخطاب العلميّ، وبيّن خصائص كل منهما، كما تحدّث عن الخطاب التراثيّ عند اللّسانيّين الثلاثة الذين حاولوا قراءة التراث العربيّ، ثمّ ذكر الخطاب اللّسانيّ المتخصّص، الذي له علاقة باللّسانيات العالميّة، حيث يكمن هدفه في السعي إلى تطبيق النظريات اللّسانية، وعرّج على الخطاب التعليميّ الذي يهتمّ بالقارئ.

أمّا الدّراسة الثانية لصاحببتها فاطمة الزهراء بغداد وهي أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان: البحث اللّساني في المغرب العربيّ، حيث ارتكز موضوعها حول جهود اللّسانيّين المغاربة الذي طبقوا أفكار النظريات اللّسانيات العامّة على دراسة اللّغة العربيّة، كما بيّنت أهمّ اتجاهات البحث اللّسانيّ المغاربيّ، وركّزت في مدوّنتها على أعمال عبد السلام المسدي، وعبد القادر الفاسي الفهري وعبد الرحمن الحاج صالح، حيث لم تختلف دراستها عن دراسة يوسف منصر، غير أنّ هذه الأخيرة أكثر عمقا وتفصيلا، كما أنّ فكرة التقييم بادية في الدّراستين، فهما محاولتان جادّتان لنقد وتقويم الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ.

أمّا عن موقع الأطروحة من الدّراسات السّابقة؛ فهي من ناحية لا تختلف عنهما في الفكرة الأساس؛ ألا وهي تقديم قراءة نقدية وتقويمية للخطاب اللّسانيّ المغاربيّ، كما أشير إلا أنّ فكرة التقويم سبق إليها مصطفى غلفان في العديد من كتاباته.

وتتماز هذه الأطروحة عن سابقتها في الجانب التطبيقيّ، حيث تناولنا فيها أسماء جديدة ضمن الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ ونقصد صالح بليعد ومصطفى غلفان، حيث لم يدرسا من قبل دراسة جادّة، وركّزنا على آليه القراءة والتحليل لكلّ لسانيّ، محاولين تقييم مدى تمثّله للموضوع والمنهج والغاية، إضافة إلى تحليل لغته الواصفة وخطاب المقدّمات والعناوين وغيرها.

وللإجابة على الإشكاليّة وتحقيق الأهداف التي سطرّت، اقتضى البحث أن نقسّم الأطروحة إلى مقدّمة وبابين رئيسين، حيث ينضوي تحت كلّ باب ثلاثة فصول، وأتبعنا الفصول بخاتمة احتوت النتائج المتوصّل إليها، وجاء بعدها قائمة المصادر والمراجع.

الباب الأوّل وجاء بعنوان: **الخطاب اللّسانيّ، مفهومه، خصائصه، أنواعه، تجلياته**. وقد قسّم إلى ثلاثة فصول: فأما الفصل الأوّل فجاء بعنوان: **الخطاب اللّسانيّ والخطاب العلمي (الماهية والخصائص)** فقد جاء على شكل مدخل مصطلحيّ؛ تعرضت فيه لأهمّ المصطلحات المؤثّرة في موضوع الدّراسة؛ كالخطاب، والخطاب اللّسانيّ، والخطاب العلميّ، كما بيّنت خصائص كلّ نوع.

وجاء الفصل الثّاني بعنوان: **الخطاب اللّسانيّ العربيّ المغاربيّ، الماهيّة، الاتجاهات، المرجعيّات**. فقد كان عبارة عن مسح تاريخي لمختلف مراحلها، حاولنا من خلاله الحفر في تاريخ الخطاب اللّسانيّ الغربيّ والعربيّ والمغاربيّ، وكان تركيزنا منصباً على الخطاب العربيّ والمغاربيّ، فقد بيّنا تعريفه وملابسات التلقّي وأنواعه، إضافة إلى مرجعيّاته وروّاده.

أمّا الفصل الثّالث فقد جاء بعنوان: **الخطاب اللّسانيّ والعربيّ المغاربيّ وأزمة التلقّي**؛ وكان الهدف منه التركيز على تلقّي اللّسانيّات في الثقافة العربيّة، كما تحدّثنا فيه عن أزمة اللّسانيّات العربيّة، مبيّنين أسبابها ومظاهرها، ومسّطين الضوء على

الملح الجديد في الكتابات اللسانية، وهو الكتابة النقديّة، وقد بيّنا أنواعها ورودها وجدواها.

أمّا الباب الثاني ف جاء بعنوان: تحليل الخطاب اللسانيّ المغاربيّ من خلال بعض النماذج. ونقصد بالنماذج (مصطفى غلفان، وعبد السلام المسدي، وصالح بلعيد)، وقد قُسم بدوره إلى ثلاثة فصول بناء على النماذج الثلاثة؛ حيث يحمل كلّ فصل جزءا من المدونة ويتعلّق بخطاب لسانيّ معيّن من المدونة، فخصّص الفصل الأوّل لخطابات مصطفى غلفان، وجاء بعنوان: الخطاب اللسانيّ عند مصطفى غلفان؛ حيث تناولنا في هذا الفصل الخطاب اللسانيّ التمهيديّ عنده، وأبرزنا أهمّ خصائصه ومقوماته، وقمنا بتحليله من خلال المنهج والموضوع والغاية، كما تعمّقنا في بنيته ولغته، وأهمّ القضايا التي تعرّض لها، وكذلك فعلنا مع الخطاب اللسانيّ النقديّ، الذي اختصّ به دون غيره من النماذج الأخرى، وانتهى الفصل بجملّة من الملاحظات والتقويمات. كما خُصّص الفصل الثاني لخطابات عبد السلام المسدي، وجاء بعنوان: الخطاب اللسانيّ عند عبد السلام المسديّ، فركّزنا على الخطابين التمهيديّ والتراثيّ، فحلّلناهما بالمعايير نفسها، وأبرزنا خصائصهما عند المسدي، وانتهى الفصل بنقد وتقويم لخطابه.

أمّا الفصل الثالث فكان بعنوان: الخطاب اللسانيّ عند صالح بلعيد؛ حيث تمّ التركيز أيضا على الجانب التمهيديّ والتراثيّ في كتاباته، وتبيان أبرز الخصائص، كما عرضنا أهمّ آرائه التراثيّة واللسانية.

وما تجدر الإشارة إليه؛ أنّ هذه الفصول الثلاثة أخضعناها للمعايير نفسها، لنضمن الوصول إلى خصائصها وتجليّاتها، ومدى تطبيقها للمعايير العلميّة المستمدّة من صميم البحث اللسانيّ.

ولا يخلو كلّ بحث إنسانيّ من صعوبات، فمن بين الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذه الأطروحة؛ شساعة المدوّنة وغازرة الإنتاج اللّسانيّ عند النماذج المختارة ونخصّ بالذّكر صالح بلعيد؛ وصعوبة الحصول عليها بسبب نفاذ طبعتها. إضافة إلى قلّة الدّراسات التي ذات الطابع البيبلوغرافي التي تسهّل عملية جمع المدوّنة، والكتب المعنيّة بالدّراسة.

ومن الصعوبات التي واجهتنا أيضا قلّة الدّراسات الجادّة التي تناولت الخطاب اللّسانيّ المغاربيّ تناولاً نقدياً مؤسساً على معايير علميّة، فلم نعثر -في حدود ما بحثنا- إلا على بعض الدّراسات التي حاولت مقارنته ونقده.

ولا يسعني في الأخير إلا التقدّم بالشكر الجزيل لكلّ من ساندني في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد، وأخصّ بالذكر أستاذي المشرف الدكتور مراد قفي، فله امتناني وموفور شكري على صبره معي ورحابة صدره، ومرافقته الطيبة النّافعة طيلة أطوار الأطروحة.

الباب الأول: الخطاب
اللساني، مفهومه، خصائصه،
أنواعه، تجلياته.

الفصل الأول: الإطار النظريّ: الخطاب اللّسانيّ والخطاب العلمي (الماهية والخصائص)

أولاً: الخطاب اللّسانيّ.

1- مفهوم الخطاب.

2- الخطاب العلميّ.

2-1 أسس الخطاب العلميّ.

ثانياً: علميّة الخطاب اللّسانيّ.

1- تعريف الخطاب اللّسانيّ.

أولاً: الخطاب اللساني:

يُعدّ تحديد المصطلحات العلمية لأيّ علم من العلوم الطبيعية أو الإنسانية أمراً لا بدّ منه حتّى لا يُساء فهمها أو تفهم بدلالاتٍ غير دلالاتها الموضوعية لها أصلاً، فكثيراً ما تتعدّد المفاهيم والمعاني الخاصّة ببعض المصطلحات المستخدمة في الأبحاث، كما يمكنها أن تتشابه مع مصطلحات مشابهة فيقع لبس في تمثيلها؛ لذلك يجب على الباحث تحديد المعاني والمفاهيم التي تتفق مع أهداف بحثه وإجراءاته؛ ومن هذا المنطلق اكتست هذه العملية أهمية كبيرة لأنّه ما من "مسلك يتوسل به الإنسان إلى أي معرفة من المعارف غير تثبته الإصطلاحي"¹، ويمكن أن نلخص أهمية تحديد المصطلحات في النقاط التالية:

- أ- إزالة الغموض لدى القارئ حول المصطلحات المذكورة في خطة البحث.
- ب- وضع تعاريف أساسية كيلا لا يفهمها القارئ ويفسرها بدلالة مختلفة.
- ت- تبيين وجهة نظر الباحث في تبنيه لأحد المفاهيم المذكورة.
- ث- مساعدة الباحث في وضع إطار مرجعي يستخدمه في التعامل مع مشكلة بحثه².

بناء على هذا التأسيس ارتأينا أن نستهل بحثنا بإطار نظري اصطلاحى يكون مدخلا لتفاصيل الخطاب اللساني والعلمي، وذلك بتحديد المصطلحات المفاتيح الأكثر أهمية في هذا البحث قصد تبيان مدلولاتها المختلفة وهذه المصطلحات هي:

- الخطاب.
- الخطاب العلمي.
- الخطاب اللساني.

1- عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، منشورات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، دط، تونس، 1994، ص11.

2- مصطلحات البحث العلمي ماهيتها، أهمية تحديدها في خطة البحث، يوم الرفع: 2020/05/31 (موقع المنارة) <https://www.manaraa.com/post/>.

1- الخطاب:(discours):

اهتمّ الدارسون في المجالات المختلفة بمصطلح الخطاب ما أدى إلى تعدّد مفاهيمه ودلالاته وهذا راجع لتأثر كلّ دارس بالمجال الذي يشتغل فيه، فنتجت عن ذلك تصوّرات متباينة ومتكاملة في الوقت ذاته، حيث أصبح هذا المصطلح متداولاً "في مجالات عديدة منها نظرية النّقد وعلم الاجتماع والألسنية والفلسفة وعلم النّفس الاجتماعي والكثير من حقول المعرفة الأخرى"¹ والشّيء الملاحظ على هذا النوع من المصطلحات القدرة على التكيّف بين عدّة معارف، ممّا يجعل القارئ يتوهّم بداهته وبساطته.

ويعود السبب الأول (الارهاصات) لنشأة مصطلح الخطاب إلى المحاضرات التي ألقاها فردينان دي سوسير (محاضرات في اللسانيات العامّة) والتي تضمنت عدّة ثنائيات من بينها التمييز بين مصطلحات ثلاثة مختلفة وهي: اللّغة واللّسان والكلام، وقد اعتبر (دي سوسير) اللّسان موضوعاً للسانيات، وأخرج بذلك الكلام من ميدان الدّراسة، والسبب في ذلك أنّ الكلام يتّسم بالفردية والأداء الحر، ممّا يجعل من عملية دراسته وتصنيفه والتّحديد له أمراً صعباً.

إنّ هذه الخطوة التي أقدم عليها هذا اللّسانيّ لم تدم طويلاً؛ فقد أعقب (دي سوسير) جيل من اللّسانيين أعادوا النّظر في أحقية الكلام من الدّراسة، وذلك ما نجده في أعمال (إميل بنفنيست) و(رومان جاكبسون) و(هاريس) وغيرهم...ويعدّ هاريس (Zellig Harris) من الأوائل الذين اهتمّوا بدراسة الخطاب من الغربيين، وقد عرفه بأنّه ملفوظ طويل أو سلسلة من الجمل تشكّل مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية متوالية من العناصر بواسطة الطريقة التوزيعية وبشكل يجعلنا نزل في نطاق لسانيّ بحث²، وركز (هاريس) على جزئية مهمّة في الخطاب كونه

1- سارة ميلز، الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة والأدب واللسانيات، جامعة منتوري- قسنطينة- الجزائر، ص3.

يقطين سعيد، 2-f.marchand et autres ; les analyses de la langue. Delagrave. 1978, p116. نقلاً عن: تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1997، ص17.

ملفوظا ومنتالية من الجمل ويوافق هذا الطرح لساني آخر هو بانفونيست (Benveniste) الذي يرى بأن الخطاب هو "الملفوظ من جهة اشتغاله في التواصل"¹، وهذا التعريف ينطبق تماما على مصطلح الكلام الذي يعني التلفظ والتواصل والفرسانية، وقد أدى الاهتمام بالكلام إلى بروز تعاريف مختلفة لمصطلح الخطاب سنذكر جزءا منها على سبيل المثال لا الحصر:

- "الخطاب مجموعه من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق"²
- "الخطاب هو اللغة في حال اشتغال"³
- "الخطاب كل كلام مباشر أو غير مباشر شفوي أو مكتوب ويلقى على المستمعين قصد التبليغ والتأثير"⁴
- "الخطاب هو المجال الذي تكتسب فيه الوحدات اللغوية قيمها الدلالية الملموسة بعد أن كانت كيانا نظريا دالا بالقوة"⁵.
- "ذلك الملفوظ الموجّه إلى الغير، بإفهامه قصدا معيّنًا، أو هو الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة"⁶.

من هذه التعاريف السابقة يمكننا أن نحدّد أهمّ مميزات الخطاب وخصائصه، ولعلّ أول خاصية للخطاب أنّه تجسيد لنظام وقواعد اللسان تجسيدا فعليا فرديا كان أو مجتمعيًا في عملية التواصل، فكلّ لسان يحمل قواعد ضمنية قارة وثابتة لها صفة

¹ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1997، ص11.

² - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1988، ص6.

³ . Jean Dubois et autre: Dictionnaire de linguistique: librairie la rousse, 1973, p:156

⁴ - نواره بوعباد، مفهوم الخطاب التعليمي والعلمي الجامعي، مجلة التبيين، الجزائر، عدد: 17، 2001، ص11.

⁵ - محمد خلف، الخطاب الإقناعي، الإشهار أنموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، العدد: 9، 1987، ص79.

⁶ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا، 2004، ص37.

الشمولية، والمخاطب يستعمل هذه القواعد ويفعلها في عملية التواصل مع مخاطب آخر سواء كان الخطاب كتابيا أو شفويا، وتخضع عملية التخاطب لظروف معينة وزمان ومكان معينين.

أمّا الخاصية الثانية للخطاب فتتمثل في كونه يحمل طابعا تنوعيا، وهذا راجع للغاية التي أنجز بسببها الخطاب، فالغايات المتعدّدة للخطابات تختلف حسب نوعية الخطاب، فغاية الخطاب السياسيّ المكتوب أو المرئيّ ليست هي نفسها غاية الخطاب الإشهاريّ أو الدينيّ أو التعليمي ومن هنا يبتغيّر نوع الخطاب بتغيّر مضمونه والمواقف التي يستعمل فيها¹.

أمّا الخاصية الثالثة للخطاب فتتمثل في كونه حدثا كلاميا يستدعي وجود عناصر معينة مثل: (المخاطب/ المخاطب) وقد يتعدّد هذان الطرفان فيمكن أن يكون الأول فردا والثاني جماعة، مثل الخطاب الديني (الإمام والمصلين)، أو الخطاب الروائي (الكاتب والقراء).

وآخر خصائص الخطاب طوله أو قصره، فهو كلّ "فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها شريطة أن تكون وحدة متكاملة"²، فقد يكون الخطاب طويلا يحتوي العديد من النصوص وال فقرات وقد يكون عدّة صفحات، كما أنّه يطلق على جهود فكرية في مرحلة زمنية معينة مثل: (الخطاب الفلسفي الحديث) أو (الخطاب اللساني العربي) كإشارة للمكان أو اللّغة، وقد يبلغ مدى قصيرا مثل اللافتات الإشهارية وغيرها، بمعنى أنّ معيار الطول والقصر ليسا أساسيين في تعريف الخطاب، بيد أنّ التكامل ضروريّ لكي تتحقق للخطاب إحدى أهمّ مقوماته، بحيث تكون له وحدة معنويّة مكتملة.

¹ - نوارة بوعباد، مفهوم الخطاب التعليمي والعلمي الجامعي، ص 26.

² - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008، ص 20.

نخلص من كل ما سبق إلى أنّ للخطاب زوايا متعدّدة منها الكتابة والمشافهة، وكذا اعتباره تفعيلًا للوضع اللّغوي المشترك بين المتخاطبين، مع مراعاة المحتوى ضمن سياق معلوم، سواء كان موجزًا أم مطولًا، كما يمكن لمجموعة من الخطابات ذات العلاقات المشتركة أن تعدّ خطابًا؛ فالنصوص التي تشترك في الموضوع والغاية واللغة والمنهج والتخصص أو حتى الفئة المتكلمة تشكل متحدة خطابات لها مميزات خاصة ومشاركة¹.

2- الخطاب العلمي (Le Discours scientifique):

يحتلّ الخطاب العلميّ منزلة مهمّة مقارنة بالخطابات الأخرى، وبخاصة في عصرنا الذي تطورت فيه أنماط الحياة الإنسانية وتعدّدت مشاربها واختصاصاتها، فهو خطاب متنوع بتنوع العلوم وقائم على التفاعل اللّغويّ والتواصل العلميّ بين المتخاطبين المتخصصين، كما أنّه تواصل لسانيّ تؤطّره الشروط العلميّة وهو كغيره من الخطابات الأخرى غرضه التبليغ والتأثير، فالمتلقي للخطاب العلميّ متلق خاص فهذا الخطاب لا يتوجه إلى عامّة النّاس؛ وإنّما إلى المختصّين فقط أمثال العلماء والباحثين والأساتذة والطلبة المختصّين في إطار أكاديميّ، وكذلك القراءة في هذا الخطاب محدّدة تتميّز بالصرامة والضبط المنهجيّ ولا تقبل تعدّد القراءات.

كما يُعرّف هذا الخطاب بموضوعه وبالمضامين التي ينقلها، فالهدف منه - عموماً - نقل مضامين لغوية من وقائع منظمة أو نتائج مستخلصة أو طرق للتّحليل أو فرضيات للمعاينة²، ولهذا النوع من الخطابات طريقة خاصّة في مقارنة المواضيع

¹ - أشير إلى أنني سأعتمد في دراسة الخطاب اللساني المغاربي على هذا التعريف، وذلك لشموليته، ولأنّ مصطلح الخطاب يمثله أحسن تمثيل، فالخطاب الذي أريد دراسته يعتبر مجموعة من النصوص (المكتوبة) ذات الموضوع المشترك كما أنها متعاقبة زمنيًا.

² - الشريف بوشحان، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي "الخطاب اللساني نموذجًا"، مجلة اللغة العربية، العدد 06، الجزائر، 2002، ص 274.

وتحليلها تفسيرها فهو لا يعتمد على التكهّنات أو الخرافة في تحليل النتائج والظواهر؛ بل هو سليل طريقة تفكير تقوم على متابعة الظاهرة ووضع فرضيات لتفسيرها والتحقق من مواعمتها أو قدرتها التفسيرية مع استمرار المعاينة العلمية الظاهرة، أي مدى استمرار تكرارها وفق النظام الافتراضي الموضوع¹، ومن هذا المنطلق فإنّ للخطاب العلمي منهجية مخصوصة تعتمد على البرهنة والاستنباط والملاحظة والتجربة، وتعتمد أيضا على المنطق والحدس العلمي، والغرض من كل هذا هو الكشف عن الآليات والأسباب المترتبة عنها نتائج معينة في الظواهر قصد معرفتها والتنظير لها.

ولا شك أنّ الخطاب العلمي -كغيره من الخطابات- يتعيّن تبعا للمخاطب والمخاطب ووضعية الخطاب، إلا أنّ الخطاب العلمي في حقيقته هو خطاب نظريّ يمكن اعتباره كبنية تفسيرية تربط جملة من الظواهر بعدد من الأفكار والمسلمات والأسس عن طريق جهاز استنتاجي²، ويبدو جليا أنّ الخطاب العلميّ يتميّز باللّغة العلميّة التي يكثر فيها استعمال المصطلحات الدقيقة والمفاهيم الصورية، كما أنّها تتميّز بالدقة والموضوعية، وتبتعد في الكثير من الأحيان عن الجانب الشعاريّ والعاطفي، وتكون في معظمها لغة بسيطة غير متكلفة، كما أنّها تعتمد كثيرا على الرموز والأشكال والأرقام والبيانات، لذلك نجد في الكثير من الأحيان المتلقين للخطاب العلميّ يصفونه بالجفاف وصعوبة التمثّل، لأنّه يُحتّاج إلى فهمه إمعان النّظر وإعمال الفكر، فهو ليس خطابا تواصليا عاديا؛ بل يحدث غالبا بين متخصصين في ميدان معين مثل اللّسانيات أو النّقد، ولعلّ أهم تعريف في نظري

1- يوسف منصر، الخطاب العلمي مرتكزاته وخصائصه، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، الجزائر العدد 06، 2000، ص45.

2- عبد القادر الفاسي الفهري، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1986، ص43.

محاولة (بشير إبرير) الذي يرى بأن الخطاب العلمي؛ واقعة علمية لغوية ومنتج معرفي متخصص يحتوي على مجموعة من المفاهيم العلمية الخاصة بتخصص علمي ما، والمصطلحات اللغوية الواصفة الشارحة لتلك المفاهيم... والمحددة الدالة عليها¹، وهذا التعريف يؤكد على أهمية الضبط المصطلحي في التفريق بين الخطابات العلمية وغيرها من الخطابات الأخرى.

2-1: أسس الخطاب العلمي: يُبنى الخطاب العلمي كغيره من الخطابات على عدة أسس تميّزه في الكثير من الأحيان عن الخطابات الأخرى، وتعطي له صرامة ودقة منهجية كونه يخاطب العقول لا المشاعر ومن بين هذه الأسس نذكر على سبيل المثال:

أ- الدقة والاقتصاد: الخطاب العلمي خطاب يتميز بالدقة في عرض الموضوع، معتمدا على اللغة العلمية الموجزة العبارة التي تبتعد عن الحشو والإطناب، وتتميز بأسلوبها المباشر الذي يصيب الفكرة مباشرة ويوصلها بشكل واضح إلى المتلقي تجنباً لتعدد القراءات والتأويلات، لذلك يجب أن تُستخدم الألفاظ والعبارات "في معانيها المباشرة وليست المجازية وأن يتجنب الأسلوب الأدبي الفضفاض قدر الإمكان، وتقدم (في البحث) لغة وصفية لا قصور فيها ولا مبالغة"²، كما يتميز الخطاب العلمي بالاقتصاد والاختصار، ولعلّ استخدام الرموز واحد من وسائل عديدة تحقق الاقتصاد في الخطابات العلمية.

ب- الحيادية اللغوية: يطلق عليها أيضا الحياد النسبي، ويُقصد بها استعمال اللغة دون الانزياح إلى مدلولات يطغى عليها الجانب الذاتي أو الأدبي، فلغة الخطاب

1- بشير إبرير، بنية الخطاب العلمي في كتاب "سبويه" مخارج الحروف عيّنة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 07، 2010، ص2.

2- حامد طاهر، منهج البحث بين التنظير والتطبيق، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، مصر، 2008، ص190.

العلمي لا تتأثر بشخصية قائلها لأنّ معاني ألفاظها تبدو على ظاهرها، فمعجم الخطاب العلمي يخلو من الغموض والتراكم، ومحدد المعاني وغير قابل للاشتراك والترادف، وتراكيبه غير مكررة ولا تعيد نفسها، وتطوّر معناه واسترساله يتم في شكل محدّد البعد، بالإضافة إلى منطقية التراكيب¹، غير أنّ الالتزام بالحيادية والابتعاد عن الأهواء اللغوية ليس سهلا على ما يبدو، فهي مهمة قد تكون صعبة التحقق في الكثير من البحوث العلمية، لأنّ محاربة الأهواء اللغوية والنفسية والانزياحات العاطفية والاستعارية يعدّ مطلبا نسبيا في البحوث العلمية، فمهما حاول الباحث ممارسة الحياد يجد نفسه مقتحما لميادين عاطفية واجتماعية وسياسية.

ج-الموضوعية: ترتبط هذه الميزة مباشرة بمؤلف الخطاب الذي من المفروض أن يكون مبتعدا عن ذاتيته في طرحه للأفكار والآراء، فينتج عن ذلك خطاب علمي مجهول المؤلف لا تظهر فيه البصمة الذاتية سوى الفكرة المراد إيصالها، لأنّ الغاية كما ذكرنا سابقا براغماتية وتتمثّل في إيصال الفكرة المرجوة للمتلقّي، وهذا ما يقودنا إلى فكرة تلاشي واضمحلال صاحب الخطاب، وعليه فإنّ الموضوعية تعرّف عند (أندريه كونت سبونفيل) بأنّها "رؤية أو معرفة الأشياء كما هي أو كما تبدو، باستقلال عن ذاتيتنا إن أمكن ذلك، أي باستقلال عن خصوصية ذاتيتنا وانحيازها في جميع الحالات، وهي على المستوى العملي رؤية الأشياء كما يمكن أن يراها كل ملاحظ نزيه لا يتأثر بأي انفعال ولا يتحيّز لموقف ما، ومن الواضح أن الموضوعية لا يمكن أن تكون مطلقة"²، ولا يعني عدم اطلاق الموضوعية استحالة وجودها؛ وإنما صعوبة الالتزام بها كليا، ومن السبل المؤدّية إلى التحلي بها أثناء الكتابة، الابتعاد عن الضمير المتكلم والمخاطب، وكذا الابتعاد عن الأفعال الدالة على الحكم... وغيرها.

¹ - محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز) المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1990، ص54.

² - محمد الهاللي وحسن بريقي، معايير العلمية، دار توبقال للنشر، دط، المغرب، 2015، ص45.

د-الانتظام والتناسق: كل خطاب يُبنى على ملمحين هاميين هما تناسق المفاهيم وجودة الصياغة ولا يخلو الخطاب العلمي من هاتين الخاصيتين، كونه يتشكّل من بُعد دلالي وآخر شكلي، فالبعد الدلالي في الخطاب العلمي يشترط أن تكون التصورات فيه بعيدة عن التناقض ويستلزم فيها أن تكون متناسقة ومتضامة¹، ولا تكون هذه الخاصية في الخطاب العلمي فحسب؛ بل هي شرط لازم في كل الخطابات والنصوص ويصطلح عليها في ميدان لسانيات النص بمصطلح الحبكة (coherence) الذي يعتبر في حقيقته تنظيم النص تنظيماً معنوياً منطقياً، وتسلسل المعاني والقضايا على نحو معقول متماسك²، وأي خلل في الترابط المنطقي للخطاب العلمي يؤدي إلى قطع التواصل التفاعل.

وأما الملمح الثاني الذي لا يقل أهمية عن الأول وهو الجانب الشكلي أو الصياغة اللغوية للخطاب، ويشترط فيها التماسك الشديد لأجزائه والذي يصطلح عليه بلفظ السبك (cohesion) أو الاتساق والذي يضمن التماسك الشديد هو مجموعة من الإستعدادات المتاحة في اللغة لجعل مكونات النص متسقة ببعضها البعض³ وينضوي تحت أدوات الاتساق الإحالة بأنواعها (بالضمير، الأسماء الموصولة، أسماء الإشارة) الاستبدال، الحذف، الوصل، التكرار... وغيرها.

2-2: أنواع الخطابات العلمية: إذا كانت خصائص الخطاب العلمي تتميز بالثبات والتوحد، فإنّ الخطابات العلمية في حدّ ذاتها تتميز بالتعدد والتمايز وذلك راجع إلى تنوع العلوم وكثرتها، ويقسّم الخطاب العلمي إلى نصوص حجاجية ووصفية وتفسيرية وتقديرية، ولكلّ وظيفته ومميزاته.

¹ - الشريف بوشحدان، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي، ص 269.

² - محمد العبد، حبكة النص، منظورات من التراث العربي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، العدد: 39، 2002، ص 55.

³ - محمد شاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية - تأسيس نحو النص، ج 1، المؤسسة العربية للتوزيع، ط 1، تونس، 2001، ص 124.

أ-النصوص الوصفية Textes descriptifs:

الوصف العلمي من بين أنواع الوصف المتعددة، ويستخدم ذلك في دراسة كثير من الموضوعات البحثية ذات الطبيعة الإنسانية أو الاجتماعية، ويختلف الوصف العلمي عن الوصف العام والوصف الأدبي، والوصف الوظيفي.. إلخ، فهو يتطلب ملاحظة دقيقة في بناء الأحكام، وتعمقاً وتنظيماً في التفكير قائماً على الاستقراء في صياغة القوانين، ويستخدم فيه الباحث الحواس الطبيعية مثل: الرؤية والسمع واللمس والإحساس، ويلزم في هذا النوع من النصوص اعتماد الموضوعية والصدق في تدوين الظواهر وتنظيمها، فيكون التتبع والتسجيل، والشرح والتصنيف، ووضع المصطلح، واستنباط القواعد العامة والجزئية من أهم المبادئ التي يبنى عليها¹، فتكون اللغة الوصفية بذلك لغة العقل والدقة والموضوعية، ولا مجال للتكهنات والخرافة.

ب-النصوص الحجاجية Textes argumentatifs:

تقوم النصوص الحجاجية على الحجة التي هي وسيلة من وسائل الإقناع والتعبير عن الرأي وتفنيده الرأي المخالف، وترتبط الحجة بالمنطق وتستند إلى الدليل والبرهان ويكثر حضورها في الأعمال العلمية والإعلامية والنقدية والفكرية والفلسفية... التي تعتمد على مقابلة الرأي بالرأي ونقض الحجة بالحجة، فالغرض إذا هو تغيير اعتقاد يفترض وجوده عند المتلقي، باعتقاد آخر يعتقد المرسل أنه الأصح، فهو يصدر من أن للقارئ أو السامع رأياً حول المسألة المطروحة أو موضوع الكلام، وتكون غايته في النهاية الإقناع²، بتقديم الأدلة المطلوبة مرتبة حسب الأهمية. فالنص الحجاجي باعتباره نصاً علمياً لا ينبغي أن تكون لغته ميداناً

¹ - علي زوين، منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1986، ص11.

² - محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008، ص108.

للاختلاف والاجتهاد، بل يجب أن تكون ضمن الرقابة الصارمة من قبل العقل المتواجد في حقل التفكير الحجاجي، لا بد من الوضوح القوي الناتج عن الانتقال من المقدمات إلى النتائج، ومن المعلوم إلى المجهول¹، فهو يتميز بلغة تقريرية موضوعية تعبّر عن الأفكار بوضوح ومباشرة.

ج-النصوص التفسيرية *Textes interprétatifs*:

هي نوع من أنواع النصوص غير الأدبية، الذي يقدم فيه الكاتب تفسيرات وتوضيحات لبعض المسائل العلمية أو الاجتماعية أو الأدبية، أو يتم من خلاله تسليط الضوء على ظاهرة معينة؛ بحيث يحصل فيها القارئ على إجابات لأسئلة تبدأ ب: كيف أو لماذا، فالعلم لا يتوقف عند وصف وتصنيف الظواهر وإنما يتجاوزه إلى التفسير الذي يُعتبر من أساسيات الأسلوب العلمي، هذا وإنه في التفسير ينتقل المخاطب من المعاينة والمشاهدة، إلى الخفاء والباطن ومن الأفكار المعلومة إلى المجهولة للبحث عن العلل والأسباب أو النتائج المنتظرة، فالعقل في المرحلة الأولى يكرر راجعا من الحدث البارز إلى سبب حدوثه وقد اختفت، وفي الحالة الثانية يستشرف المستقبل قبل حدوثه، معتمدا في ذلك على الحدث المتواجد في لحظته الحالية²، فالنص التفسيري بنية عقلية أو نسق من التخمينات والافتراضات والتوقعات لا يمكن الحكم عليها بالصواب أو الخطأ لأن كل شيء فيها نسبي.

د-النصوص التقريرية *Textes prescriptifs*:

للتقرير أهمية كبيرة في الحياة التعليمية، إذ يساعد على اكتساب المعارف وتنمية المهارات اللغوية، وتوسيع القدرات التي تمكن من مواجهة المشكلات المختلفة، تُعرض النصوص التقريرية قدرا من الحقائق في موضوع معين أو قضية ذات أهمية بالغة، باتباع منهجية تقوم على التمهيد للموضوع وعرض أهدافه، ثم

¹ - محمد راتب الحلاق، ممانعة النص لذة النص، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 329، 1998، ص37.

² - زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دارالشروق، ط7، بيروت، القاهرة، 1982، ص311.

وصف الوقائع وتحليلها فاستخلاص النتائج وتقديم الحلول المناسبة "ويقوم على أسلوب علمي خال من البيان والألفاظ المنمقة"¹، ويتميّز بالدقة الوضوح والتركيز على المعنى دون المبنى.

ثانياً: علمية الخطاب اللسانيّ:

قبل أن نباشر تعريف الخطاب اللسانيّ يجب تسليط الضوء على مسألة هامّة تتمثّل في الإشكال التّالي: إلى أيّ مدى يمكننا تصنيف الخطاب اللسانيّ ضمن الخطابات العلمية؟ وما علاقة اللسانيّات بالعلم؟

تعتبر مسألة العلميّة هدفاً لجميع الدّراسات والبحوث؛ فمعظم الدّراسات تصف نفسها بالعلميّة "لذلك يتمّ الحديث عن علوم قانونية، وعلوم لاهوتية، بل وتوصف الأخلاق بالعلم... ولم يعد لكلمة علم المرغوب فيها إلى هذا الحد أي مضمون خاص"²، والخطاب اللسانيّ واحد من تلك الخطابات التي تنشده العلميّة، على الرغم من أنّ موضوعه يتمحور حول دراسة الظاهرة اللّغوية ذات البعد الإنسانيّ، ممّا جعل اللسانيّات تنتمي إلى دائرة العلوم الإنسانيّة (علم النفس، وعلم الاجتماع، التاريخ...) التي لم تستطع إثبات نفسها في ساحة العلوم الدّقيقة، نظراً لمناهجها المتعدّدة وابتعادها عن التّجريب والميل للجانب النظريّ، ونتائجها المتذبذبة، والوسائل المعتمدة في عملية الدّراسة والتّحليل، لذلك نُظِرَ إليها بعين الشّك والرّيبة، بل وبعين الاحتقار من قبل علماء الطبيعة وفي هذا الصّدّد يرى (كارل بوبر) بأنّه ليس مفكّري العلوم الطبيعيّة أصحاب عقول أكثر موضوعية من عقول العلوم الاجتماعيّة، ولا هم نقديون أكثر منهم وإذا كان هناك موضوعية أكبر في العلوم الطبيعيّة فذلك لأنّ فيها سنن

¹ - جمعة محمد علوة وآخرون، دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة العربيّة، ط1، الأردن، دت، ص134.

² - محمد الهلالي وحسن ببيقي، معايير العلميّة، 2015، ص13.

أفضل ومعايير أدقّ للوضوح وللقند العقلاني¹، فهذه الإشكالية لم تُطرح في مجال العلوم التجريبية، نظرا إلى فكرها المشترك بين المجتمعات المختلفة، فإنّها تظلّ في مجال علوم الإنسان مليئة باللبس والغموض، نظرا لما يعترّيبها من مشاكل وما يكتنفها من آراء فلسفية وإيدولوجية يصعب معها الحديث عن علوم إنسانية موحّدة الفكر، "هذا الفكر الذي نجده يتلون بتلون الحضارات والثقافات ويتنوّع بتنوع الذهنيات والتصرفات لكون الطابع الإنساني فيها أوضح منه في علوم الطبيعة"².

لقد حاولت العلوم الإنسانية على مرّ التاريخ تجاوز العقبات التي وقفت في طريق نيل استحقاقها العلمي، فطورت من مناهجها، وعدّلت أساليبها ودقّقت مصطلحاتها وطرقها الإجرائية، فاعتمدت على المناهج الإحصائية والتحليلات الرياضية والاختبارات والتجارب الميدانية، وبنّت لنفسها منصات تحليل دقيقة، وأدرك علماءها أنّ "المعرفة التي توصف بالعلمية هي التي نجحت في موضوعة ممارساتها (البنائية والاستنباطية والتجريبية والتقويمية بل والتأسيسية أيضا) في إطار عمليات منظمة تخضع لخطاطات صورية"³، واللّسانيات كغيرها من العلوم الإنسانيّة والاجتماعية قد عرفت تطوّرات عديدة، فالجهود اللّغوية ما قبل البنيوية السوسيرية (الفيلولوجيا التاريخية والفيلولوجيا المقارنة) لم تستطع إثبات نفسها وذلك راجع لغموض الأسس الإبستمولوجية، والجنوح للأحكام والقواعد المعيارية، وعدم القدرة على ضبط موضوع الدّراسة والغاية منها، هذه السلبيات جعلت العلوم اللّغوية تبتعد عن مصاف العلوم، فالثورة التي قادها (دي سوسير) مطلع القرن على الأساليب القديمة؛ مكّنت اللّسانيات من إعادة ضبط أسسها وأساليبها وتحديد موضوعها والغاية

1- نوام تشومسكي، اللسانيات التوليدية؛ من التفسير إلى ما وراء التفسير. تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بن غازي ليبيا، 2013، ص09.

2- الغالي أحرشواو، العلم والثقافة والتربية: رهانات استراتيجية للتنمية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005، ص20-21.

3- محمد الهلالي وحسن ببيقي، معايير العلمية، ص12.

منها، والمتأمل في الخطاب اللساني المعاصر يدرك بأنه، لا يمكن لأحد أن يرتاب اليوم في الدور المهم الذي تلعبه اللسانيات في قيادة مناهج وإقامة أسس المعرفة... وهذه الريادة مرتكزها الدقة والوضوح، وكذلك استعمال مناهج أكثر صورنة وذات امتدادات مفهومة على الصعيد الرياضي والحاسوبي، إنَّ مبدأ هذه المكانة هو تطوير المناهج الرياضية والحاسوبية والوضوح الإستمولوجي¹.

إنَّ انخراط العلوم الإنسانيّة عموماً والخطاب اللسانيّ خصوصاً في سياق العولمة والتجديد الحاصل في ميدان الأبحاث العلميّة مكّنها من تجاوز الأزمات والعقبات التي اعترضتها.

لقد كان الهدف من عرض هذه الجزئية هو البرهنة والتأكيد على أحقيّة تصنيف الخطاب اللسانيّ تحت راية الخطابات العلميّة²، بل أضحى هذا الخطاب فاعلاً في الجانب المجتمعي والسياسي والنفسي بل وحتى الطّبي، وذلك من خلال قدرته على حلّ المشاكل العالقة في هذه المجالات.

1- حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1. الجزائر، 2009م ص96.

2- إنَّ علميّة اللسانيات أصبحت من المسلمات بالنظر إلى التداخل الكبير بين اللسانيات وعلوم الطبيعة، وهو تداخل يمكن من أن نرجع بداياته إلى المراحل الأولى من القرن التاسع عشر مع شلايشر، ولا سيما بعد ظهور كتاب داروين (أصل الأنواع) سنة 1859م فتشبع شلايسر بمبادئ الداروينية قاده إلى اعتبار اللسانيات من العلوم الطبيعية، واعتبر اللغة جهازاً عضويّاً لا يختلف عن الكائنات الحيّة. وقد تقوّت العلاقة بين اللسانيات والعلوم الطبيعيّة أكثر في عصرنا الحديث، فقد اعتبر مونطاكيو (Montague) الدراسة اللسانيات جزءاً من الرياضيات، وهذت ما عبر عنه طوماسون (Thoumason) في تقديمه لمقالات مونطاكيو يقول: "كثير من اللسانيين لا يدركون مدى اختلاف تحليل مونطاكيو جوهرياً عن التصورات اللسانية الحاليّة... ففي رأي مونطاكيو أن التركيب والدلالة والذريعات في اللغات الطبيعيّة جزء من الرياضيات لا علم النفس" ينظر: حافظ إسماعيلي علوي، نحن واللّسانيات: مقارنة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربيّة، مجلة الكلمة، 2008م، لبنان، ص13.

1- تعريف الخطاب اللساني:

بعد محاولتنا وضع الخطاب اللساني في نصابه المعرفي وهو الخطاب العلمي بكل ما يتميز به من خصوصيات وأسس، سنحاول بسط مجمل التعريفات التي حاولت ضبطه وحصر مجال عمله، حيث يمكننا الإشارة إلى نقطة هامة، وهي قلة الدراسات والأبحاث العربية التي تناولت مصطلح (الخطاب اللساني) لأسباب كثيرة ومتعددة¹، وتفاديا للخلط المنهجي والمصطلحي بين ما يطلق عليه علم اللسانيات والخطاب اللساني الذي يقع فيه الكثير من الدارسين، باعتبار أن المصطلحين يدلان على مدلول واحد، فعلم اللغة (اللسانيات) "هو علم يبحث في اللغة من جوانبها الصوتية والصرفية والمفرداتية والمعجمية والتطبيقية، وينضوي تحته علم الأصوات العام وعلم الأصوات التشكيلي-الفونولوجيا- وعلم الدلالة"²، ويظهر من خلال التعريف أن الجانب النظري هو أساس ما يعرف بعلم اللغة العام، وهذا ما جاءت به معظم الكتابات التمهيدية الأولى التي صدرت في بدايات القرن العشرين، مثل كتابات دي سوسير وأندري مارتيني وجاكسون ونعوم تشومسكي.

أما الخطاب اللساني فإننا بأنّ التعريفات التي تعرضت له تتباين من حيث عموميتها وخصوصيتها، فنجد أصحاب النمط الأول لا ينفذون إلى بنيته الداخلية ويركزون على الأطر العامة التي تحدّد الخطاب اللساني، وهذا ما ذهب إليه (بشير إبرير) في تحديده لماهية الخطاب اللساني حيث يقول: "الخطاب اللساني هو إذن: خطاب علمي له حدّ أو ماهية، مادة أو موضوع أو ظاهرة، غاية أو أهداف يودّ

1- من بين الأسباب ما ذكر أحد الباحثين: حداثة الاهتمام بالخطاب العلمي ومن ثمّ اللساني، والقصر النسبي

للحركة اللسانية العربية، وقلة الدراسات التي تتحو المنحى التقويمي للنشاط اللساني العربي عموماً.

2- محمد التتوخي، معجم علوم العربية؛ تخصص شمولية الإعلام، دط، دار الجيل، بيروت لبنان، 1999،

ص301.

تحقيقها¹ من خلال تجلياته المختلفة، ومنهج يستعمله في تلك التطبيقات، وجهاز مصطلحي يجعله متفردا عن غيره من الخطابات كالأداب أو الفلسفة مثلا، فقد ركّز الكاتب على الأطر العامة التي تميّز الخطاب اللساني من غيره من الخطابات الأخرى، وأهم الجانب الإجرائي والتطبيقي للخطاب، وهذا ما جعل تعريفه يصنف ضمن التعريفات العامة، كما أنّ هذا التعريف يمكن أن ينطبق على أي نوع آخر من الخطابات. ونجد تعريفا ثانيا غير أنّه لا يخلو من تعميم هو الآخر، فقد اكتفى فيه صاحبه بالتركيز على العلاقة التي تربط الخطاب اللساني باللسانيات العامة حيث يقول: "أمّا الخطاب اللساني فمرتبط باللسانيات، باعتبارها الدراسة الموضوعية للظواهر اللسانية العامة"².

أمّا النمط الثاني من التعريفات فيبدو أكثر دقة وعمقا وشمولية من غيره، ونستهله بتعريف لأحد الباحثين الذي يرى بأنّ "الخطاب اللساني في جملته هو تلك المحاولات البحثية التي تقتضي مجموعة رؤى علمية، مدعّمة بمنهج وآليات لشرح وتفسير مسائل اللّغة وكلّ أشكال الدلالة تفسيرا علميا يقوم على طروحات موضوعية إبستيمية... لإفراز نماذج لسانية جديدة"³. ركّز صاحب التعريف على جوانب متعدّدة للخطاب اللساني منها الجانب الإجرائي؛ و يرى بأنّه مجموعة من الأبحاث والكتابات المؤسّسة على أسس علمية، كما أنّه أشار إلى ركائز مهمة يجب أن تتوفر في كل خطاب لساني وهي (المنهج والموضوع والغاية) فالمنهج وهو طريقة البحث والدراسة، والغاية وهي إفراز نماذج لسانية أو قواعد عامّة، والموضوع وهو دراسة المسائل اللغوية والدلالة. كما نورد تعريفا آخر لا يبتعد عنه في تحديده للخطاب اللساني

1- بشير إبرير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، يوليو 2001، ص87.

2- الشريف بوشحدان، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي، ص274.

3- أغا ياسر، الخطاب اللساني في الجامعة الجزائرية: اللسانيات التمهيدية نموذجا، نتائج الفكر مجلة المركز الجامعي الصالحي أحمد النعامة الجزائر، العددان3-4، جوان 2018، ص147.

حيث يقول أحد الباحثين عن الخطاب اللساني أنه "كل إنتاج معرفي أو بناء عقلي وتأليف لغوي ينشأ عن اللغة، باعتماد منطلقات نظرية وأسس منهجية مقترحة لا تخرج عن أساسيات الممارسة العلمية ووسائل التبليغ العلمي ويهدف إلى التأثير أو الإرشاد في مجتمع معيّن"¹.

ويمكننا الإشارة في هذا إلى إحدى المحاولات الجادة لـ (مصطفى غلفان) حيث يُعرّف الخطاب اللسانيّ بقوله: "نقصد به الخطاب الذي تعكسه الكتابات اللغوية التي تستند نظريا ومنهجيا للمبادئ التي قدّمتها النظريات اللسانية في مختلف اتجاهاتها الأوروبية والأمريكية في إطار ما أصبح يعرف باللسانيات العامة"² يكتسب هذا التعريف أهمية من خلال الإحالة إلى واقع الممارسة اللسانية، انطلاقا من فكرة الفصل بين ما هو خطاب لسانيّ مؤسس وبين ما هو غير مؤسس، فالباحث ركّز على الأسس النظرية والمنهجية المنبثقة من اللسانيات العامة ومدى التزام الكتابات اللسانية العربية، فقد شاعت العديدة من الكتابات العربية التي تحسب نفسها على اللسانيات ولكنها في حقيقة الأمر بعيدة كلّ البعد عنها، وذلك راجع لبعدها عن الأطر العامة للسانيات³، فالتعريف في هذا المقام جاء ليعيد تصنيف الخطابات اللسانية العربية في خانة اللسانيّ وغير اللسانيّ.

1- يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي، أصوله مفاهيمه إجراءاته: عبد الرحمن حاج صالح عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري نماذج أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف: البشير إبرير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار-عنابة، الجزائر، 2013م، ص46.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، دط، جامعة الحسن الثاني عين الشق: 1998م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم4، ص84.

3. يُعتبر مصطفى غلفان من النقاد اللسانيين الذين حاولوا تقديم تجربة نقدية لتقويم مسار اللسانيات العربية الحديثة، حيث يرى بأنّ معظم الكتابات اللسانية العربية خارجة عن نطاق اللسانية العالمية، وذلك لعدة اعتبارات منها الابتعاد عن الأسس العامة للسانيات، سنتوسع في الموضوع في المباحث القادمة.

وأخيراً¹ نورد أهم تعريف للخطاب اللساني من حيث الدقة والعمق لـ (عبد القادر الفاسي الفهري)، حيث انطلق (الفهري) من أساسيات الخطاب العلمي ليقصد ضمناً الخطاب اللساني حيث يقول: "الخطاب العلمي في جوهره خطاب نظري يمكن تصوّره كبنية تفسيرية تربط عدداً من الظواهر بعدد من المفاهيم والمسلمات عن طريق جهاز استنتاجي أو أكسيومة"². إن نظرة فاحصة لهذا التعريف تمكنا من التوصل إلى القصد منه، فالفهري يريد أن يقودنا إلى أعرق نقطة يصل إليها اللساني وهي تجاوز الوصف إلى التفسير، فمهمة اللساني في بداية دراسته للظواهر اللغوية هي وصف البنات الظاهرة والخفية، ولكن توقف النتائج عند حدّ الوصف يجعلها خطاباً ناقصاً، فالخطاب اللساني الذي لا يعطي تفسيرات واستنتاجات ونظريات لا يمكن أن يصنّف في أعلى درجات العلم.

توصّلنا بعد عرضنا لمفاهيم متتالية للخطاب اللساني عند عدد من الباحثين، إلى محاولة تعريفية له يمكن أن تكون أساساً لمقاربة الخطابات اللسانية المغاربية فأنصّره: كل كتابة علمية تتخذ اللغة موضوعاً للدراسة، وتستند في منهجها على

1- وهناك تعريفات متعدّدة للخطاب اللساني نوردتها للاستزادة أهمها:

- هو كل ما كتب باللغة العربية في اللسانيات الغربية الحديثة.

- كل ما كتب باللغة العربية لدراسة اللغة العربية.

- الترجمة العربية للكتابة اللسانية الغربية.

- كل ما كتب في قراءة التراث اللغوي العربي القديم.

- كل دراسة نقدية للكتابات اللسانية العربية الحديثة والمعاصرة.

* الأكسيومة (Axiome): هي ما يعرف بالمسلمات، وهي عبارة عن قضية مقبولة دون الحاجة إلى البرهنة عليها، وهي في مجال اللسانيات وغيرها من العلوم البحتة، مبدأ أولي يوضع حرفياً، ويعتبر صحيحاً ومنطقياً، وتبنى عليه بقية المفاهيم. مثلاً: الأكسيومة المركزية عند البنيويين هي نسقية اللسان، وهدف النظرية البنيوية هو تبيان مظاهر هذه النسقية، والأكسيومة المركزية عند التوليديين هي معرفة المتكلم اللغوية، وهدف هذه النظرية هو تفسير هذه المعرفة - محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية - البنيوية والتوليدية، ص 25

2- عبد القادر الفاسي الفهري، عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، (المنهجية في الأدب والعلوم

الإنسانية)، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص43.

الأسس العلمية والإبستمولوجية المستمدة من اللسانيات العامة، وتكون الغاية منها التبليغ والتفسير وحلّ المشكلات اللغوية العالقة.

2-أسس الخطاب اللساني:

يتمّ التركيز في هذا العنصر على أهم الأسس التي تجعل الخطاب اللساني يحظى بالقبول من قِبَل الإبستمولوجيين المهتمين بعلمية الخطابات اللسانية.

أ-الانسجام:

تتألف الخطابات اللسانية من أجزاء متعدّدة، ويشترط في هذه الأجزاء أن تكون مترابطة ومتناسقة، فالعبرة في الخطاب اللساني ليست بالمعلومات الكثيرة وتنوّع الفرضيات فحسب، بل الهدف أيضاً بمقدار انتظامها واتساقها وجودة بنائها¹، وحتى لا يحدث تناقض بين أجزاء الخطاب الواحد يجب وضع معايير صارمة مبنية على الوضوح، لتجنب الخطاب الوقوع في التناقض والتضارب، ومن أمثلة ذلك حينما فرّق سوسير بين اللغة واللسان والكلام فإنّه فعل ذلك بهدف الرغبة في تحقيق متطلّبات كثيرة منها الانسجام وحماية أفكاره من الوقوع في التناقض. ونفس الشيء يقال عن الأهداف التي يصبو إليها من وراء كل ثنائيات الشهيرة، وحينما فرّق جاكسون بين عناصر الخطاب التواصلية، وفرّق تروبتسكوي بين الفونيم والصوت، وفرّق هيلمسليف بين الملفوظ والمحتوى... وميّز تشومسكي بين القدرة والإنجاز وبين النحوية والمقبولية...إنما فعلوا ذلك كله بغية أن لا يقعوا في الخلط (مبدأ الوضوح) أو فريسة للتناقض الذي يقوض كل البنيان²،

1- فتحة عروة و نصر الدين بوحسين، خصائص الخطاب اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، المجلد 27، العدد 01، ص22.

2- محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية -البنوية والتوليدية- دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن عمان، 2012، ص47.

ومن الملاحظ أنّه من السهولة بمكان أن يُفهم مبدأ عدم التناقض، لكنّ من الصّعبة بمكان تطبيقه والالتزام به في بناء الأبحاث والنماذج، لأنّه يخضع لشروط متعدّدة وصارمة فهو "يفرض أن ينسجم النّموذج مع نفسه أولاً (الانسجام الداخلي) وأن ينسجم مع الوقائع التي يفسرها أو يتنبأ بها (الانسجام الخارجي) ثمّ مع ما هو معمول به في العلوم (الانسجام الإبستمولوجي)"¹، وقد يفشل الخطاب اللّسانيّ في تحقيق الانسجام إذا لم يتقيّد بمعايير الوضوح، ولم يبيّن الإطار النظري والمنهجي المنطلق منه، فيفشل بالتالي في تحقيق الغاية منه فيحدث خلط منهجي وتناقض على مستوى الأحكام المتوصل إليها، لذلك نجد أنّ شدة إصرار (تشومسكي) على مبدأ الانسجام كان واحداً من بين مبادئ أخرى دفعت به إلى التفريق بين ما ينتسب إلى القدرة وما ينتسب إلى الإنجاز... إذن من غير المقبول كثرة المعايير والأسس، كأن تعير الجملة بمعيار النحوية مرّة ومعيار المقبولية مرّة أخرى... فيتوصل بسبب ذلك ذلك إلى نتيجتين متناقضتين نحوية ولا نحوية في الآن نفسه²؛ لذلك يجب أن تكون الأفكار منظّمة على نحو علميّ خاص وفي سياق ممنهج له بدايات ونهايات، ولا يجب أن تتناقض البدايات مع النهايات.

ب- التعميم:

يعدّ مبدأ التعميم هاماً في الخطابات اللّسانية لأنّه يعني ببساطة قدرة النّظريّة اللّسانية على فهم وتفسير أكبر قدر ممكن من الظواهر اللّغوية والعلمية، ويعني ذلك أنّ الكفاءة التفسيرية لأيّ نظريّة لسانية تظهر في مدى قدرتها أو تلاؤمها مع الظواهر المشابهة لها "فالعالم حين يفسر الظواهر لا يكون تفسيره مقصوراً على تلك الظواهر بعينها، وإنّما يأتي تفسيره عاماً، ينطبق على غيرها من الظواهر المماثلة. إنّ العالم يستطيع بناء على التعميمات التي ينتهي إليها أن يتنبأ بأنّ الظواهر المقبلة

1- محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية - البنيوية والتوليدية-، ص 48.

2- المرجع نفسه، ص ن.

سوف تأتي على غرار الظواهر التي عرفها من قبل، فالتعميم في التفسير هو الذي يسمح لنا بالتنبؤ في العلم¹، ومن هنا دفع مبدأ التعميم اللسانيين إلى بناء نظريات تستوعب أكبر قدر ممكن من الظواهر والوقائع، مما يستدعي جهداً مضاعفاً من قبل اللسانيين من أجل مراجعة نظرياتهم حتى لا تصطدم بالوقائع الجديدة التي لا تستطيع استيعابها وتفسيرها، وذلك ما حدث عند (تشومسكي)، مثلاً حتى إنه يمكن اعتبار أصول النظرية التوليدية... نماذج يلغي بعضها بعضاً، فالنموذج المعياري، مثلاً هو نموذج تم إنشاؤه قصد استيعاب الدلالة كـمعطى فاعل في إظهار قدرة المتكلم على تكوين وفهم الجمل²، والجدير بالذكر أنّ (تشومسكي) توخى لبدء التعميم لم يتوقف عند النموذج المعياري*، بل طوّر النظرية التوليدية التحويلية كلما اقتضت الضرورة والوقائع "وتختلف درجة التعميم ما بين نظرية لسانية وأخرى، ونقصد بذلك أنّ هناك من النظريات ما توقفت عند حدود اللسان كما هو معروف عن النظريات البنوية بصفة عامّة، ومنها ما ارتقت في سلم التعميم إلى درجة قصوى، كالأهتمام باللغة وهو ما عُرف عن التوليدية³ فمبدأ التعميم أساس ثابت لكلّ نظرية علمية، لكن الواقع يثبت عدم قدرة النظريات العلمية والخطابات اللسانية الصمود أمام تغيير المعطيات والوقائع.

ج-البساطة:

يعتمد الخطاب اللسانيّ على البساطة في طرح الأفكار ومعالجة الظواهر، وذلك عكس ما يُشاع في الأوساط العلمية على أنّه خطاب معقّد، فمن أسس نجاح

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ص54.

2- محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية-البنوية والتوليدية-، ص50.
* نذكر أبرز النماذج التي طورها تشومسكي: النموذج ما قبل المعيار 1957، النظرية المعياري 1965، النظرية المعياري الموسّعة 1972، نظرية الربط والعمل 1981، نظرية المبادئ والوسائط 1986، البرنامج الأندوني 1995.

3- محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية-البنوية والتوليدية-، ص50.

النظريات والنماذج اللسانية بساطة تناولها، ومن مقومات البساطة في المقاربة اللسانية المعاصرة، تقسيم الظاهرة إلى أقسام أو إلى مستويات؛ بدراسة كل منها تتم دراسة الظاهرة¹، فالمتعارف عليه أنّ اللغة يشترك في تكوينها مكونات كثيرة (اجتماعي، نفسي، تداولي، تواصلية) فإذا قام اللساني بتجزئها الظاهرة اللغوية وتبسيطها إلى مستوياتها سهل عليه تحديد الموضوع المراد دراسته، ولإعطاء مثال أقرب عن ذلك وليكن مصطلح النسق، لقد طرح (سوسير) في نموذج تصورا للسان مبنيا على فكرة النسق والنظام، دون أن تكون الغاية فيما نفترض هي التبشير بالفكرة، فقد سبقه آخرون إلى هذا الكشف، وإنما ليبسط مفهوم اللسان وذلك بفصله عن أنساق أخرى تتشابه معه فتعقده، وهذا ما أضفى على سوسير صفة القائد² ويتشكّل كل خطاب لساني من جملة من القواعد والأسس تتراوح بين القلة والكثرة، فإذا كثرت القواعد المشكّلة للخطاب اللساني فهذا يجعل منه خطابا معقدا لا يمكن أن يفهم من قبل المتلقين، فمن مبادئ البساطة في اللسانيات، أنّه كلما كان عدد القوانين أقل والأحداث المغطاة أكثر كلما زادت درجة سهولة النموذج، ومن أسسها أيضا أنّه كلما كان النموذج سهلا وبسيطا، كلما كانت قدرته التفسيرية كبيرة³، ويمكن أن يكون الأمر أكثر وضوحا في العلوم التجريبية، فالملاحظ في الرياضيات والفيزياء قلة القواعد والقوانين، ومع ذلك فإنّها تغطّي الكثير من الظواهر والوقائع.

د- التجريد:

تطرّقنا في عنصر سابق إلى إثبات علمية الخطاب اللساني، إذ بدا في ذلك تأثر واضح بالمقولات الفلسفية والإبستمولوجية، ومنها مصطلح التجريد الذي يعني في ميدان الدراسات اللغوية "التعامل مع نماذج مجردة لا تصور الواقع كما هو، بل

1- محمد محمد العمري، الأسس الإبستمولوجية للنظرية اللسانية -البنوية والتوليدية-، ص 51.

2- المرجع نفسه، ص 52.

3- المرجع نفسه، ص ن.

تمثل نماذج افتراضية عن الواقع، وتختبر من أجل الملاءمة من عدمها من خلال مقارنة مدخلاتها ومخرجاتها بمدخلات ومخرجات الواقع. ولا يعني التجريد التطابق التام بين البنية الافتراضية والبنية الواقعية¹، فالخطاب اللساني التقليدي خطاب واقعي، يعتمد في مقارباته على تحليل البنى الظاهرة والشكلية ووصف جزئياتها ومستوياتها، ولا يتجاوز ذلك إلى التفسيرات الافتراضية، أما الخطاب اللساني التجريدي فلا يكثرث "لما هو في الواقع، فهو عقل بناء وعقل تأليف، يعتمد على الأكسيومية، وعلى المسلمات النظرية في بناء النماذج، والشبكات الرمزية، وما يهمه هو اتساقها، وليس انطباقها على الواقع، إنه عقل بناء، وليس عقل اكتشاف"². ولتوضيح الصورة أكثر يمكننا إعطاء أمثلة عن النظريات اللسانية التي تعتمد التجريد في تفسيراتها وتحليلاتها، ومن أهم الأمثلة على التجريد في الدراسة اللسانية الفرضية التي تعني أنّ عدد جمل اللسان لا نهاية له، وأنّ طول الجملة الواحدة ليس منته مبدئياً، رغم أنّنا لا ننجز إلا جملاً محدودة في طولها وعددها، لكن وحتى يسهل تفسير كفاءة المتكلم، كان لابد من بناء نموذج يحتوي ما هو قائم ويتنبأ بما يمكن أن يقوم³، وحتى يتحقّق التجريد في الخطاب اللساني ينبغي التعامل مع الظواهر بمبدأ المثالية، مثل ما جاء في النظرية التوليدية التحويلية من وضع لشروط المتكلم المثالي، والمجموعة اللسانية مثالية، ومثالية اكتساب اللّغة.

هـ- الصّورنة:

1- عبد السلام شقروش، اللسانيات التوليدية التحويلة والصورنة، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد: 12، العدد1، مارس2021، ص357.

2- سامي أدهم، فلسفة اللّغة تفكيك العقلي اللّغوي، المؤسسة الجماعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، لبنان، 1993، ص18.

3- محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية -البنوية والتوليدية-، ص53.

يعدّ هذا المبدأ هاما في الخطابات اللسانية المعاصرة، فقد انفتحت اللسانيات على العلوم المجاورة لها وبخاصة علم الرياضيات، وذلك قصد تحسين القدرة التفسيرية والتجريدية لنظرياتها، والاقتراب أكثر من العلميّة والموضوعيّة، والدقّة في نتائجها، فلقد دعا العديد من اللسانيين أمثال تشومسكي* إلى "ترييض اللسانيات" وتعدّ فيه الرياضيات وسيلة لصياغة المعرفة اللسانية صياغة واضحة، إنّها تمكن اللسانيّ من بناء نظرية مصورنة (**Formalized**) تعبر عن المبادئ والقواعد بشكل دقيق¹، ويعدّ مصطلح الصورنة دخيلا على العلوم الإنسانية بما في ذلك اللسانيات ولعلّ المقصود منه بصفة بسيطة "ترجمة الخطاب اللساني من اللّغة الطبيعية إلى اللّغة الصورية، والترجمة لا تعني الاكتفاء بنقل المفردات إلى مقبلاتها فحسب، بل تعني إعادة الصياغة وفقا للّغة المنقول إليها؛ إذ للغة الصورية قوانينها التي تربط بين مفرداتها"²، وليس المقصود بعملية الصورنة تحويل المفردات إلى رموز وصيغ رياضية، كأن نسمي الاسم (أ) والفعل (ف) والجملة (ج).

إنّ هذا يعتبر مرحلة أولية في عملية الترييض، أما المراحل المتقدّمة فتتمثّل في اعتماد التشجير، والتفريعات والأشكال الهندسية وغيرها، ومن أمثلة الاعتماد على الصورنة في اللسانيات المعاصرة ما قام به (دي سوسير) الذي تصوّر أنّ علم اللّغة ما هو في النهاية إلا نظريّة صورية تقوم بدراسة أشياء مؤمثلة لا تستنتج مباشرة من أحداث ملاحظة، رابطا بين اللسانيات والرياضيات التي تهتم بالطبيعة الفلسفية التي

1- روبر بلانشيه، الأكسيومية أو منظومة الأوليات، تعر: محمد بن جماعة، دار محمد علي للنشر، (د.ط) تونس، 2004، ص17.

*يقول تشومسكي في هذا الصدد "ستوجد التفسيرات فقط عندما ستصورن المبادئ العامة، يمكن إذا حينذاك بناء استدلال استنباطي يقودنا إلى الظواهر التي سنفسر" Botha,R,On The Galilean styl, lingua n58,(1982) p13.

2- عبد السلام شقروش، اللسانيات التوليدية التحويلة والصورنة، ص356.

تدرسها¹، إنّ الغاية من وراء صورنة الخطاب اللّسانيّ هي الثورة على الشكل والبنية التي شاعت في بداية القرن العشرين؛ واعتبرت النموذج المتبع وذلك لواقعيتها واستنادها إلى الملموس، لكنها على الرّغم من كلّ هذا لم تستطع تجاوز عتبة الشّكل إلى أن جاءت البحوث المتأخرة مع (تشومسكي) وغيره.

1- محمد محمد العمري، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية -البنوية والتوليدية-، ص 57.

الفصل الثاني: الخطاب اللساني العربي المغاربي، الماهية، الاتجاهات، المرجعيات.

أولاً: واقع اللسانيات في الثقافة اللغوية الغربية.

ثانياً: واقع اللسانيات في اللغويات العربية.

ثالثاً: البدايات الأولى لنشأة الدرس اللساني العربي
المعاصر.

رابعاً: الخطاب اللساني المغاربي المعاصر.

أولاً: واقع اللسانيات في الثقافة الغربية:

أدى ظهور أفكار (دي سوسير De Saussure) في ميدان البحث اللغوي، إلى تطوّر جليّ في اللسانيات الحديثة، وبناءً على هذه المكانة الهامة، يُعتبر (دي سوسير) المؤسس الأوّل لعلم اللسانيات في العصر الحديث والمعاصر، حيث يعدّ هذا العالم الشخصية الهامة التي غيرت أفكار القرن التاسع عشر في ميدان اللّغة وانتقلت بها إلى فترة العشرينات... ولا يستطيع أحد أن ينكر أهمية أعماله في علم اللّغة في القرن العشرين وهو الذي بدأه، وقد شُبه ظهور كتابه دروس بالثورة الكوبرنيكية، وإذا أردنا أن نصف شخصية (فاردنان دي سوسير) للقارئ العربي المهتم قلنا إنّه سيوييه اللسانيات في أوروبا¹، فهو يعدّ أولّ من أضفى طابع العلميّة على الدّرس اللّغويّ، ما جعلها مميّزة عن الدّراسات اللّغويّة الأخرى.

لم يستطع (دي سوسير) تأليف كتاب يجمع فيه أفكاره في اللسانيات حتى وفاته عام 1913م، وبعد وفاته قام اثنان من تلامذته (شارل بالي وسيشهاي) بتحقيق هذا الهدف، من خلال جمعه من مدوّنات زملائهم في كتاب ظهر سنة 1916م بعنوان: محاضرات في اللسانيات العامة (cours de linguistique general) الذي عدّ ثورة في اللسانيات اللّغوية². لقد اهتمّ المفكرّون والدّارسون آنذاك بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً، على الرّغم من الدّمار الفكريّ والحضاريّ الذي سبّبته الحرب العالمية الأولى، وقد انتشر كتابه بعد أن تُرجم إلى لغات كثيرة منها التّرجمة اليابانيّة، الألمانيّة الروسيّة، الإنجليزيّة والبولونيّة، ولم ينقل إلى اللّغة العربيّة إلى في بداية السبعينات، أي بعد سبعين سنة من صدوره.

¹ - ميشال أرفيه، البحث عن فرديناند دي سوسير، تر: محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1، بيروت، ص9.

² - محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1. بيروت، 2004م، ص10.

إنّ هذا الكتاب الذي نُشر بعد وفاة (دي سوسير) كما تدل على ذلك هوامش ناشري تلك المحاضرات؛ يوصف في بعض الأحيان بأنه يناقش أفكار (دي سوسير) مناقشة بسيطة، وقد أوصلت إلينا أعماله التي ظهرت مؤخرًا... أفكارًا جديدة تنوّر اهتمام اللغويين بفكره¹، فالتأمل والمتفحص لذلك الزخم المعرفي الكبير الذي يملأ هذا الكتاب، سوف يدرك أنّ كاتبه قد انفصل وقاطع الأفكار القديمة حول اللغات، لذلك فمن غير المعقول للمتبعين لتطور الدراسات اللغوية، إنكار القطيعة التي أحدثتها الفكر اللساني الحديث مع الأفكار اللغوية القديمة، ومن المتفق عليه اليوم في الأوساط اللسانية "أن ننشد صفة (علمية) اللسانيات الحديثة لتكذيب تلك النظرية اللسانية ألا وهي النحو التقليدي، ومن اليقيني إهمالنا متانة هذا التقليد ويكفي أن نرى كم هو من العسير التخلّص من هذا النحو التقليدي أو مقارنته برؤية جذرية جديدة"²، ومن هذا المنطلق، فلقد تمّ الابتعاد عن كثير من الأفكار التي لها علاقة بأصل اللغات ونشأتها وما شابه ذلك، إضافة إلى ما جاءت به اللسانيات من مناهج نظرية جديدة تقوم على الوضوح والدقة في أدوات التحليل وتقنياته³.

لكن ستظلّ قطيعته تلك في جوهرها المعرفي والابستمولوجي إستمرارية للفكر اللغوي القديم، إذ إنّ التطور المنهجي الذي كان يتبناه يقتضي -حسب الضرورة المنهجية- وجوب تقويم الفكر اللغوي القديم، وغايته من ذلك تحديد البعد الفكري والمعرفي للدراسات اللغوية عبر الحقب الزمنية المختلفة، وإن كانت الدراسات اللغوية "في القرن التاسع عشر قد ابتعدت عن التأثيرات الفلسفية وسلكت مسلك علوم الأحياء حيناً، والعلوم الطبيعية (البيولوجيا) حيناً آخر فإنها اعتمدت في القرن العشرين

¹ - ميشال أزيغيه، البحث عن فرديناند دي سوسير، ص 7.

² - كاترين فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1984م، ص 12.

³ - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 99.

نزعة استقلالية ترى اللّغة فيها من خلال النّص أي من داخل نفسها¹، ومن هنا فقد توضح لدي سوسير بواسطة المراجعة التاريخية أنّ الدّراسات اللّغوية في الحضارة الغربيّة القديمة مرّت بمراحل ثلاث أساسيّة:

I-مرحلة النّحو المعياري:

انطلقت هذه المرحلة من النّشاط اللّغويّ اليونانيّ وتطوّرت تحت تأثير الجهود الفرنسية، وبخاصّة قواعد اللّغة في مدرسة بورت روابال، ولم يهتمّ اللّغويّون في هذه المرحلة باللّغات كما تستعمل في واقعها اليوميّ، بل كانوا ينظرون إليها انطلاقاً من "نموذج لغويّ محددّ سلفاً تتوافر فيه مقاييس معيّنة (اللّغة الجيدة) لقد اهتمّوا بما ينبغي أن يُقال تاركين ما يُقال فعلاً لذا تمّ تجاهل ملاحظة الظواهر اللّغوية الموضوعية²، وهي أيضاً أبحاث تعتمد في جوهرها على المنطق وأدواته (المفاهيم والاصطلاحات) وتكاد تخلو من أيّ مقارنة علميّة واقعيّة للّغة من حيث هي وظيفة وإنجاز فعليّ للكلام، فالمعيارية بنيت على أساس فكرة قديمة مشهورة تمثّلها العبارة الآتية: اللّغة هي ما يجب أن يتكلّمه النّاس، وليست ما يتكلّمه النّاس بالفعل³. لقد كان الهدف من هذه الدّراسة هو وضع قواعد ومعايير قارّة تستند إلى مبدأ الخطأ والصواب، ولهذا أُطلق عليها اسم الدّراسة المعيارية أو النّحو المعياريّ.

2-مرحلة فقه اللّغة المقارن:

انفتح عصر النّهضة للعديد من الثقافات غير الأوروبيّة، وتميّز بالاهتمام المتزايد باللّغات الأجنبيّة، وبالأخصّ بعد التوسّع التجاريّ والسياسيّ لأوروبا، ومع التطوّر الحاصل في القرن الثامن عشر؛ شهدت الدّراسات التي تهتمّ باللّغة تطورات

1-أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، دط، الرياض، 2003م، ص72.

2- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص137.

3- كمال محمد بشر، دراسات في علم اللّغة، دار المعارف، ط9. القاهرة، 1986م، ص50.

كبيرة، وتعدّ اللّغة السنسكريتية أهمّ اكتشاف حقّقته، حيث اعتبر اكتشافها مرحلة مصيرية وثوريّة في تاريخ الدّراسات اللّغويّة، لإسهاماتها الكبيرة في بعث الأبحاث اللّغوية، وقد أتى هذا الاكتشاف الهامّ بعد تعرف الدّارسين عليها، وأهمّيّتها التّاريخية بحكم أنّها تحمل تراث إحدى أقدم الحضارات الإنسانيّة وهي الحضارة الهندية، التي سبقت نظيراتها الأوروبيّة في مجال البحث اللّغوي... ولم يأت هذا الاكتشاف دفعة واحدة، إذ بدأ التركيز على المقارنة عند كثير من مفكّري اللّغة في عصر النّهضة وما بعدها أثناء القرن التاسع عشر¹، ولم تكن المقارنة مقتصرة فقط على الدّراسات اللّغويّة؛ بل كانت موجودة في جميع المجالات العلميّة كالعلوم الطبيعيّة والتاريخ وغيرها.

استُخدم مصطلح (النحو المقارن Comparative Linguistics) ليُشير إلى دراسة اللغات من خلال المقارنة بينها، وظهر هذا المصطلح خلال القرن التاسع عشر بالتحديد، كانت هذه الدّراسة ممتدة من عام 1800م حتى عام 1875م. عندما اكتشف الأوروبيون الروابط بين اللغات القديمة مثل السنسكريتية واليونانية واللاتينية، اهتموا بإيجاد أصول مشتركة بين هذه اللّغات في جميع جوانب ومستويات اللّغة: (الصوتية، والصّرفية، والتركيبيّة، والدلالية) ثمّ قاموا بمقارنة هذه اللّغات موضّحين العلاقة فيما بينها، وابتكروا عائلات ومجموعات لغويّة لتصنيف اللّغات حسب علاقاتها، فهذه الدّراسات المقارنة في اللّسانيات ساعدت كثيرا في فهم أصول اللّغات وعمليّة التطوّر اللّغوي، وكانت النتيجة تصنيف اللّغات إلى مجموعات لغوية تعتبر منفصلة، واعتبر هذا العمل الأساس لتطور علم اللّغة التاريخيّ واللّسانيات المقارنة. وتقوم اللّسانيّات المقارنة على عدّة مبادئ أهمّها، أنّه من الممكن باستعمال مقارنة الأنظمة النّحوية للّغات وضع مجموع معايير التقابلات بين أصوات اللّغات وصيغها،

¹ - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص142-143.

ثم إعادة تشكيلها للوصول إلى أسس تطورها... وينطلق المنهج المقارن من قضايا قد تكون واقعية؛ أي عناصر لغوية محققة تعزى إلى لغة معينة في حالة معينة حاضرة أوقديمة¹، على الرغم من شعبية وتوسع الدراسات المقارنة في أوروبا وانتشارها، إلا أنها تعاني العديد من النقائص الأخطاء والمنهجية، وأهم هذه الأمور هي:

أ/ غياب تصور نظري محدد لمعالجة التطور اللغوي من وجه مقارنة.

ب/ اعتماد فرضيات خاطئة بشأن نظام اللغة السنسكريتية.

ج/ غياب الواقعية اللغوية مقابل العناية الفائقة بالتفاصيل والجزئيات².

وقد دفعت هذه السلبيات العديد من الباحثين إلى التشكيك في أهمية البحوث المقارنة، لأن أساس المنهج المقارن يقوم على تجاهل الحاجة للجانب النظري والعلمي، إضافة إلى إشكال آخر تمثل في التعالي عن الموضوع أو الانحراف بعيداً عن الوقائع اللغوية، ولذلك فكر علماء اللغة في البحث عن بديل لهذا المنهج.

3-مرحلة الفيلولوجيا:

يهدف هذه المنهج إلى توضيح وتفسير النصوص القديمة، لاعتقادهم أن اللغة وسيلة وليس غاية بحد ذاتها، وتتميز المنهج بعمقه؛ حيث يغطي بشكل جوهري النصوص المكتوبة باللغتين اليونانية واللاتينية؛ لذلك لا يركز علم الفيلولوجيا على اللغة كغاية في ذاتها، ولكن كوسيلة لفهم ما هو خارج نطاق اللغة ذاتها، ففقه اللغة لا يلتزم بدراسة اللغات فقط، ولكنه يتوسع ليجمع إلى ذلك دراسات تشمل الثقافة والتاريخ والأعمال الأدبية للغات موضوع الدراسة³، وموضوع الفيلولوجيا كما هو معلوم يتمثل في دراسة النصوص المكتوبة، وتحقيق كل ما له علاقة بمحتواها

¹ - مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص150-151.

² - المرجع نفسه، ص160-162.

³ - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر وتع: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، 1985م، ص41.

الشفاهي، ومن ذلك قول جون ليونز (John Lions): "وقد تعود علماء النحو التقليديون على الاهتمام باللغة المكتوبة وتجاهل الفرق بين الكلام والكتابة، وإن لم يهملوا اللغة المنطوق بالكلية، وينظرون إليها على أنها صورة غير كاملة من اللغة المكتوبة، في حين معظم علماء اللغة الآن يرون لغة الكلام أولاً واللغة المكتوبة ثانياً"¹.

بناء على ما سبق يعتبر فقه اللغة أداة تتعلق فقط بالعناصر اللغوية بعيداً عن الطبيعة العلمية والموضوعية للسان، حيث يجب وصف هذه الظاهرة بشكل مستقل ومنفرد عن أي ارتباط اجتماعي أو غاية محددة، وهذا ما يشير إليه (فؤاد حنى ترزي) من تعريفه لعلم اللغة حيث يقول: "المقصود بعلم اللغة هو دراسة اللغة بصورة عامة واستخلاص قواعد تتعلق بأصولها وتراكيبها ودلالة ألفاظها مفردة ومركبة، على أن تكون هذه الدراسة دراسة تحليلية مبنية على حاضر اللغة وواقعها"²، فكل دراسة لا تتخذ اللغة موضوعاً لها، وتقوم بتحليلها بهدف استنباط قواعد عامة؛ لا فائدة لها إلا في المجالات التاريخية والثقافية والأدبية، ومن هنا المنطلق تعتبر الفيلولوجيا مجانية للهدف المطلوب من كل دراسة لغوية دقيقة وواقعية.

وقد قدّم (دي سوسير) رأيه بشأن الدراسات الفيلولوجية القديمة، حيث يقول: "وأما الفيلولوجيا فقد وصلنا بعد إلى موقف ثابت بشأنها، أنها تتميز عن الألسنية تميزاً جلياً رغم نقاط الاتصال بين العلمين والخدمات المتبادلة بينهما، وفي الأخير يمكن أن نتساءل: ماهي جدوى الألسنية؟"³. ويمكن مما سبق طرحه أن نبين الفوارق

¹ - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 59.

² - فؤاد حنا ترزي، في أصول اللغة والنحو، مطبعة دار الكتب، دط. بيروت، 1969م، ص 13.

³ - فردينان دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، دط، الرباط، 2008م، ص 25.

بشكل دقيق بين اللسانيات العامة (*linguistique générale*) وبين الدراسات الفيلولوجية القديمة (*philologie*)، أنّ هذه الأخيرة نابعة من جوهر كل لغةٍ ومن واقعها ويقتصر عملها في خدمتها دون نظر إلى غيرها، أمّا علم اللغة العام فهو يصدر عن اتجاه عالمي، يقوم على فكرة وجود خصائص وقوانين صوتية واجتماعية شاملة توجّه سائر اللغات في تطورها اللامتناهي الذي لا يتوقّف عند حد¹، فمهمّة كلّ لساني ولغوي هي اكتشاف أوجه التشابه والاشتراك بين اللغات المختلفة، ومحاولة ترجمتها في نظرية لغوية شاملة لجميع اللغات البشرية. ولقد بين (سوسير) من خلال ثنائياته المشهورة الدراسة اللغوية التعاقبية/تزامنية؛ إمكانية دراسة اللغة من خلال بعدين هما:

أ- البعد التاريخي أو التعاقبي (*Diachronic*): وهو الذي يتتبع تطوّر اللغة على مرّ الزمن، ويتميّز بدمج التأثيرات اللغوية المختلفة من دون تصنيفها بشكل واقعي، وهو أكثر بساطة وأقلّ أهمية وقد يؤدي إلى نتائج خاطئة في تفسير أحداث لغوية تاريخية غير مترابطة؛ لأنّ الحقائق التاريخية اللغوية غير متّصلة بالحقائق الوصفية التي سببتها.

ب- البعد الوصفي أو التزامني (*Synchronic*): وهو الذي يُعنى بدراسة المستوى اللغوي لفترة معينة اعتماداً على الاستقراء الشامل للأمثلة، ويستبعد أيّ تفسير تاريخي للتغيرات التي تطرأ عليه²، ويركّز على الظواهر المعاصرة، ويستبعد الزمن ولا يخلط بين التنظيم اللغوي الآني كواقع مستقلّ والبعد التاريخي للغة.

ومع التطوّر الحاصل في العلوم، أصبح علم اللغة جسراً يربط بين جميع التخصصات الإنسانية المجاورة له، سعياً منها لتحقيق مكانة في مجال العلوم

¹ - محمد محمد حسين - فقه اللغة بين الأصالة والتغريب-، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض، العدد 20، 1981م، ص 180.

² - أحمد عبد العزيز دراج، الاتجاهات المعاصرة في تطور الدراسات اللغوية، ص 80.

والأبحاث الدقيقة، ولا يمكن لأحد أن يشكك في هذا الإنجاز، فاللسانيات قد أصبحت في ميدان الدراسات الإنسانية مركز الجذب والتأثير بلا منازع، فكل تلك المعارف أصبحت تعتمد - سواءً في مناهج بحثها أو في تقدير حصيلتها العلمية - على علم اللغة وما تنتجه من تقارير علمية ومناهج في البحث والاستتباط¹، والسبب الذي جعل اللسانيات في صدارة العلوم الإنسانية هو أنها متميزة بمنهج علمي جعلها قريبة من العلوم الصحيحة²، فالعلمية تشتمل على العديد من المصطلحات والأفكار منها: الدقة والموضوعية والوصف والتحليل كآليتين ملازميتين للعمل اللساني.

لقد انطلقت اللغويات في الثقافة الغربية من إعادة النظر في طبيعة اللغة واعتبارها نظاماً من العلامات والرموز، حيث وجد المؤسسون الأوائل مثل (فردينان دو سوسير) أنه من الضروري مراجعة البحث في موضوع الدراسة اللغوية، التي ينصب اهتمامها على دراسة اللغة كظاهرة بشرية، بهدف اكتشاف وتحديد القوانين التي تحكمها بغض النظر عن تجلياتها الاجتماعية.

وارتكزت اللسانيات المعاصرة حسبما يُفرض إليه الفحص الأصولي الإبيستيمولوجي (Épistémologie) على ركيزتين أساسيتين لا تخلوان من تناقض، تتمثل الأولى في البحث في اللغة من حيث هي ظاهرة بشرية عامة، فإذا باللسانيين يعكفون بموجب ذلك على تحسس قوانين الكلام بصرف النظر عن تجسده النوعي في أي لغة ما، وتتجسد الثانية في السعي إلى فهم الموضوعية العلمية في وصف الظاهرة اللغوية فانتهاوا إلى تنفيذ المطارحات الميتافيزيقية وأبعدوا بذلك فلسفة اللغة من مباحثهم³، وعلى هذا الأساس تخلت اللسانيات الحديثة عن كثير من الأفكار... المتعلقة بأصول اللغات ونشأتها والمفاضلة بين الألسن وما شابه ذلك، إضافة إلى ما

¹ - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 1986م، ص9.

² - حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص71.

³ - المرجع نفسه، ص16.

جاءت به اللسانيات من روح نظرية ومنهجية جديدة، تقوم على وضوح الأسس والبرهنة على الاستدلال والصياغة الصورية وعلى الدقة في أدوات التحليل وتقنياته¹، فعلم اللغة تجاوز العلوم اللغوية القديمة والقواعد النحوية الكلاسيكية، للتركيز على غاية محددة وحساسة هي دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، ففي الثقافة الغربية تطوّر هذا الاتجاه تطوراً طبيعياً عن طريق الاستمداد من الفكر الغربي نفسه، حيث انبثق نتيجة لثورة علمية تجديدية .

لقد كان تأثير اللسانيات جلياً وبشكل قويّ في جميع الثقافات واللغات المختلفة، وذلك راجع إلى وضوح أسسها العلمية النظرية، وجلاء مبادئها الفكرية والفلسفية، حيث لم تكن اللسانيات تحمل أيّ تحيز عرقيّ، ولم تدعم أيّ فئة على حساب أخرى؛ بل كان هدفها الدراسة الموضوعية لجميع لغات العالم؛ لذلك انبرى العديد من الباحثين والعلماء على دراسة اللسانيات، معتمدين على منهجيتها الدقيقة، ليقتربوا من لغاتهم بهدف فهم نظامها وطريقة تكوينها، ومن هنا نتساءل: كيف تعامل اللغويون العرب مع علم اللسانيات؟ وما حدودها التاريخية في الثقافة العربية؟

ثانياً: واقع اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية:

1- ماهية الكتابة اللسانية المعاصرة:

إنّ الهدف من تعريف الخطاب اللساني المعاصر هو بيان جوهره ومنطلقاته، إضافة إلى تمييزه عن الخطابات الأخرى القريبة منه، التي سببت إرباكاً في القدرة على تمييزه، ونتيجة لذلك قد تكون هناك مفارقات واختلافات في الأهداف والمناهج والرؤى، فمن عادة اللسانيين العرب الجمع بين ما هو لساني غربيّ النشأة، وبين الجهود التراثية اللغوية العربية لقيمتها العلمية والتاريخية، فمنطقياً لا توجد علاقة واضحة تجمع بين اللسانيات الحديثة والجهود التراثية، خاصة على مستوى الأسس

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013، ص15.

والمنطلقات والأهداف والمنهج، ومن هنا يمكن القول إنّ التعريفات التي أشارت إلى مصطلح الخطاب اللساني ضئيلة جداً، لعلّ أهمها تعريف (بشير إبرير) بقوله: "الخطاب اللساني هو إذن خطاب علمي له:

1- حدّ أو ماهية؛

2- مادة أو موضوع أو ظاهرة؛

3- غاية أو أهداف يودّ تحقيقها من خلال تطبيقاته المختلفة؛

4- منهج يستخدمه في تلك التطبيقات؛

5- لغة تميّزه عن غيره من الخطابات كالآداب أو الفلسفة مثلاً¹، من خلال هذا التحديد نرى أنّ الكاتب ركّز على توضيح الأساس العلمي الذي يشمل المحتوى والموضوع والغرض والمنهج واللغة، وهي عناصر يجب أن تكون متواجدة في أيّ خطاب لساني، والخطاب الذي لا يتوفر على أيّ من هذه العناصر؛ يعدّ مبتوراً وقد لا يفي بمتطلبات العلم، غير أنّ التحديد لا يتميّز بشموليته لكافة عناصر الخطاب، فهو لم يقدّم بتحديد الجوانب المميّزة للخطاب اللساني المعاصر.

ويُضاف إلى هذا التعريف تعريف آخر لـ (مصطفى غلفان) حيث عرّف الخطاب اللساني بقوله: "نقصد به الخطاب اللساني الذي تعكسه الكتابات اللغوية التي تستند نظرياً ومنهجياً إلى المبادئ التي قدمتها اللسانيات في مختلف اتجاهاتها الأوروبية والأميريكية، في إطار ما أصبح يعرف باللسانيات العامة"²، ما يميّز هذا التعريف تركيزه الواضح على ربط دوال الخطاب اللساني العربي بالأسس اللسانية أو مبادئ علم اللسان العام، فالباحث استلهم تعريفه من تحليل ونقد الكثير من الدراسات اللسانية العربية، فبالإضافة إلى هذا التعريف معياراً -في نظره- لتمييز الكتابات اللسانية العربية المؤسسة عن غيرها، فالتّي تعتمد على أسس علم اللسان العام

1- بشير إبرير-الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة-، ص85.

2- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص84.

تعتبر ضمن الخطاب اللساني، بينما الكتابات التي لا تعتمد عليها تعتبر خارجة عنه وتُصنّف في نمط كتابي آخر مع مميزات وغايات خاصة به.

2- حفريات الكتابات اللسانية العربية:

انبهر المنشغلون باللّغة العرب بشكل كبير بأسس ومبادئ اللسانيات الحديثة، حيث لا يمكن لأيّ باحث أن يفهم لبّ الأبحاث اللسانية العربية إلا عن طريق العودة إلى التاريخ والملابسات التي رافقتها، ربما يكون المنهج الأمثل - حسب رأينا - لفهم الانطلاقة الأولى لتكوين الدرس اللغوي العربي؛ هو البحث أو تأصيل الدراسة اللسانية العربية، انطلاقاً من أولى الدراسات التي تأثرت بالدرس اللساني الغربي، فمن خلال بحث جذور الدرس اللساني الحديث، يمكننا أن نفحص الخصوصيات والأسس التي تم بناؤها عليها، والمؤثرات التي تأثرت بها، ومن هنا فالحوض في أصول تشكّل الخطاب اللساني في الثقافة العربية، وفي ظروفه ضروري لأن طرائق الظهور الأولى هي التي تتصرّف - عادة - في رسم طرق التلقّي¹.

ويمكن أن نعصد هذا الرأي برأي (عبد الرحمن حسن العارف) الذي يرى بضرورة العودة إلى الماضي الذي يسبق الفترة المدروسة حيث يقول: "إنّ دراسة الفكر اللساني لأمة من الأمم ومحاولة رصد اتجاهاته في فترة زمنية من فترات التاريخ، تتطلب العودة إلى الماضي القريب الذي سبق الفترة المدروسة وقراءته قراءة تشمل جميع جوانبه، السياسي منها، والاجتماعي والفكري، وذلك من أجل ربط النتائج بمقدّماتها، وتوضيح العلائق التي تصل بين البيئة التي نشأ فيها ذلك الفكر والتيارات والظواهر الثقافيّة التي أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في قيام حركة لسانية

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت 2009م، ص19.

متميزة¹، وبناءً على هذا القول، نرى أنّ العديد من البحوث حاولت إجراء دراسة تاريخية للكتابات اللسانية، فقاموا باعتماد المقاربة التاريخية (التطورية) للوصول إلى هذا الهدف، حيث توصلت هذه المقاربة من البحث في ذاكرة الماضي لربطه بالحاضر، وعلى الرغم من ذلك بقيت هذه الأبحاث مهمشة في الثقافة اللغوية العربية، حتى وإن كان لها أهمية في كشف كثير من الإشكاليات الحالية للسانيات في اللسانيات العربية.

والسبب في تبني طريقة المسح التاريخي، لا يعني نهائياً الرغبة في الرجوع إلى الوراء، أو تمجيد الماضي والبكاء عليه والتعلق به، إضافة إلى أنّ هذا لا يعني تحميل الماضي المشاكل الموجودة في العصر الحاضر، في أشكاله المختلفة ومواقفه المتباينة، بل إنّ دراسة علاقة اللسانيات بالدراسات العربية الحديثة في مجالها التاريخي، يساعد على فهم دقيق لما جرى آنذاك وما يجري الآن، وبالتالي سنتمكن من استنتاج مثمر وأوضح للعلاقة بينهما²، فالأحداث التاريخية تبين بوضوح ملامسات تلقي اللسانيات عند العرب، فيكون بذلك تشخيص الواقع اللساني له أهمية بالغة.

أعجب كثير من البحثة اللغويين العرب بأسس اللسانيات كغيرهم من الباحثين في ثقافات أخرى، وحاولوا إذاعتها كمنهج لغوي حديث، ففي الثقافة اللغوية العربية لم تصدر تلك المبادئ عن تطوّر لغوي خالص وليد للثقافة العربية؛ وإنّما جاءت جاهزة من الغرب، دون أن ننكر ما كانت تزخر به الجهود التراثية القديمة، ولكننا نسلط الضوء على ما تعلق باللسانيات الحديثة.

1- عبد الرحمن حسن العارف، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2013م، ص34.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس ط1، الدار البيضاء، 2006م، ص6.

لقد قُسم الدرس اللساني العربي عند بعض الباحثين زمنياً إلى مرحلتين اثنتين حيث يقول (أحمد قدور): "ويمكن للدارس أن يتبين أن واقع اللسانيات عندنا مرحلتين، امتدت الأولى من صدور كتاب (على عبد الواحد وافي) علم اللغة مطلع الأربعينيات إلى بدء عقد السبعينات، على حين أن المرحلة الثانية بدأت مع السنوات الأولى من السبعينات ولا تزال مستمرة إلى أيامنا هذه"¹، إن هذه النظرة لا ينفرد بها هذا الباحث لوحده؛ فهناك من يشاطره الرأي في ذلك ويتعلق الأمر بما أوردته (فاطمة الهاشمي البكوش) بقولها: "واللسانيات العربية عموماً، تصنف اليوم في حركتين أو نشاطين مختلفين منهجياً هما: نشاط لساني بنوي وصفي ظهر في مصر تحديداً على شكل جهود فردية بعيدة عن نشاط المؤسسات اللغوية القائمة التي رفضت تبني هذه الجهود أو الاضطلاع بها وإنشاء وضع لساني من خلالها، ونشاط لساني نشأ في إطار اللسانيات التوليدية ويتجه نحو الفكر اللغوي التفسيري"²، فقد اختارت الباحثة الاتجاه بالدراسة نحو النشاط اللساني المبكر، وهو عمل-في نظرها- لم ينشغل به البحث اللغوي المعاصر.

واستنتجت من ذلك بعض الدراسات والأبحاث، واعتبرت أن العديد من اللسانيين وقعوا في خلط منهجي واضح حين اعتقدوا أن اللسانيات العربية ترجع إلى القرن التاسع عشر (19) وهو بذلك يصنف في اللسانيات العربية جميع البحوث التي اعتمدت المنهج التطوري، والفيلولوجي، والتأريخي، وهو يرجح أن علم اللغة العربي مرّ بأربع مراحل: "لسانيات تطورية، ولسانيات تاريخية، ولسانيات بنوية ولسانيات توليدية"³، وهي بالفعل المراحل التي مرّ بها النشاط اللساني العربي، فهل من

1- أحمد محمد قدور، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ط1، لبنان- دمشق سوريا 2001م، ص15.

2- فاطمة الهاشمي البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، إيتراك للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2004م، ص3.

3- المرجع نفسه، ص5.

الممكن أن تتجاهل الباحثة كل المراحل السابقة للمرحلة الوصفية العربية؟ وما الأساس النظري الذي اعتمده في إبعاد تلك المراحل الهامة؟

يشهد التقسيمان السابقان إهمالاً لفترة هامة وخطيرة في مجال البحث اللغوي العربي، وهي فترة عصر النهضة العربية، والتي تؤثر في تشكيل أولويات دراسة اللسانيات العربية، سنستعرض في الجزء التالي أهم الجهود اللغوية المبذولة في هذا العصر حيث كانت للثقافة العربية الحديثة ثلاث فرص تاريخية حاسمة للتعامل بشكل إيجابي مع الفكر اللساني الحديث المستورد من الغرب، وتتجلى هذه الفرص في محطات تاريخية كبيرة في الفكر العربي الحديث هي:

-أولاً: النهضة العربية الحديثة.

-ثانياً: اهتمام المستشرقين باللغة العربية¹. فهل ضيَع اللغويون العرب آنذاك فرصة الالتحاق بركب الدراسة اللسانية العالمية؟ وما الامكانيات التي كانت متاحة لهم؟

2-1- الجهود اللغوية العربية في عصر النهضة:

يُمثّل لعصر النهضة عند العرب؛ بالحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونبارت (Napoléon Bonaparte) على مصر سنة 1789م وتواصلت حتى سنة 1801م، حيث اعتبرها (حامد حنفي داوود) أشبه بالنافذة الكبيرة التي أطلت منها مصر والمشرق على مكتشفات هذه الحضارة الحديثة، والعلوم المدنية فأيقظت منها هذا التخلف الذي كانت فيه²، فلقد شكّل القرن التاسع عشر (19) منعطفاً حاسماً في تكوين الفكر العربي الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام حتمية القيام بمشاريع إصلاحية كبيرة على المستويات كلها، وضرورة مراجعة أوضاع هذا الفكر لمسايرة

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 68.

2- حامد حنفي داوود، تاريخ الأدب الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، سط، الجزائر، 1993م، ص 18.

التطوّر الحاصل في أوروبا، الذي أبهر العرب للمرّة الأولى مع الحدث الاستعماري¹ فانبهر العرب بكلّ ما أتت به هذه الحملة من وسائل وعلوم، فكانت أول احتكاك فعليّ بالغرب.

هذا العصر تميّز بالعديد من السمّات التي أثرت مباشرة على التوجّهات اللغوية في الفترة التالية، من بينها نشاط حركة الترجمة إلى العربية، التي رافقت نقل العلوم الغربية إلى اللّغة العربية، وفي الوقت نفسه فتحت الباب بشكل واسع لدخول ألفاظ جديدة إلى اللّغة العربية، والتي تتعلق بالعلوم والفنون والاختراعات ومستحضرات العناية بالصحة والمطاعم والمشروبات ... الخ. ولذلك كان هناك بحث مستمر عن "المصطلحات والتّعابير العربيّة الجديدة الملائمة للمعلومات والألفاظ المنقولة عن اللّغات الأجنبيّة، حمل عبء هذه التّرجمة أعضاء وفود البعثات التي تمّ إرسالها إلى أوروبا عهد محمّد علي...لتحصيل العلوم الأوروبية الحديثة ونقلها إلى العربية"².

فأصيب العرب بالذهول والانبهار من كلّ أشكال العلوم والمعارف، بما في ذلك العلوم اللغوية الغربية في تلك الفترة، لذلك قد يكون من الصّعب تحديد بدايات انتقال الفكر اللغويّ العربيّ الحديث إلى مجال التفكير اللغويّ في العالم العربيّ بدقّة، ولكن من المؤكّد أنّ هذه البدايات تعود إلى بداية الاتّصال الفعليّ بالحضارة الغربية في ذلك الوقت.

إنّ اللافت للنظر في هذه المرحلة أنّ المعضلات اللغوية التي سيطرت عليها تموضعت حول اتفاق المهتمّين باللّغة حول أهميّة تجديد اللّغة العربية وترقيتها استجابة لحاجات التطور الفكريّ الحديث، وساهمت المشاكل التقنية الناتجة عن الترجمة إلى العربية في تسيير اهتمامات اللسانيين العرب إلى البحث في كلّ ما من

1- فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص14.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص8.

شأنه أن يساهم في إيجاد المصطلحات العلمية وألفاظ الحياة اليومية وتطوير طرق العربية¹، كما تميّزت الكتابة اللغوية النهضوية "بالبحث في الوسائل الكفيلة بتنمية اللغة العربية وجعلها مسايرة لما يطرأ على الحياة العربية من جديد في شتى مناحي العلم والعرفان"²، فلم يهتم الرواد في تلك المرحلة بالبحث اللغوي الراهن؛ بل أصرّوا على إحياء اللغة العربية القديمة، وجعلها متماشية مع التطورات المستجدة.

من بين الجهود اللغوية الأولى التي قدّمتها (رفاعة الطهطاوي) كان اهتمامه بدراسة اللغات واللغة الفرنسية خلال بعثته هناك، وظهرت بعض أفكار الدراسة اللغوية الحديثة في مقالات نشرها في المقتطف، وفي كتابات (جورجي زيدان) الذي نشر كتابين عن اللغة. أحدهما (الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية) 1886م، والآخر بعنوان: (اللغة العربية كائن حي) وحاول فيهما تقديم آراء علماء اللغة الغربيين حول طبيعة اللغة ووظيفتها وطرق تحليلها والاستفادة من ذلك في دراسة اللغة العربية، واعتمد على الترجمة من كتب المستشرقين وخاصة الألمان.

إنّ هذه الكتابات التي برزت في عصر النهضة كان لها أهمية بالغة، تتجلى في المكانة الجليلة التي أصبح البحث اللغوي يتمتع بها في الثقافة العربية الحديثة، فلقد أثبتت كتاباتهم على مكانة الفكر اللساني عامّة وعده مفتاحاً لتخصّصات معرفية أخرى، وعلى مطلب التسلّح بالعلم اللغوي الحديث القادم من أوروبا التي أضحت تشكّل مثالا يُمتثل به³، فخلال عصر النهضة كانت هناك فرصة ثمينة للانضمام إلى نجاحات الثقافة اللغوية الغربية التي كانت تشهد ثورة تجديدية في جميع المجالات العلمية، بما في ذلك اللغويات، ومع ذلك لم يستغل العلماء اللغويون العرب

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص9.

² - المرجع نفسه، ص10.

³ - المرجع نفسه، ص18-19.

هذه الفرصة على النحو الصحيح؛ بل نظروا إليها على أنها تأثير خارجي يجب محاربتة ورفضه.

2-2- ملامح الاتجاه التاريخي والمقارن في الكتابات النهضوية:

في عصر النهضة، لم يكن اهتمام الدارسين اللغويين منصباً على جعل اللغة العربية متطابقة مع التطورات الحديثة في مختلف مجالات العلم والمعرفة فحسب؛ بل كانت لديهم اهتمامات أخرى تتعلق بالأبحاث اللغوية التي كانت رائدة في الساحة اللغوية الأوروبية آنذاك، ومن بين تلك الاهتمامات كان الاتجاه التاريخي-المقارن، حيث بدأت ملامح هذا الاتجاه تظهر في كتابات بعض النهضويين من أمثال (إبراهيم اليازجي)، و(رفاعة الطهطاوي) و(جرجي زيدان)... حيث ألقى (اليازجي) منذ 1881م محاضرة بعنوان (أصل اللغات السامية) وقف فيها على حدود الأصل المشترك بين العربية واللغات السامية¹، فالبحوث المقارنة في أوروبا في تلك الفترة كانت قد قطعت شوطاً كبيراً، لم يصل صداه إلى العرب إلى بعد فترة طويلة من صدوره.

ويُضاف إلى جهد هذا الأخير ما قام به (رفاعة الطهطاوي) وبخاصة بعد رجوعه من بعثته إلى فرنسا، وكان تأثره واضحاً بالعلوم والثقافة الفرنسية حيث حاول أن يقوم بعض الأفكار الخاطئة التي كانت منتشرة بين أبناء قومه في جامعة الأزهر²، حاول (الطهطاوي) أن يقارن بين اللغتين العربية والفرنسية من خلال التحدث عن المحسنات البديعية في اللغتين ومقارنتهما، يُلاحظ أن (الطهطاوي) نجح في تمكين المنهج المقارن، مما ساهم في إخراج اللغة العربية من عزلتها ووضعها في حوار مع اللغات الأخرى، كان الهدف من ذلك تحرير الأشخاص المعاصرين من

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 35.

2- المرجع نفسه، ص ن.

المفاهيم الخاطئة والموروثة حول اعتبار اللغة العربية كأفضل لغة والحكم بالعجمة على اللغات الأخرى.

ومن تجليات الاتجاه المقارن عند العرب، ما قدّمه (جرجي زيدان) عند مقارنته بين العربية والعبرانية ولغات أخرى من جهة الألفاظ، ويظهر إمامه بالاتجاه المقارن في عدم اقتصاره على ما هو عام، واهتمامه بالقضايا الجزئية في طروحاته¹، كما لا يخلو كتابه (الفلسفة اللغوية) من المقارنة وخصوصاً بين العربية وأخواتها من اللغات السامية الأخرى حيث يرى (مصطفى غلفان) أن الأفكار التي عرضها (زيدان) في كتابه (الفلسفة اللغوية) وتاريخ اللغة العربية قضايا لغوية حديثة، إن الخوض في قضايا ترتبط بأصل اللغة ونشوتها والمراحل التي قطعتها وانقسامها إلى فصائل تتشابه في جملة من الصفات المشتركة، وكيف تتطور بنية الأشكال اللغوية والمقارنة بين مواد لغوية ترجع لعدة لغات... كل ذلك من القضايا اللغوية التي تمّ التصدي لها بشكل دقيق في الفكر اللغوي الأوربي، منذ انطلاق القرن التاسع عشر في مجال ما يُعرف بالفيلولوجيا المقارنة²، فالظاهر من خلال ما سبق أن اطلاع اللغويين العرب على مستجدات الدرس اللساني الغربي في تلك الفترة كان له أهمية عظيمة، حتى وإن كان عدد المهتمين منهم قليل يُعدّ على رؤوس الأصابع.

ويضيف (محمود السعران) في سياق تقييم المرحلة النهضوية قائلاً: "لقد سبقت محاولات قليلة مشكورة في مطلع نهضتنا الحديثة واستمرت ولا تزال تخطو على وهن، ترمي إلى وصل دارسي العربية بالدراسة اللغوية الحديثة"³، فمن هذا كله يمكن القول إن البحوث اللغوية في عصر النهضة العربية وإن كان تعلقها بالتراث اللغوي

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 36-37.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص 39.

3- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت، ص 23.

العربي لأغراض قومية؛ فإنها لم تكن بعيدة عن جديد الدراسات اللغوية في أوروبا التي ظهرت في بعض مباحثها عند مجموعة من الباحثين، الذين حاولوا تجديد الفكر العربي من خلال ربطه بالحضارة الحديثة وإخراجه من تخلفه¹، فلقد كانت معظم مجهودات اللغويين في هذه المرحلة تمهيدا لمرحلة التأثير الواضح بالثقافة اللغوية الغربية التي تمثلت في الاتجاه الوصفي، الذي كان بمثابة القفزة النوعية في مجال الدراسات اللغوية العربية.

2-3- الجهود اللغوية في فترة الاستشراق:

تعدّ مرحلة الاستشراق مهمة وخطيرة بالنسبة للأمة العربية بسبب التغيرات الجذرية التي تسببت فيها في أنماط التفكير والخلفية الأيديولوجية، وما يهمننا في هذا النقاش هو المساهمة الإيجابية للمستشرقين في إرساء قواعد التفكير اللغوي الغربي في الأوساط اللغوية العربية، حيث تعود العلاقة بين الشرق العربي الإسلامي والغرب المسيحي "إلى فترة النهضة الأوروبية، فمنذ هذه الفترة عرفت أوروبا علاقات فكرية جديدة مع الشرق العربي وترتب عن اهتمام أوروبا بالثقافة العربية لغة وأدباً إنشاء البابا هونوريوس الرابع معهداً لتعليم اللغات الشرقية سنة 1285م...²، فلقد فتحت أبواب المشرق العربي أمام المستشرقين للتدريس في الجامعة المصرية سنة 1907م ومن أمثالهم: برجسترايسر (Bergstrasher) وجويدي (Gwede) وليتمان (Littman) وفيشر (Fisher) وفوك (Phuc) وبروكلمان (Brockelmann) وغيرهم... فلا أحد يمكن أن ينكر ما قام به هؤلاء المستشرقين فقد، استهلوا مرحلة جديدة من البحث في جزئيات لغوية ذات قيمة كبيرة بالنسبة للغة العربية، وأنّ الدرس اللغوي العربي لم ستنطع تحسين هذه الأبحاث³، ولقد ركزت الأبحاث الاستشراقية

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص42.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص92.

3- المرجع نفسه، ص91.

اهتماماتها حول الجانب المقارن فقارنت بين العربية الفصحى ونظيراتها السامية، والعربية واللهجات القديمة، ومن أبرز المؤلفات في هذا المجال هو كتاب (فيلولوجيا اللغات السامية) لمؤلفه (بروكلمان).

كما اهتمت الدراسات الاستشراقية بالمعجم، فأخرجت عديد المعاجم وتنبّعت إلى المعجم التاريخي، وإلى "افتقار العربية إليه إن هذا الصنف من المعاجم التي حاول المستشرقون وضعها في العربية يسمح بتحديد التطورات التي تعرفها دلالة المفردات ومعانيها عبر العصور"¹، ويمكن القول إن من أبرز الذين دعوا إلى المعجم التاريخي والمقارن، نجد المستشرق الألماني برجشترایسر (1886م-1933م) الذي أشار إلى عدة أفكار لسانية جديدة استوحاها من عصره حيث يشير في كتابه الموسوم بـ (التطور النحوي للغة العربية) إلى قضية استوحاها من صميم عصره، وهي التحدث عن المنهج المبتكر في الدراسات اللغوية، ويرتبط الأمر باللسانيات الوصفية أو البنوية كما يُقال عادة، وهو ما يطلق عليه، عبارة الوجهة النظامية، إن هذه العبارة يفرّقها بدقة عن التوجه المقابل لها ألا وهي المنهج التاريخي، التي تسعى لدراسة اللسان من جهة نشوئه وتطوره²، فالوجهة النظامية إذا تقوم على حصر الدراسة في طور معين من الأطوار التي قطعها اللغة، بالنظر إلى السمات المميزة للغة المدروسة القائمة بينها، ولعلّ هذا ما يؤكّد تأثره بالأفكار السائدة في لسانيات القرن العشرين (20) خصوصا ما تعلق بفكرة الدراسة الآنية للغة.

إنّ الفترة الاستشراقية تميّزت بمساهمتها الكبيرة في نقل الأفكار اللغوية الأوروبية إلى الفكر اللغوي العربي، وتمثّلت هذه المساهمة في نقل المفاهيم والمناهج اللغوية الأوروبية، بما في ذلك المنهج المقارن والمنهج الوصفي، وذلك بواسطة العلماء والباحثين الاستشراقين.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص98.

2- المرجع نفسه، ص103.

لقد أثرت هذه الأفكار بشكل كبير في أوساط المفكرين العرب آنذاك، حيث خلقت ديناميكية جديدة في النقاشات اللغوية والثقافية، تم استيعاب هذه الأفكار واستخدامها في دراسات اللغة العربية، مما أدى إلى تطوير المناهج اللغوية وتحسين الفهم لعلوم اللغة، بالإضافة إلى ذلك، لاقت هذه الأفكار تجاوباً كبيراً من طرف المهتمين بالدراسات اللغوية في العالم العربي، وتساهم هذه التفاعلات بزيادة الوعي اللغوي وتعميق المعرفة اللغوية لدى الباحثين والمفكرين العرب، كما ساهمت في تحقيق انفتاح ثقافي بين اللغة العربية واللغات الأوروبية الأخرى، مما أثر إيجاباً على التواصل الثقافي والعلمي بين الشرق والغرب.

ثالثاً: البدايات الأولى لنشأة الدرس اللساني العربي المعاصر:

إنّ تحديد لحظة نشأة الدرس اللساني العربي في مفهومه المعاصر هو مسألة مهمة في تاريخ الثقافة العربية، ويعتبر هذا الأمر مؤثراً بشكل مباشر على تطور الدرس اللساني العربي في المستقبل، إذ يربط العديد من الباحثين هذه المسألة بنتائج الأبحاث اللسانية الغربية وانتقالها إلى الثقافة العربية، وخصوصاً بعد عودة الطلاب من البعثات الدراسية إلى بلدانهم، حيث عرف الاتجاه الوصفي دخوله إلى الثقافة العربية بعدما بدأ العديد من عناصر الإرساليات الطلابية إلى الجامعات الأوروبية في الرجوع إلى بلدانهم وقد كان من بين العائدين من درسوا اللسانيات أو أحد تخصصاتها، ومن درسوا خصيصاً على يد فيرث (Firth) في مدرسة لندن، فبعد رجوعهم حملوا على عاتقهم مهمة التدريس والبحث اللغوي في الجامعات المصرية التي كانت بذلك نقطة انطلاق لتطوير الاتجاه الوصفي في الثقافة العربية¹.

وتعدّ عودة البعثات الطلابية أساساً لتأكيد النشأة الفعلية للدراسة اللسانية العربية المعاصرة، ومع ذلك يعتقد بعض الباحثين أنّ بداية التأليف والإنتاج الفعلي في مجال

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص42.

اللسانيات هو تاريخ صدور أول كتاب اعتمد المنهج الغربي اللساني، في الفترة بين عامي 1941 و 1946، وهي المرحلة التي يشتهر فيها صدور كتاب (الأصوات اللغوية) للدكتور إبراهيم أنيس، والذي يعدّ أول كتاب عربي حاول تطبيق النظرة البنيوية في وصف أصوات اللغة العربية، وتعضد الباحثة¹ رأيها بقول (حلمي خليل) بأن كتاب الأصوات اللغوية هو أول كتاب لـ (إبراهيم أنيس) وإن طبعته الأولى كانت سنة 1947م، أمّا كتابه الثاني (في اللهجات العربية) الذي طبع سنة 1950م.

وعلى طرف نقيض فإنّ هناك من الباحثين² من يرى بأنّ كتاب (علم اللغة) لصاحبه (عبد الواحد وافي) يعدّ أول تأليف عربي في علم اللغة بمفهومه الحديث، وقد كان صدور الطبعة الأولى سنة 1941م، كما أوضح بأنّ (عبد الواحد وافي) يشير إلى ريادته في مجال التأليف اللغوي الحديث باللغة العربية، و إنّ قراءة واعية لهذا المؤلف تبرز بوضوح غياب المصادر الأساس في اللسانيات، فلا يحتوي هذا الكتاب "على المفاهيم الأساس للتحليل اللغوي الحديث أو الكيفية التي يتعامل بها اللسانيون مع الظواهر اللغوية من خلال تقنيات ومبادئ منهجية محددة ومضبوطة... نظرا لاعتماده مصادر أصبحت متجاوزة نظرياً ومنهجياً... فالمؤلف لا يُورد بعض التّحديدات المنهجية التي غدت أساسية منذ نهاية العشرينيات من القرن العشرين (20) مع مدرسة براك، كالتّمييز بين علم الأصوات والفونولوجيا..."³، كما أنّ صاحبه كان شديد التّأثر بالمنهج التّاريخي المقارن، الذي أرسى قواعده المستشرقون في الجامعة المصرية.

يعود هذا الباحث نفسه في موضع آخر ويعتبر (إبراهيم أنيس) صاحب السّبق في مجال التّأليف في هذا العلم الحديث حيث يعدّ (إبراهيم أنيس) من أول الباحثين

1- فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي، ص18.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص136.

3- المرجع نفسه، ص141.

العرب المختصين في ميدان البحث اللغوي وكتابه (الأصوات اللغوية) الذي صدر سنة 1947م أول مؤلف بالعربية يقدم الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث¹، من خلال هذا البيان يتضح تباين الآراء حول تحديد أسبقية التأليف العربي في مجال اللسانيات - كما أوضحنا سابقاً - ولكن المهم هو أن البحث اللساني الغربي بدأ يدخل ثقافتنا العربية رسمياً في الأربعينات من القرن العشرين، عن طريق المنهج الوصفي الذي انتشر واستقر بفضل الأعمال التي أعقبت (إبراهيم أنيس) والتي عرفت أبرز ظهور لها في جهود تلامذته، وجهود بعض التلاميذ الجدد العائدين من المدرسة نفسها التي تخرج منها، وكان من أهم هؤلاء (عبد الرحمان أيوب) و(تمام حسان) و(كمال بشر) و(محمود السعران)²، ففي الثقافة العربية كانت الكتابة الوصفية هي الأكثر انتشاراً وكثافة مقارنة بالنظريات اللسانية الأخرى، يعود ذلك بالضرورة إلى الأسبقية التي حققتها الكتابة الوصفية، وتأخر الدارسين العرب في استيعاب اللسانيات الأمريكية حتى سبعينات وثمانينات القرن العشرين، وبناءً على هذا كانت هذه الكتابة تمثل مرحلة الاتصال الأولى مع الدراسات اللسانية الغربية، وأيضاً كانت تمثل مرحلة لاحتضان هذا المجال في المنظومة الفكرية والثقافية العربية من خلال التأليف والترجمة والممارسة الفعلية في مرحلة متأخرة.

1- تصنيفات الكتابة اللسانية العربية:

ليس من السهل تمثل جميع أصناف اللسانيات العربية الحديثة بسبب تعددها وانتشارها في مجملها، لقد كانت الدراسات اللغوية في العالم العربي مقتصرة على الأبحاث اللغوية التراثية لقرون عدة، حتى ظهر عصر النهضة وتواصلت الحضارة العربية مع الحضارة الغربية، وبعد هذا الاتصال تم الاطلاع الواسع على العلوم الإنسانية والطبيعية الغربية، وكانت اللسانيات واحدة من العلوم التي انتقلت إلى

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص161.

2- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص44.

الثقافة العربية، فاعتنق اللغويون العرب هذه الدراسة وتعجبوا من منهجيتها ودقتها ووضوح أسسها، وهذا التفاعل يمثل أول تحول في الدراسات اللغوية التراثية، وقد شهد التأليف في مجال اللسانيات الحديثة تسارعاً كبيراً، وعلى هذا المنوال، ما هي أهم الاتجاهات التي ميّزت اللسانيات العربية؟

1-1-1- الاتجاه التمهيدي:

تعرّف العديد من اللغويين العرب على مبادئ اللسانيات الغربية كمرحلة أولى من انتقال هذا العلم إلى الثقافة العربية، أما المرحلة الثانية فقد استلزمت نشر هذا العلم في بلدان العالم العربي بصفة عامّة، فنقل هذا العلم من سياقه المعرفي الغربي إلى الثقافة العربية؛ حيث وجدت اللسانيات العربية نفسها أمام وجوب إقامة وضع لغوي مستحدث في البحث اللغوي العربي، حيث إنّ نجاح مثل هذا الوضع كان رهينا بضرورة نقل اللسانيات الغربية من سياق معرفي غربي إلى سياق ثقافة أخرى¹، فقد كان على اللسانيين بذل جهد كبير لإيصال هذا العلم للقارئ العربي فوجدت اللسانيات طريقها إلى الأوساط العلمية عن طريق ما يسمّى باللسانيات التمهيدية.

أ- غايته:

تهدف معظم الكتابات التمهيدية إلى تسهيل فهم المعرفة اللسانية للقارئ العربي، حيث إنّ علم اللسانيات من العلوم الأصلية في الغرب، وبالتالي يُعتبر هذا النوع من الكتابات وصلة بين القارئ العربي والعلم الغربي، وبناءً على أهميتها الكبيرة تكمن خطورتها أيضاً، فالكتاب في هذه الكتابات يتحملون مسؤولية نقل المعرفة اللسانية بدقّة وأمانة؛ حيث تعتبر الغاية التعليمية الهدف الذي تريد تحقيقه اللسانيات التمهيدية، وهذا يستلزم أن يكون كلّ منجز من المنجزات اللسانية التمهيدية بنية خطابية متجانسة علمياً ومنهجياً، انطلاقاً من عنوان الكتاب، ومروراً بمقدمته،

1- فاطمة الهاشمي البكوش، نشأة الدرس اللساني الحديث، ص22.

وعناوين أجزائه ومباحثه¹، فقد نجحت الدراسات التمهيدية في إيصال هذا المجال إلى القارئ العربي، حتى أصبح يُدرّس في الجامعات والمعاهد والكليات، ولا يمكن لأحد أن يُنكر فضلها أو يُقلل من شأنه.

1-2- الكتابة التراثية:

يُطلق هذا المصطلح على كل الجهود اللسانية العربية التي حاولت إعادة قراءة التراث من منظور حديثي، وقد اندرج هذا الاتجاه في ثنائية الأصالة والمعاصرة؛ حيث حاول رواده التوفيق بين مبادئ التراث ومبادئ اللسانيات الحديثة، وتقوم محاولتهم استرجاع هذا التراث لمكانته بحمله على التصور الجديد في مسعى جاد لتأسيس الحاضر والمستقبل على جذور الماضي، وتأسيس البحث اللساني المعاصر في البحث اللغوي العربي، أو بعبارة أخرى في جذور التفكير العربي²، وهذا يعني أنّ منهج الكتابة التراثية يهدف إلى فهم التراث اللغوي العربي من خلال اللسانيات الحديثة واستخدامها في الأبحاث، ويعتقد العديد من لسانيي التراث أنّ فهم الأبحاث اللسانية يمكن أن يتحقق بالاعتماد على التراث اللغوي بشكل عام واللغة العربية بشكل خاص، كنقطة انطلاق في البحث وبذلك كانت "بحوث العرب الأساس الذي بنى عليه الغربيون مستحدثاتهم في مختلف الدراسات اللغوية، وهي إن نسبت إلى علماء الغرب في مظهرها الحالي فإنّ الناظر في جوهرها يلمح الأصل العربي"³، ويمكن أن نجد هذه الفكرة في العديد من مؤلفات لسانيات التراث.

أ- غايتها:

تتمثل الغاية الأولى للكتابة اللسانية التراثية في الرغبة الملحة لمواكبة مقتضيات الحداثة، وذلك بإظهار مظاهر المعاصرة في التراث اللغوي العربي حيث يهدف

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 99.

2- المرجع نفسه، ص 131.

3- عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، جامعة الأزهر، ط2، مصر، 1986، ص 31-32.

التوافق والمثابفة بين التراث اللغوي العربي واللسانيات إلى البحث عن العلاقة بين العلوم في تراثنا العربي، ومكانتها في البحث اللغوي من جهة، وعقد العلاقة بين تراثنا اللغوي القديم ونظريات العلم اللّغة الحديث... إنّ هذه الصلة غدت مطلباً أساسياً لإخفاء جوانب العجز الماثلة في البحث اللغوي العربي¹، ومن نتائج هذا الرّبط اعتبار أنّ كلّ ما أنجزته اللسانيات الغربية له أصول عربيّة، بل وفي بعض الأحيان يكون فضل سبق عربياً "في كثير من القضايا والمباحث اللغويّة، التي توصلت إليها مناهج البحث اللغويّ الحديث سواء أكانت هذه المناهج وصفيّة بنويّة... أم كانت هذه المناهج توليديّة تحويلية"²، فلسانيو التّراث يعتقدون أنّ الأفكار التي جاء بها (دي سوسير) و(شومسكي) وغيرهم موجودة في التّراث، والإمعان في القراءة وحده يكشفها.

1-3- الكتابة الوصفية:

يواجه المهتم بالدراسات اللسانية العربيّة صعوبة في تحديد الأثر الأول للاتّجاه الوصفيّ وكيفية انتقال الفكر اللغوي الغربيّ إلى العالم العربي، فمن الواضح أنّ هذا الانتقال كان نتيجة التفاعل المباشر بين اللسانيين العرب والحضارة الغربية، حيث حاولوا نقل الأفكار اللسانية الغربية إلى الثقافة العربيّة، يتم توصيف انتقال الاتّجاه الوصفي إلى الدراسات اللغوية العربيّة بعودة طلاب اللسانيات من البعثات إلى بلدانهم، من بينهم طلاب لسانيات درسوا تحت إشراف فيرث (J.R.Firth) في مدرسة لندن، وبعد عودتهم، باشرروا التدريس والبحث اللغوي في الجامعات المصرية وكانوا رمزاً للتجديد، ويُعزى أول ظهور فعليّ للمنهج الوصفيّ في الدراسات اللغوية العربية لجهود إبراهيم أنيس الذي لعب دوراً بارزاً في نشر اللسانيات الحديث، وحاول دراسة العربيّة من منظور لسانيّ غربيّ وهو بذلك يعدّ من أوائل الباحثين العرب

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 138-139.

2- حسام البهنساوي، أهمية الرّبط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، 1994م، ص 7.

المتخصصين في ميدان البحث اللغوي وكتابه (الأصوات اللغوية) الصادر سنة 1947م أول كتاب بالعربية يطرح الموضوع من وجهة نظر العلم الحديث¹، ولقد مهد (إبراهيم أنيس) الطريق للخوض في التفاصيل اللغوية الحديثة، وبلغت بعدها الكتابة اللسانية قيمتها ومستواها قياساً بما وصل إليه البحث اللساني العام.

أ-رؤى الاتجاه الوصفي العربي: أعجب العديد من علماء اللغة العربية بمبادئ اللسانيات الوصفية الغربية، ويمكن الحديث عن العديد من العلماء الذين درسوا في إنجلترا من مصر بشكل خاص، مثل: (عبد الرحمن أيوب وتمام حسان وكمال بشر ومحمود السمران...إلخ)، قام (عبد الرحمن أيوب) بنقد التراث اللغوي العربي من خلال كتابه (دراسات نقدية في النحو العربي) وقد وُصف هذا الكتاب بأنه الفتح الجديد الذي يعيد الحياة لبحوث النحو، ويرى (عبد الرحمن أيوب) أنّ النحو العربي مبني على الافتراضات العقلية التي يجب الابتعاد عنها واعتماد المنهج الشكلي، حيث يقول: "إنّه لا بدّ لنا عند دراسة الكلمات وأنواعها من الاعتماد على شكلها لا على دلالتها"²، فهو قد تبني التحليل الشكلي والنظرة الشكلية في نقد النحو العربي، ومن الرواد البارزين نذكر (محمود السمران) من خلال كتابه (علم اللغة-مقدمة للقارئ العربي-) فقد تناول فيه مستويات التحليل اللغوي (الصوتية والفونولوجية والنحوية والدلالية) فالهدف من هذا المؤلف تعريف القارئ العربي بعلم اللغة وتيسيره له، ولعلّ أهمّ رائد في هذا الاتجاه (تمام حسان) من خلال كتابه (اللغة بين المعيارية والوضعية) الذي طبع لأول مرة سنة 1958م.

وقد تبني فيه صاحبه وجهة النظر الوصفية لنقد التراث النحوي العربي، لقد اعتمد (تمام حسان) في نظريته الوصفية على منهج العلماء الإنجليز وفي مقدمتهم (فيرث) الذي كرّس الطابع الاجتماعي للغة، وقد نكتفي بالإشارة إلى رواد آخرين

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، ص161.

² - عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلومصرية، ط1، القاهرة، 1957م، ص122.

بارزين من بينهم (كمال بشر) من خلال كتابه (دراسات في علم اللغة الصادر) سنة 1969م.

ب- غاية الاتجاه الوصفي: تتمثل غاية الدراسات الوصفية العربية في التعريف بالمبادئ والأفكار اللسانية الجديدة على نحو ما نجد عند: (محمود السمران، وإبراهيم أنيس وتمام حسان) أما الغاية الثائية فتتمثل في نقد التراث اللغوي العربي، بغرض إعطائه نفسا جديدا من خلال آليات اللسانيات الغربية، والغرض منه أيضا تقديم نظرية لسانية بديلة للنحو العربي.

1-4-الاتجاه التوليدي التحويلي:

ظهرت المدرسة التوليديّة التحويليّة في أمريكا على يد العالم اللغويّ(نوام تشومسكي) بعد ثورة لغوية كبيرة على المناهج اللغويّة في طبيعتها المنهج البيّنويّ وكان ذلك في الربع الأخير من القرن العشرين، ولقد انتبه إلى أهمية هذه الدراسات العديد من اللسانيين العرب وذلك في بداية السبعينات، ويمكن أن يرجع هذا التناقل في نقل الخطاب التوليديّ إلى طغيان الاتجاه الوصفيّ في هذه الفترة، كما لم تستطع الأبحاث اللغويّة تحديد أول مؤلّف توليديّ عربيّ؛ لعدم إفصاح اللسانيين العرب عن انتمائهم له أو إن صحّ التعبير تحفظهم بشأنه، كونهم في تلك الفترة كانوا منصّبين على فهمه بالدرجة الأولى، ومن بين المحاولات التي سعت إلى تطبيق هذا النموذج اللسانيّ بمختلف تفرّعاته المنهجية، محاولة (عبد القادر الفاسي الفهريّ) التي يُعتدّ بها دائما في هذا المجال، دون أن ننسى ما قدّمه كل من: (مشال زكريا وداود عبده وخليل أحمد عمارة ومازن الوعر) ولقد اتّسم هذا الاتجاه بتعدّد مصادره وأصوله واختلاف النماذج التوليديّة، وقد نتج عن هذا التعدّد جملة من التّحليل التي تتبنّى وصف اللّغة العربيّة توليديا.

1-5-الاتجاه الوظيفي:

تُعدّ بداية القرن العشرين الفترة التي ظهر فيها الاتجاه الوظيفي تزامنا مع ظهور حلقة براغ (Cercle Prague) التي ركّزت اهتمامها على الدراسة الوظيفية للوحدات اللغوية، وقد استمرت الأبحاث حولها إلى أن تطوّرت على أيدي لساني ما بعد منتصف القرن العشرين "حيث صارت نظرية لسانية لها من الشمولية في وصف الظواهر اللغوية، ما سمح لها أن تكون نموذجا لسانيا صالحا لجميع اللغات الطبيعية تحت اسم نظرية النحو الوظيفي"¹، ولقد تتبّع الناقد باهتمام مسيرة اللسانيات الوظيفية وعرض لمصادرها الأساس، حيث يعتقد أنّ بدايتها عند العرب كانت مع التونسيين الذين اهتموا بوظيفية مارتيني (A. Martini) لكنّ الناقد يرى بأنّ أبرز "كتابة في الاتجاه الوظيفي بمعناه اللساني المعاصر أي النحو الوظيفي-التداولي تجسدها كتابات (أحمد المتوكّل) ينطلق (أحمد المتوكّل) كغيره من اللسانيين المحدثين في هذا الاتجاه من فكرة قوامها أنّ الوظيفة هي التي تحدّد البنية وليس العكس، وبصفة أوضح أنّ المعنى المراد تبليغه هو المسؤول عن تحديد البنى اللغوية التواصلية، ولذلك تكون الوظيفة ملازمة للبنية، يقول (أحمد المتوكّل) عن نظرية النحو الوظيفي: "هي نظرية تعتمد منهجيا أنظمة المبادئ الوظيفية المعروفة، التي يأتي في مقدمتها مبدأ تلازم الوظيفة والبنية وتحديد الوظيفة للبنية"².

ويعتقد هذا الأخير أنّ النحو الوظيفي يتميّز عن غيره من النظريات التداولية بجودة مصادره، فهو محاولة لدمج بعض مقترحات نظريات لغوية (النحو العلائقي، ونحو الأحوال، والوظيفية) ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية خاصة) برهنت أهميتها في نموذج صوريّ مشكّل حسب مقتضيات النمذجة في التّظير اللسانيّ

¹ - ياسين بوراس، البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، دط، الجزائر، 2015م، ص169.

² - أحمد المتوكّل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، ط1، الرباط، 2003م، ص55.

الحديث¹، ولقد كان المغرب البوابة التي دخل منها النحو الوظيفي إلى الثقافة العربية فبفضل "المؤلفات المغربية دخل الجزائر وتونس وموريتانيا والعراق وسورية وبعض دول الخليج، كالإمارات العربية والعربية السعودية بدرجات متفاوتة في التبني ورقعة الانتشار"²، ويكمن السبب في انتشار المنحى الوظيفي داخل البحث اللساني العربي؛ في اجتهاد الباحثين وانتهاجه نهجا مغايرا في البحث، وعدم إقصائه للمقاربات الأخرى.

رابعا: الخطاب اللساني المغاربي المعاصر:

تحدثنا في الفصل الأول عن ماهية الخطاب اللساني بصفة عامة، وإضافة دال آخر (مغاربي) إلى العنوان لن يغير من فحوى التعريف، بل يكمن الهدف من هذا تعيين المجال الزماني والمكاني الذي يتحرك فيه الخطاب لحصره وتبسيط الضوء عليه، ولعل كلمة (المغاربي) يُقصد بها "ذلك الحيز الجغرافي أو الإقليمي المعروف والذي يشمل (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريطانيا) وقد عُرف عند المؤرخين العرب القدامى "ببلاد المغرب" كلفظ مطلق الدلالة على البلدان المذكورة، وإن أرادوا شيئا من التفصيل قالوا: المغرب الأدنى (تونس)، والمغرب الأوسط (الجزائر) والمغرب الأقصى (المغرب)"³، فبعد أن تحدثنا في الفصل السابق عن الأصول التاريخية للخطاب اللساني العربي بصفة عامة، وبيننا أهم المحطات التي مرّ بها دخول اللسانيات إلى الثقافة العربية.

غير أننا لم نُشر إلى جزئية هامة مفادها أنّ الخطاب اللساني في بداياته لم يغطّ كافة البلدان العربية؛ بل انتشر في قليل منها ونحصّ بالذكر البلاد المصرية، والسبب في ذلك أنّ البلاد المصرية وغيرها من بلدان المشرق العربي تخلّصت من

¹ - أحمد المتوكّل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1985م، ص5.

² - هيثم سرحان وآخرون، آفاق اللسانيات دراسات مراجعات شهادات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011م، ص34.

³ - يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي، أصوله مفاهيمه إجراءاته، ص158.

الانتداب البريطاني في بدايات القرن العشرين، مما جعلها تتجه صوب التنمية والانفتاح على الآخر، وهذا كان سببا واضحا في ريادتها وأسبقيتها الزمنية في التعرف على الدرس اللساني الغربي، والعكس من كل ذلك حدث في بلدان المغرب العربي التي لم تتعرف على الدرس اللساني إلا بعد منتصف الخمسينات، وبداية الستينات من القرن العشرين، ويرجع سبب هذا التأخر مقارنة بالمشرق العربي إلى المستعمر الذي عطل الالتحاق بالركب العلمي والثقافي في هذه المنطقة، ومن هنا نتساءل: ما المحطات الزمنية التي مر عليها دخول اللسانيات إلى بلدان المغرب؟

1- بدايات الخطاب اللساني المغاربي:

يبدو أنه من الصعب تحديد بداية انخراط المغرب العربي في ميدان اللسانيات بدقة، وذلك راجع لغياب أو قلة المراجع التي تؤرخ لهذا الحدث، إلا أن بعض المصنفات تشير إلى أسبقية الجزائر وتونس، ففي الجزائر أنشئ سنة 1966م معهد العلوم اللسانية والصوتية، وظلّ يؤسس العمل الجاد حتى أصدر سنة 1971م مجلة اللسانيات التي أدت وظيفة قيمة في تثبيت الوعي المعرفي الدقيق، وفي تونس بدأ صالح القرماذي المشروع الكبير بترجمة كتاب جون كانتينو (دروس في علم أصوات العربية) عام 1966م، ثم سنة 1975م في ترجمة دروس (دي سوسير)، وفي أثناء ذلك انكب من جهته إلى ترجمة كتاب (أندي مارتينييه مبادئ في اللسانيات العامة) فأتته ووافته المنية قبل إخراجها إلى الناس، وفي عمل مواز لكل ذلك أطلق الباحث الطيب البكوش ترجمته لكتاب (جورج موان مفاتيح اللسانيات) سنة 1981م¹، ولقد أوكل لمعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر إنجاز مايلي:

- أن ينشر وينظم أبحاثا علمية في كل الظواهر اللسانية وفي مختلف مجالاتها، كالأبحاث الوصفية، والبرمجة الرياضية للغات، والإحصاءات للمفردات والتراكيب،

1- عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة - بحث في الخلفيات المعرفية-، مؤسسة بن عبد الله للنشر، دط، تونس، 1994م، ص44.

والمصوتيات الآلية، وتحسين الصوت، وعلم الأمراض اللغوية، وعلم اللسان التربوي، وجغرافية اللغة وغير ذلك¹.

وقد كان تطوّر اللسانيات حثيثاً في الجزائر ففي سنة 1970م تم إصدار دبلوم الماجستير في علوم اللسان والتبليغ بمعهد العلوم اللسانية الصوتية². وتتوالى المنجزات اللسانية في الجزائر، حيث باشرت هذه الأخيرة في سنة 1976 إنشاء المجمع اللغويّ الجزائري على أسوة بالمجامع العربية الأخرى، غير أنّ المجمع الجزائري لم يبدأ مهامه بعد³. ولعلّ ما يؤكّد الأسبقية التاريخية لكلّ من الجزائر وتونس في تلقّي الدرس اللساني؛ إنشأؤهما "مؤسستين علميتين تعنيان بالبحث اللغوي، وهما: قسم اللسانيات بمركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية التابع لجامعة تونس، ومعهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر"⁴.

غير أنّ المغرب الأقصى لم يواكب زمنياً ما حدث في الجزائر وتونس، وتأخّر الدارسون المغاربة لأسباب مجهولة عن الاطلاع على هذا العلم الحديث، كما جاء مع (عبد القادر الفاسي الفهري) في محاولته التاريخية التي يعتقد بأنّها عملية بالغة الأهميّة؛ لأنّها تتيح للدّارسين والمهتمين أن يقفوا وقفة واعية ورجعية للتفكير في حصيلة أنجزوه ولم ينجزوه، خلال فترة معينة من الزمن، ويقيّمون التّقدم أو التأخر في إنجاز ما هو منتظر أو مطلوب⁵. ويقسم (الفاسي الفهري) الكتابة اللسانية المغربية إلى حقبتين هامّتين؛ حقبة تمهيدية وحقبة انتشار وتوسّع؛ ففي الأولى

-
- 1- معهد العلوم اللسانية والصوتية، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الأول، 1971م، ج1، ص50-53.
 - 2- معهد العلوم اللسانية والصوتية، مجلة اللسانيات، ص ن.
 - 3- محمد يحياتن، اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم السودان، مج6، العدد الأول والثاني، فبراير، 1988، ص36.
 - 4- المرجع نفسه، ص35-37.
 - 5- عبد القادر الفاسي الفهري -ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب- أعمال ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب فاس، الرباط، 2007، ص2.

انحصر الخطاب اللساني في جهود مجموعة من اللسانيين أمثال: (تقي الدين الهلالي ومحمد بنتاويت التطواني والأستاذ أحمد الأخضر غزال) وقد اندرجت جهودهم اللسانية في ميدان فقه اللغة المقارن، والتعريب والأصوات، وقد عايش (الفهري) هذه المرحلة التي يقول فيها: "في سنة 1967م كنت طالبا في فقه اللغة بكلية الآداب بفاس، كان الأستاذ محمد بنتاويت (التطواني) رحمه الله يدرس مادة فقه اللغة المقارن، فيها بعض أوصاف الفارسية والتركية والعربية، والأستاذ تقي الدين الهلالي رحمه الله يدرس العبرية، مع بعض المقارنة بالعربية، والأستاذ أحمد الأخضر يدرس الأصواتيات phonetique، يسميها الإصااتة، لكننا معشر الطلبة في ذلك لم يكن لنا اتصال في ذلك الوقت باللسانيات العامة، ولم يكن كثير منا قد سمع بـ De Saussure. وفي نفس السنة، عثرت مصادفة على كتاب دي سوسير في مكتبة بفاس، وقرأته، ولكنني وجدته صعبا"¹، وفي الفترة ذاتها نهاية الستينات وبداية السبعينات بدأت اللسانيات شيئا فشيئا تنتسب إلى الجامعات المغربية فكانت اللسانيات التوليدية قد انطلقت أولا في القسم العربي في كلية الآداب بفاس في سنة 1972م، ونشرت على الأطوار الثلاثة في عام 1974م²، أما الفترة الثانية وتمتد من نهاية السبعينات إلى بداية الثمانينات والتسعينات، فقد شهدت الحركة اللسانية نشاطا ملحوظا ومتميزا حيث تزايد الاهتمام باللسانيات وتزايد عدد اللسانيين كما بيّنه الفاسي الفهري من خلال التواريخ المتسلسلة التالية³:

-في سنة 1976، نظم أول لقاء لساني سيميائي وطني بكلية الآداب بالرباط، نظمه الفاسي، وكليطو ومنيار والمتوكل وكولان، بطلب من الفاسي، مثل الانطلاق الحقيقي

1- عبد القادر الفاسي الفهري -ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب-، ص1.

2- المرجع نفسه، ص4

3- المرجع نفسه، ص6

للبحوث اللسانية السيميائية بالمغرب، وساهمت فيه مجموعة من أفضل الإطارات في فاس والرباط.

-في 1981، نظمت أول حلقة تناظرية حول أصول المعرفة في العلوم الإنسانية، ساهم فيها أربعة أسماء هي: العروي، وكليطو، والفاسي، والجابري بتنظيم من الفاسي.

-في سنة 1981 نظمت ندوة دولية واسعة للبحث اللساني والسيميائي بكلية الآداب بالرباط.

-1982: إحداث تكوين المكونين في اللسانيات الغربية.

-1985: إحداث سلسلة المعرفة اللسانية بدار توبقال، لأجل نشر ثقافة لسانية حديثة باللغة العربية.

-في سنة 1986 تأسست جمعية اللسانيات بالمغرب.

-نظمت في السنة الموالية 1987 أول ندوة دولية كبرى شارك فيها ما يقارب من 60 متدخلا. وفي نفس السنة 1987: طلبت من اليونسكو تنظيم أول ندوة عربية حول "تقدم اللسانيات في الأقطار العربية" نشرت وقائعها دار الغرب الإسلامي ببيروت.

-في سنة 1997: انتخب المغرب في شخص الفاسي رئيسا للجمعية الدولية لللسانيات التوليدية GLOW، ونظمت ندوة GLOW لأول مرة خارج أوروبا.

- 2010: يستعد اللسانيون المغاربة لاحتضان مؤتمر اللسانيات التوليدية التطورية بإشراف من الجمعية الدولية لللسانيات. ولقد بقيت اللسانيات في المغرب الأقصى في تطوّر متزايد كمّا وكيفا، وأصبحت البحوث اللسانية المغربية يُشهد لها من حيث التجديد والتأثير في العالم العربي والغربي.

2- مكانة الخطاب اللساني المغاربي:

إنّ تضييقنا لمجال بحثنا وحصره في مجال وحدود زمانية ومكانية متعلقة ببلدان المغرب العربي فقط؛ أملت ضرورة منهجية وموضوعية حيث تكون الغاية

المتوخاة من خلاله إبراز جهود اللسانيين المغاربة في البحث اللغوي الحديث والمعاصر، غير أننا في هذا المقام لا ننكر جهود اللسانيين المشاركة إذ إنها تبقى رائدة من حيث إن لها الفضل في ظهور الثقافة اللسانية في العالم العربي، وبخاصة الجامعة المصرية¹.

إنّ اقتصارنا على بلدان المغرب العربي جاء للأهمية الكبيرة التي تتمتع بها البحوث اللسانية المغاربية، فلقد ساهم المغاربة في الترويج للسانيات في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة، إضافة إلى أنّ الأبحاث التي تصدر عن اللسانيين المغاربة تساهم في إثراء البحث اللساني العربي والعالميّ على المستوى النظري والتطبيقي، ومن أمثلة تلك البحوث ما قدّمه (عبد الرحمن حاج صالح، والفاسي الفهري، وأحمد المتوكل، وعبد السلام المسدي، ومصطفى غلفان...) وما يؤكّد هذا الزعم تلك الاعترافات والشهادات التي قدّمها العديد من اللسانيين المشاركة المنبهرين بجهود اللسانيين المغاربة، وهي شهادات تؤكد التفوق والأسبقية، كما أنّها تذيب الفوارق بين المشرق والمغرب، وتنبئ بتغيّر شروط العلاقة بين المهتمين والمراكز.

هذا وإنّنا وأصبحنا نلاحظ في السنوات الأخيرة عملية إعادة صياغة لطرفي المعادلة، تحوّل فيها المركز الذي كانت تقوده مصر والشام إلى أطراف، وتغيّرت نظرة المغاربة للمشاركة، وذلك من خلال حركية الثقافة الناشطة في بلاد المغرب، فاستقلال المغاربة عن المشاركة في شتى المعارف دليل على أنّ المغاربة تمكّنوا من تأسيس فضاء علميّ خاص بهم، له خصوصياته الفردانية ومكانته في الأواسط العربية والعالمية، فبعد أن كانت المؤلفات اللسانية المغاربية لا يُكتب لها الشهرة والذيع إلا في العواصم المشرقية كلبنان والقاهرة ودمشق وبغداد، انقلبت الموازين العلمية وأصبح اللسانيون المشاركة ينشدون ضالتهم اللسانية في المؤلفات المغاربية،

1- يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، مجلة التواصل، عنابة الجزائر، عدد 19،

سبتمبر 2007، ص 4.

فهذا (عبد الرأجي) يصرح بأن الأبحاث اللسانية في المغرب العربي "من أكثر الأبحاث جدة وحادثة، عما هو قائم الآن في الجامعات المصرية أو السورية أو العراقية"¹.

كما أشاد اللساني السعودي (حمزة بن قبان المزيني) بمؤلفات اللسانيين المغاربة، مبرزاً مكانتهم وأسباب تفوقهم فهو يرى بأن اللسانيين العرب في المغرب العربي بأكلهم، يمثلون جيلاً من العلماء يتميز بالموضوعية والعلمية، كما تمتاز أعمالهم بالحدثة والجودة، والأصالة وتظهر هذه الصفات جلية لأي إنسان يحضر المؤتمرات العلمية المنعقدة هناك ولكل قارئ يطالع على إنتاجهم الفكري أو الكتب التي يكتبون².

إنّ هذا اللساني لم يستطع إخفاء أسفه لما يحدث في الثقافة اللسانية العربية من تأخر واضح في الالتحاق بركب اللسانيات العالمية، وقد استثنى هذا الباحث بعض الجامعات المغاربية حيث يقول: "من المؤسف أنّ البحث اللساني في الثقافة العربية المعاصرة لا يزال محصوراً في عدد قليل من الجامعات العربية، وفي عدد أقل من الباحثين الجادين وأذكر على وجه التخصيص ما يُنجز من بحث في الجامعات المغربية، وأشير إلى بعض الباحثين البارزين المغاربة ويأتي في مقدّمهم الأستاذ عبد القادر الفاسي الفهري"³.

ويذهب (جواد باقر) إلى الإشارة لإشكالية بارزة في البحث اللساني العربي، وهي عدم قدرة الباحثين اللسانيين على موقعة اللسانيات ضمن الخطابات العلمية، ولعلّ ذلك يرجع إلى اعتماد المقاربة التراثية التي تبتعد في الكثير من الأحيان عن

¹ - حمزة بن قبان المزيني، مراجعات لسانية، كتاب الرياض، المملكة العربية السعودية، رقم 79، يونيو 2000، ص 136.

² - المرجع نفسه، 142-143.

³ - حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 55.

الممارسات العلمية المعمول بها في الخطابات اللسانية العالمية، إضافة إلى تكرار الأسئلة نفسها من قبل اللسانيين العرب، والاهتمام بالكتابات التمهيديّة التبسيطية، وترك الموضوع الأهمّ في الممارسة اللسانية وهو الاهتمام بدراسة اللغة العربيّة، ويستثني هذا الباحث الدراسات المغاربية حيث يقول: "مناهج اللسانيات الحديثة لم تأخذ موقعها المناسب في خارطة البحث العلميّ في العالم العربيّ... الاستثناء الوحيد والبارز لهذا نجده في المغرب؛ حيث تبدو هناك بوادر تأسيس للثقافة اللسانية¹، التي تميّزت بمميزات خاصة، حيث استطاع المغاربة إنشاء قاموسهم المصطلحيّ ولغة شارحة خاصة بهم، ومصطلحات جديدة من قبيل: (المحور، البؤرة، الذيل، القدرة الإنجازية، المتكلم المثالي، الخفق، التبئير) وهذا دليل كاف عن استقلالية الخطاب اللسانيّ المغاربيّ عن نظيره المشرقيّ، إذ كثيرا ما يشكو المشاركة من صعوبة الطرح اللسانيّ المغاربيّ بسبب القطيعة المعرفية بين اللسانيين العرب أنفسهم.

إنّ الحديث عن أهميّة الخطاب اللسانيّ المغاربيّ ومكانته التي انفرد بها لم يصدر عن المشاركة وحدهم؛ بل نجد من اللسانيين المغاربة الكبار أمثال (أحمد المتوكل) يتحدّث عن ريادة المغاربة وتمييزهم في النشاط اللسانيّ وتطويره حيث يقول: "المغرب متميز في محيطه في مجال اللسانيات دون شكّ، فقد اتخذ البحث اللسانيّ في بلادنا مناح متعددة، رادها وأسهم في إنمائها وتطويرها باحثون من مستوى رفيع، لم يكتفوا بتطبيق النظريات اللسانية على المعطى اللغويّ المحليّ بمختلف مكوناته؛ بل اجتهدوا في تطوير تلك النظريات نفسها انتقادا وتعديلا وإغناء²، فإن يصل اللسانيّ إلى نقد وتقويم النظريات اللسانية الكبرى كالتحويليّ التحويليّ لهو أمر يوحي بمستوى الفهم العميق لمحتوى وأسس النظريات اللسانية.

¹ - حافظ إسماعيليّ علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 246.

² - المرجع نفسه، ص 46.

3- مرجعيات الخطاب اللساني المغربي المعاصر:

3-1- مفهوم المرجعية:

تتضح المرجعية الفكرية في العديد من الخطابات اللسانية بصفة جلية خاصة عند إشارة المؤلف وتصريحه بمرجعياته في كتاباته المختلفة، لكنها قد تُخفى في بعض الكتابات لأسباب مجهولة، ما يجعل القارئ يبحث عنها في ثنايا الأفكار ومن هنا فما المقصود بالمرجعية؟ يقصد بمرجعية الخطاب اللساني "الإطار الفكري أو الفلسفي العام الذي يتأسس عليه، أو الذي تنتجه كبنية دالة، وهي بمثابة البنية العليا التي تسيج مختلف أفكار وتصورات ومضامين الخطاب، وقد يجوز لنا أن ننعته بالعقيدة العلمية، أما فحوى الخطاب فيمثل السلوك العلمي، حيث يتغير بتغير الاعتقادات العلمية¹، ويمكن أن يعبر عنها بمفهوم المنطلق الفكري؛ الذي يُقصد به أيضا الأساس الذي يُبنى عليه الفكر، ليكون فيما بعد توجّها يُلقى بتأثيراته على الواقع المعيش، وتأسيسا على ذلك يمكن القول أيضا إنّ البنية المرجعية "هي مجموعة القنوات الفكرية والمصادر المعرفية والفلسفية التي أخذ منها مرسل الخطاب، وشكّلت نظامه التصوريّ، فتتشكّل الظواهر المدروسة عنده طبقا لذلك النسق التصوريّ المشكّل².

ومن هذا المنطلق يُعدّ الكشف عن المرجعية والإطار المنهجيّ مُهما في فهم وتحليل الخطابات اللسانية؛ لأنّه يربط القارئ بالعمل المنجز وبالتالي يسهل فهم وتمثّل فحوى الخطاب، وإذا سلّمنا بمقولة أنّ لكلّ خطاب من الخطابات مرجعية ومنطلق سواء علّمت أم لم تُعلم، فيمكننا القول إذا أنّ العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية والنظريات اللسانية واللغوية لم تنشأ من العدم، بل كان لتأسيسها أصول انبثقت عنها ومرجعيات استندت عليها، فلا يخفى على أحد أنّ للاتجاهات الفكرية

1- ينظر: يوسف منصر، الخطاب اللساني المغربي، أصوله، مفاهيمه وإجراءاته، ص 217.

2- المرجع نفسه، ص ن،

تأثيراً في المواقف والتصرفات، فالفكر هو مقدمة السلوك ومنبعه وأصله الذي يستمد منه، لذلك يعتبر من الخلط المنهجي تحليل أيّ توجه من التوجّهات دون الرجوع إلى منبعه الأصلي الذي انطلق منه، ومن هنا إذا أردنا محاولة تحليل الفكر العربي المعاصر ومعرفة منطلقاته ومرجعياته، فسنجده ينهل من مصدرين أساسيين هما: التراث العربي القديم بكلّ توجهاته وسماته، والحدائثة الغربية بكلّ ما تحمله من أفكار وفلسفات ونظريات، كلّ ذلك من أجل بناء خطابات متعدّدة ومتنوعة، فمنها العلمي والأدبي والديني والفلسفي واللساني... هذا الأخير الذي يعدّ جزءاً من لا يتجزأ من الخطاب العربي بصفة عامّة وذلك ما يجعله خاضعاً للمنطلقات نفسها.

إنّ المنتبِع للخطاب اللساني المغاربي يجده يؤول إلى مرجعيات متعدّدة ومتباينة كغيره من الخطابات العلمية، وهذا ما يجعلنا نفترض أنّ الخطاب اللساني المغاربي يقتصر بصفة شمولية على مرجعيتين رئيسيتين هما المرجعية التراثية التي تحمل المفاهيم اللغوية القديمة والتصوّرات الأصولية، والمرجعية الحدائثة الغربية المستمدّة من أفكار اللسانيين والمفكرين الغربيين، التي تؤكد في نظر الحدائثين أنّ الخطاب اللساني المغاربي ليس وليد الثقافة اللغوية العربية، وليس تطوّراً ذاتياً للخطاب اللغوي العربي القديم؛ بل هو في عمومه غربي المنشأ ارتبط بعمليات التثاقف والاحتكاك والتقاطع المعرفي بين الفكرين العربي والغربي، ومن هذا المنطلق "فإنّه لا يمكننا نحن العرب معرفة هذا العلم الجديد إلّا من نافذة اللغات الأجنبية الإنجليزية أو الفرنسية، ذلك أنّه للحقّ وللتاريخ وإنصافاً للعلم والعلماء لا يمكننا إلّا أن نعترف بأنّ اللسانيات هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها"¹، ومهما يكن فإنّ معظم الآراء والمقولات أرجعت الخطاب اللساني المغاربي إلى المرجعيات التالية: المرجعية التراثية والمرجعية الحدائثة والمرجعية الثقافيّة والمرجعية التوفيقية.

1- مازن الوعر، أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، ضمن كتاب: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1988، ص21.

3-2- المرجعية الثقافية:

لم يتفق العلماء والدارسون -فيما نعلم- على مفهوم شامل للمرجعية الثقافية، بل يكتفون غالباً بمحاولة الفصل بين مصطلح المرجع والثقافة، ويرجع السبب في ذلك إلى صعوبة تحديده كونه مصطلحاً فضفاضاً، ومن بين التعاريف التي نعتقدها أحاطت بمفهومه التي ترى بأنه "مجموع الخلفيات والأبعاد المعرفية والفكرية الثقافية التي ينطوي تحتها الخطاب... وعادة ما تكشف لنا هذه الخلفيات والأبعاد عن أيديولوجيا وثقافة أمة من الأمم في العالم، أو مجتمع من المجتمعات، داخل القارة الواحدة، تكشف عن عاداتهم وتقاليدهم، لغتهم، وتفكيرهم وغير ذلك"¹.

وإذا أسقطنا هذه المقولة على الواقع الثقافي العربي؛ فالملاحظ أنّ عملية تلقّي اللسانيات وإنتاجها قد اصطدمت بمقولات وأيديولوجيات متعدّدة وشائعة في الأوساط العربية وبخاصّة في عصر النهضة بسبب وضعية الشعوب العربية التي كانت تحت وطأة الاستعمار، حيث حاول اللغويون في هذه المرحلة تسليط الضوء على المواضيع التي تتعلق بالهوية اللغوية لترسيخ وإثبات القومية العربية أمام الهجمات الثقافية للفكر الاستعماري، وذلك عن طريق الدفاع عن مقومات التراث اللغوي العربي واعتبار كلّ محاولة لقراءته جريمة في حقّه، لذلك يُرى بأنّ جلّ الكتابات التي كتبت آنذاك يطبعها طابع المحافظة والأصوليّة، ممّا شكّل أرضية خصبة لنشاط الصّراعات الفكرية التي تغذيها المرجعية المتجدّرة عند كثير من اللغويين؛ والتي مفادها الخوف على اللّغة العربية من الاندثار عن طريق صدّ كلّ ما هو مختلف فكرياً وعقائدياً عن الثقافة العربية.

1- حكيمة سبيعي وهولي بوزياني خولة، المرجعيات الثقافية بين المفهوم والتوظيف، مجلة البحوث والدراسات، الجزائر، مج 16، العدد 2، صيف 2019، ص 257.

أما في الثقافة المغاربية التي كانت تعيش الظروف السياسية والاجتماعية نفسها، فيمكننا التمييز بين زمنين مختلفين عاشهما المغرب العربي، الأول يتمثل في الحقبة الاستعمارية، والثاني متمثل في حقبة ما بعد الاستقلال، ولا شك بأن لكل مرحلة خصوصياتها المميزة لها، فالمرحلة الاستعمارية وعلى الرغم من التضييقات الأمنية والاستعمارية؛ فقد شهدت كتابات وأبحاث لغوية كان موضوعها السياق التحرري، فتعكف عن الحديث عن اللغة العربية وعلاقتها بالإسلام أو العروبة أو الهوية، وإما خطابات لغوية استشراقية أعدّها مستشرقون "ذات مقاصد استراتيجية أساسا: كمعرفة الأهالي معرفة جيدة بحيث يتيسر التحكم فيهم"¹، وكان لا بد من إعطاء نموذج عن الأعمال المنجزة إبان الفترة الاستعمارية وذلك تحقيقا للأمانة العلمية، غير أنه من الصعب الوصول إلى هذا المبتغى بسبب قلة الأعمال التصنيفية التي رصدت بواكير الدرس اللساني المغاربي إلا بعض المحاولات النادرة، وأما حقبة ما بعد الاستقلال فقد شهدت إقبالا متزايدا على اللسانيات، جعل المغرب العربي متميزا عن المشرق العربي، ذلك أن المغرب العربي لم يشهد صراعات ثقافية بارزة كالتالي شهدها المشرق.

إنّ ظهور المرجعية الثقافية في الكتابات اللسانية واللغوية في دول المشرق العربي في عصر النهضة وحتى العصور التي تليه بل وفي عصرنا الحاضر، وضمورها بشكل جلي في الكتابات اللسانية المغاربية القديمة والحديثة؛ يدفعنا إلى الاعتقاد أنّ المسألة هي مسألة فصل منهجي بين ما هو معرفي وما هو فكري، بين الأيديولوجيا واللسانيات في صلب الممارسات اللسانية، فمن اللسانيين المغاربة من يعتقد أنه من الأجدر معالجة ظواهر اللغة العربية وخصائصها بعيدا عن النزاعات

¹ - محمد يحياتن، دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، د ط، الجزائر، 2005، ص7.

والإشكالات الثقافية "العربية بحاجة إلى من يضع الارتجال والهوية جانبا، لأنّ عصر الهويات قد ولى، وإن كانوا كثيرين في مجال اللغة العربية، فلن نساعد هذه اللغة بانطباعاتنا وأوهامنا البعيدة عن الواقع الموضوعي العلمي، ففي أيّ مشكل من المشاكل المطروحة يجب أن نكون قادرين على تمثّل الحال العربي التقليدي والحال الغربي الحديث، وأن نكون قادرين على معارضتها بالروية والتأني لنخرج بما يتلاءم ومصالحة لغتنا"¹

3-3- المرجعية التراثية:

يقصد بالمرجعية التراثية كلّ الآثار والموروثات الفكرية واللغوية لشعب من الشعوب أو أمة من الأمم التي تعبّر عن ماضيها وهويتها وتماسكها، ويطلق عليها مصطلح المنهج السلفي الذي ينطلق من قاعدة مفادها "افتراض الكمال في المعرفة بالنص والنقل، بحيث لا يعود للحدث معنى في لغة حققت إبداعها الأكمل الذي لا يمكن تجاوزه، ولهذا تنتفي الحاجة إلى فكر الآخر والابتداع معا، وما يحتاج إليه المجتمع هو... جعل الماضي حاضرا باستمرار"².

ومن هذا المنطلق يحتلّ التراث العربي مكانة كبيرة ويقع في صلب اهتمامات المفكرين واللسانيين العرب، فعلى الرغم من الانفتاح على النظريات اللسانية الحديثة إلا أنّ التراث يظلّ حاضرا في ثنايا الأبحاث اللغوية واللسانية، لأنّه من غير الممكن أن يتصلّ الباحث أو المفكر من أصوله وذلك لاعتبارات كثيرة؛ منها أنّ هذا التراث له علاقة وثيقة بالهوية العربية التي تُعتبر مكونا حضاريا له صلة وثيقة باللّغة العربية وفي هذا الصدد يقول (علي القاسمي): "اللغة العربية تراث فكري عريق، يتربع على مساحات جغرافية شاسعة على وجه الأرض، ويمتد عبر حقب طويلة في تاريخ

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، حوار اللّغة، إعداد حافظ إسماعيلي علوي، منشورات زاوية، ط1، الرباط، 2007، ص136.

² - أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، دار الساقي، ط9، بيروت 2006، ج1، ص19.

الثقافة الإنسانية، ويزخر هذا البحر المتلاطم من التراث العربي بالمنظومات المفهومية في شتى حقول المعرفة، ومختلف ميادين النشاط البشري، ويموج بالمصطلحات الحضارية والعلمية التي تعبر عن تلك المفاهيم بدقة وحيوية¹، إضافة إلى اعتبار التراث العربي خزّاناً ثرياً ومتنوعاً ينبغي الإعراف بمكانته لأنّه يعتبر "أعز ما تخلفه الأحقاب الحضارية لمن بعدها، ويكاد يجزم الناظر بأنّ العرب بين قديمهم وحديثهم قد أتوا كلياً على لغتهم جمعا وتمحيصا ثمّ دراسة وتنظيماً حتى عدّت علومهم اللغوية مضرب الاكتمال"².

إنّ نظرة فاحصة ومنطقية لهذه المقولة نتبين من خلالها أنّها لا تخلو من مبالغة وندرجسية، فالعلوم كلّها تقوم على التراكم والتجاوز أمّا مسألة الاكتمال فهي نسبية، وعلى الرغم من ذلك فالذي يهمنّا هو اهتمام العرب بالتراث القديم والأخذ منه متى دعت الضرورة إلى ذلك، فتعامل اللسانيين المغاربة مع التراث اللغوي العربي القديم يظهر في العديد من الكتابات اللسانية على غرار ما قام به (عبد الرحمن حاج صالح) في بحوثه خاصة فيما يسمّى (النظرية الخيلية) التي حاول من خلالها تطوير المنظور اللساني العربي انطلاقاً من التراث اللغوي القديم، إضافة إلى ما فعله (المتوكل) في مشروعه اللساني الوظيفي العربي الذي تمكّن من خلاله توظيف المصطلحات التراثية اللغوية حيث يقول: "مددت بين الفكر اللغوي العربي القديم وأحد النماذج اللغوية الوظيفية الحديثة، نموذج النحو الوظيفي جسراً مكّني وأنا

1- علي القاسمي، ثراء التراث المصطلحي القديم، مجلة المناظرة المعاهد، الرباط، السنة الرابعة، العدد6، ديسمبر 1993، ص33.

2- عبد السلام المسدي، الفكر العربي والألسنية، ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13-19 ديسمبر 1978، سلسلة اللسانيات 4، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والابحاث الأكاديمية، تونس، ص21.

بصدد معالجة قضايا تداولية في اللغة العربية، أن أستعير من مؤلفات اللغويين القداماء ما مست الحاجة إليه الحاجة وما رأيته واردا مناسباً¹.

1- أحمد المتوكل، استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية أنموذجاً، مجلة المناظرة، المعاهد، الرباط، السنة الرابعة، العدد6، ديسمبر 1993، ص50.

الفصل الثالث: الخطاب اللساني العربي المغربي وأزمة التلقي.

أولاً: تلقي اللسانيات عند الدارسين العرب.

ثانياً: أزمة اللسانيات العربية.

ثالثاً: مظاهر الأزمة اللسانية العربية.

رابعاً: تعريف الكتابة اللسانية النقدية.

خامساً: تقويم اللسانيات العربية من خلال بعض.

الكتابات اللسانية النقدية.

أولاً: تلقي اللسانيات عند اللغويين العرب:

لقد حاولنا في الفصل السابق وضع اللسانيات العربية في حيزها الزمني الذي وجدت فيه؛ وسنحاول في هذا الفصل التركيز على إشكالية تلقي هذا العلم عند بعض اللغويين والمهتمين بالمجال اللغوي، فقد لقيت اللسانيات -كما بينا سالفا- ترحيباً كبيراً من طرف عديد من الدارسين، وبخاصة الذي رجعوا من المدارس الغربية فانبهروا بهذا العلم وحاولوا تطبيقه على الثقافة اللغوية العربية، وعلى الرغم من للقارئ العربي، ولم تكن الصعوبة في عملية تقديم هذه المناهج بقدر ما تعلقت بإقناع الآخر بأهمية هذه العملية¹، كما استقبلت اللسانيات بالرّفص والتشكيك في منهجها وأسسها، فقد رأى (إبراهيم مصطفى) أنّ "بعض المتخصّصين في علم العربية، والمهتمين بأمر هذه اللغة في بعض الجامعات اللغوية، ما زالوا ينظرون إلى هذا العلم نظرة الشكّ والارتياب؛ لأنّه علم أجنبي لم يثبت في أرضنا، أو هو لون من التّغريب، إذا ما طبق على لغتنا يحاول هدمها والقضاء عليها"²، وما يثبت هذا الرّعم رأي (أحمد العلوي) في اللسانيات المعاصرة حيث لا يمكن لأحد أن ينكر أنّ اللسانيات المعاصرة تحمل في طياتها وثنايها سمات الممارسة اللغوية الأوربية ومصطلحاتها ولذلك فإنّ مسألة نشرها في الأوساط الأوربية أيسر من إمكانه في الثقافة العربية، يُضاف إلى ذلك أنّ الباحثين العرب لا يشاركون في الحوار اللغوي الأوروأمريكي وإنما هم مقلّدون، ولذلك فإنّه من الصعوبة نقل الأفكار اللغوية³.

وقد رأى (محمود السّعران) أنّ واقع هذه الدراسة في الثقافة العربية لا تزال مجهولة على كثير من المتخصّصين في المسائل اللغوية المنقطعين لها والمهتمين

1- فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص16.

2- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص50.

3- حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص21.

بها، فأكثرهم ينكر النظر في هذا العلم الجديد، ولا يحاول تفهمه¹، ويندرج السبب في نظرة الكثير من اللغويين إلى اللسانيات الحديثة نظرة ريبة ونقص؛ ذلك بأنها تأخذ مبادئها من دراسة اللهجات، وأنها تستند إلى رفض مبدأ تفاضل اللغات عن اللهجات وهذا ما جعل الباحثين في قضايا اللغة العربية يرون أنّ هذا العلم له علاقة بنوايا المستشرقين المسمومة للغة العربية، وأنه علم لا يفيد إلا اللغة التي انبثق منها.

وقد رأى (عبد الرحمن أيوب) حين درس اللهجات العربية بمنهج اللسانيات فقال: "إنّ هذه الدراسة لا تزال في جامعات العالم العربي ومعاهده أمراً جديداً وغريباً" ويرى بأنّ سبب هذه النظرة إلى اللهجات أنّ هناك من يرى بأنّ دراسة اللهجات "دعوة للنهوض بها حتى تصل كلّ منها في موطنها محل العربية المشتركة"²، إنّ ما يمكن استخلاصه ممّا سبق ذكره؛ أنّ إشكالية قبول وتلقي هذا العلم أنتجتة عوامل عديدة ومتنوعة أملاها الواقع الاجتماعي والسياسي للشعوب العربية، وهذا ما قاد إلى تشبّث الفرد العربي بترائه ورفضه لأيّ دخيل يهدّد انتماءه ولغته، غير أنّ هذا المبدأ ما لبث أن تحول وبخاصة في مرحلة السبعينيات.

1-محصلة الخطاب اللساني العربي وأزمة التلقي:

سئل كثير من اللسانيين* العرب في ميدان الدراسات اللغوية، عن تقويمهم لمحصلة النشاط اللساني في الثقافة العربية بعد مرور نصف قرن على تعرف الثقافة العربية على اللسانيات العامة في صيغتها الحديثة؛ فكانت إجاباتهم مختلفة ولكنها تكاد تتفق على فكرة موحدة ترى بأنّ اللسانيات العربية تعاني وضعاً صعباً ومأساوياً بل قادهم الزعم إلى القول بوجود أزمة في تلقي هذا العلم، أو قصور في اللّحاق

1- محمود السمران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص21-22.

2- عبد الرحمن أيوب، العربية ولهجاتها، مكتبة الشباب، ط1، 1998م، ص1.

* نذكر من هؤلاء الباحثين: عبد السلام المسدي، وعبد القادر الفاسي الفهري، ومصطفى غلفان وغيرهم، حيث أكدوا على معاناة الخطاب اللساني العربي من معيقات التلقي وصعوباته.

بالتطور المتسارع للأبحاث اللغوية الغربية، فاللسانيات في الثقافة العربية لا زالت في رأي منذر عياشي "ذلك المجهول الذي يثير فينا ريبة وشكا وتوجسا وخوفاً، أكثر مما يثير فينا نزعة- ولو فضولية- لمعرفة موقعنا من واقع الثقافة، والعلم والمعرفة في العالم"¹، فاللسانيات في الثقافة العربية بقيت حبيسة نفسها ولم تفتح على العلوم والمجالات الأخرى على غرار ما حدث في اللسانيات الغربية، بل وفي التحديات التي تواجه المستعلمين للغة، والتي تعدّ في كثير من الأحيان لبّ البحث اللساني "وتتمثل هذه الأزمة في مجالاته النظرية والمنهج والموضوعات البحثية، والجوانب المؤسسية المتصلة بأقسام تدريس اللسانيات وبالأستاذ وبتدريب الطلاب، كما نجد أنّ العلم لا يزال هامشياً مقارنة مع العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى بالرغم من الازدياد المطرد للمتخصصين فيه، وبالرغم من الأهمية المركزية لموضوعه اللغة والمجتمع"²، فهذا العلم لم يتلقّ بعد الأهمية التي حظي بها عند الغرب.

إضافة إلى هذا الطرح وتمكيننا له، فإنّ ما يجعل اللسانيات مميزة في ثقافتنا أنها تعيد الأسئلة نفسها، وتطرح المسائل ذاتها، ومازالت بعض مسلّمات هذا العلم خاطئة أو شبه مجهولة في سوق التداول، وهذا يجعل المحصلة واهنة مقارنة بما ينجز في الغرب، إنّها ما تزال في مرحلة الاستهلاك الثقافي والمعرفي، وما يزال البناء والإنتاج اللساني لا يغادر مرحلة المقدمات والكتب التمهيدية³، فمن خلال هذا القول يُرى أنّ اللسانيات في الثقافة العربية تعاني أزمة حادة، فما واقع هذه الأزمة؟ وما أسبابها؟ وما تجلياتها؟

1- منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، دط. دمشق، 1990م، ص11.

2- محمود أحمد عشاري "أزمة اللسانيات في العالم العربي" بحث القي في ندوة اللسانيات وتطورها في الوطن العربية، الرباط، 1983م، ص12.

3- حافظ اسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص13.

1-2- مصطلح (أزمة) لغة واصطلاحاً:

قبل البدء في تعريف هذا المصطلح، يجب الإشارة إلى أنّ مصطلح الأزمة في وقتنا الراهن يعدّ من أكثر المصطلحات ذيوفا وانتشاراً على كافة المستويات والصُّعد، فمن ذلك الأزمة الاقتصادية والأزمة السياسية والأزمة الاجتماعية والإقليمية، وتتعدّد استعمالات هذا المصطلح في مختلف المستويات، تباينت تعريفاتها وتتنوّعت حسب مجال الأزمة ومستواها، غير أنّ الذي نركّز عليه هنا أزمة اللسانيات العربيّة، التي تختلف في حقيقتها عن مثيلاتها من الأزمات في مختلف العلوم والتخصّصات، ويتوجب علينا في هذا المقام الانطلاق بتعريف الأزمة لغة.

أ. لغة: إنّ مصطلح (أزمة) في اللّغة يحتوي على معان عدّة، فقد جاء في القاموس المحيط: أزمَ يَأْزِمُ أزمًا وأُزْمًا، فهو أزم وأزومٌ: عضّ بالفم كله شديداً، وأزمَ العام: اشتدّ قحطه، والأزمُ: القطع بالنايب و بالسكين، وسنة أزمَة بالفتح: شديدة¹أما في معجم مختار الصحاح فيراد بها الشدّة والضيق، والفعل منها أزمَ؛ بمعنى اشتدّ الأمر وضاق يُقال أزم على الشيء أزمًا؛ عضّ عليه بالفم كلّه عضاً شديداً فمثلاً يُقال: أزمَ الفرس على اللجام، ويُقال: أزمّت السنّة أي اشتدّ قحطها² والأزمة: في قاموس لسان العرب هي الجذب والمحلّ والشدّة والقحط،³ فمن الواضح أنّ التباين في تحديد مصطلح الأزمة يرجع إلى اختلاف المستويات التي حدثت فيها الأزمة.

من هذه التعريفات اللّغوية لمصطلح الأزمة، يمكن أن نخلص أنّ مفهوم الأزمة ينتظم في قسمين رئيسيين: القسم الأول تعني فيه الأزمة الضيق والشدّة

1- مجد الدّين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط6. دمشق، 1998م، مادة أزم.

2- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، دط. بيروت، 1986م، مادة: أزم.

3- جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ، مادة: أزم.

والجذب...وهي معانٍ سلبية لمفهوم الأزمة، أمّا القسم الثاني والذي يعتبر إيجابياً في نظرنا، فتكون فيه الأزمة بمعنى التحوّل والتغير نحو الأفضل، إلا أنّ المفهوم الشائع للأزمة لدى عموم الناس هو المفهوم السلبي؛ الذي يتّسم بالخطر والترقّب والقلق.

ب- اصطلاحاً: ليس من السهل اعتماد تعريف شامل لمصطلح أزمة؛ لأنّه من المفاهيم الشائعة في العلوم والمجتمعات، حيث تُعرّف الأزمة اصطلاحاً بتعريفات عدّة تتباين حسب نوعيّة الأزمة وحدّتها وهي كالاتي:

1. الأزمة ظرف انتقالي يتّسم بعدم التوازن ويمثّل نقطة تحول في حياة الفرد أو الجماعة أو المنظّمة أو المجتمع وغالباً ما ينتج عنه تغيير كبير؛
2. الأزمة حالة توتر ونقطة تحوّل تتطلّب قرار ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أم إيجابية تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة؛
3. الأزمة موقف عصيب يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية؛
4. الأزمة فترة حرجة، أو حالة غير مستقرة تنظر حدوث تغيير حاسم؛
5. الأزمة خبرة متعلّقة بمعوق مألوف؛
6. هي تلك النقطة الحرجة، أو اللّحظة الحاسمة التي يتحدّد عندها مصير تطوّر ما، إمّا للأفضل، وإمّا للأسوء¹، يُلاحظ من خلال التعريفات السابقة، أنّها تركز على أنّ الأزمة ظرف متغيّر أو حالة مؤثّرة أو مواقف صعبة في فترات حرجة ونقاط تحول مفاجئ.

2-الأزمة في المنظور الإستمولوجي:

2-1-أزمة العلم في نظر توماس كون:

يتقدّم العلم حسب توماس كون (Thomas Kuhn) عن طريق فلسفة الثورة العلميّة، فالعلم يتطوّر بالثورات ويمكن أن نجمل الطريقة اللانتهائية التي يوضّح بها

1- علي بن هلهول الرويلي، الأزمات تعريفها أبعادها أسبابها، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، دط، الرياض، 2011م، ص2و3.

تقدم العلوم على هذا الشكل: (ما قبل العلم، العلم السوي، أزمة، ثورة، علم سوي جديد أزمة جديدة) فمسيرة العلم تستوجب في رأيه سيطرة نموذج إرشادي، ثم تأتي مرحلة الشدوذ التي تحمل الشكوك والتساؤلات وصعوبة التأكد ثم مرحلة الأزمة، ثم تليها مرحلة فشل النموذج المسير وظهور نموذج جديد¹، فحسب رأيه أنّ نظريات العلم ونماذجه تركز على التخطي والإقصاء، لا تؤكد الصورة فكرة حتى يتراءى سقوطها فنظهر أفكار جديدة، وتحدث الأزمة²، إلا أنّ مفهوم التجاوز والإقصاء لا يتوجب أن يستوعب بالمعنى السلبي للكلمة فهو معيار علمي.

إنّ الأزمة من خلال ما سبق تتمركز في المكانة الوسطى؛ وهي فترة هامة من فترات تقدّم العلوم، لذا فإنّ تاريخ العلم عند (كون) يتقدّم بهذه الطريقة: تظهر نظرية علمية ما وتلقى قبولا من المختصين شيئا فشيئا، حتى تتطور إلى مزيج متجانس من النظريات والتطبيقات والأدوات التي أصبحت تجيب عن الإشكالات الحاسمة في مجالها، ويصبح السواد الأعظم من العلماء يعتمدون أفكارها وينشغلون في داخلها، في هذه الوضعية تصبح هذه النظرية براديجم (Paradigme) أي نمودجا لا بد من الاقتداء به داخل العلم وإلا تمّ الإقصاء والتجاهل، وتبقى الأمور على هذه الطريقة حتى يشرع هذا البراديجم في التآزم حين يخفق في الإجابة عن أسئلة حاسمة، في بادئ الأمر يتمّ الالتفاف على هذه الأسئلة من أجل الاحتفاظ بالبراديجم، ولكن مع باحثين شباب في غالب الأمر ومع تزايد الإشكالات تحدث الثورة العلمية التي نطلق من تصورات ونظريات خارج مجال البراديجم المتأزم، بل ومناهضة له وتحمل فكرة للكون والإطار يختلف عن السابق وبهذا يتشكّل براديجم جديد³.

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص59.

2- توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر: حيدر حاج اسماعيل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، بيروت، 2007م، ص10.

3- ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم المشكلات المعرفية، ج2، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1984م، ص 76-77.

إنّ (توماس كون) يرى أنّ الأزمات مطلب هام لظهور نظريات جديدة كونها مشجّعة للعلماء، ولكنّه يلاحظ ما يصنعه العلماء إذا واجهتهم حالات شذوذ وإن كانت طويلة المدّة، فهم قد يشرعون في التنازل عن ثقتهم في النموذج المسيطر، ومن ثمّ التفكير في بدائل جديدة، لكنّهم لا يتركون النموذج الإرشادي الذي أدّى بهم إلى الأزمة، فلا يوجد بحث علمي دون براهين مناهضة، لأنّ أيّ نموذج إرشادي معتمّد لدى العلماء كمعيار للبحث العلمي؛ لا يمكن أن يتولّى بشكل شامل وتام جميع الإشكالات، فالعالم الذي يعيش في أزمة سيحاول تصور نظريات تأملية يمكن لها، إذا ما نجحت أن تقود إلى نموذج إرشادي حديث، ولكن إذا لم تتجح أزالها من حسابه بسهولة ويسر لتترك المجال لغيرها¹، إنّ الأزمة تشكّل فشل العلم الصحيح في إيجاد تسوية لشذوذ الطبيعة، وهذا ما يقود إلى انبثاق نموذج إرشادي جديد يستطيع فهم وحلّ الشذوذ أو الإلمام بحيثيات المشكلة التي أدت إلى الأزمة.

تعبّر الأزمة عن تغيير غير منتظر إلى نموذج آخر، لأنّ بروز التغيرات يستلزم نظراً جديداً، وهذا يعني الانتقال من حالة النقص والاضطراب إلى حالة الثبات، ومن هنا يرى (توماس كون) "أنّ الأزمات تنتهي بإحدى الطرق الثلاث إما أن ينتهي العلم القياسي إلى إيجاد حل للمشكلة التي أثارت الأزمة، وإما أن تستعصي المشكلة على إيجاد حلّ لها، وقد تنتهي الأزمة إلى ظهور نموذج إرشادي جديد، وإما يفقد العلماء الأمل في إيجاد حلّ لها، وتقصى من مجال بحثهم"²، من خلال هذا القول فإنّ مصطلح الأزمة يتعلّق بشكل دقيق بسيطرة نموذج سياديّ نو كفاية وبتحقيق تراكمٍ علميٍّ، ومن هنا نتساءل "هل بلغت اللسانيات العربية مرحلة الأزمة حقاً؟ وهل هي أزمة بالمعنى الذي تحدّثنا عنه آنفاً؟ وإذا كان الأمر كذلك فإنّنا نتساءل بمعنيّة مازن الوعر: "أين يقف علم اللسانيات الحديث في الوطن العربيّ في

1- توماس كون، بنية الثورات العلمية، ص13

2- المرجع نفسه، ص24.

ضوء البعد الفلسفي الذي اقترحه توماس كون، وما هو النموذج الإرشادي السائد حالياً¹ فهل تعدّ أزمة اللسانيات عند العرب أزمة علمية؟

ثانياً- أزمة اللسانيات في الثقافة العربية:

يبدأ (مصطفى غلفان) حديثه عن أزمة اللسانيات العربية بمجموعة من الأسئلة "إذا كانت ثمة أزمة لسانيات فما طبيعتها؟ وما هي سماتها؟ وما مظاهرها؟ وما هو تأثيرها على الدرس اللساني العربي الحديث؟"²، وهي في حقيقة الأمر أسئلة قيمة تقود إلى التتبّع الموضوعي لحقيقة أزمة اللسانيات العربية، وبخاصة إذا كان مصدرها الانطلاق من فكرة موضوعية متمثّله في كون الفكر اللساني العربي لم يقدّم بعد ما كان منتظراً منه على غرار ما حدث في الثقافات الغربية، بالرغم من طول أمد دخول علم اللغة إلى الثقافة العربية³، فعدد من المنجزات اللسانية في الوطن العربي تطرقت إلى وجود الأزمة، وحاولت تقديم حلول لواقع البحث اللغوي العربي، وبالرغم من قيمة أبحاثها؛ إلا أنّ بعضها لم يصب الهدف بدقة لأسباب منها قصور البعد النظري والمنهجي، وعدم إدخالها إشكال اللسانيات في مجال وضعية العلوم الإنسانية في الوطن العربي⁴، إنّ فكرة الأزمة في اللسانيات العربية لها خصوصياتها كونها لا تشبه الأزمة في النظريات العلمية، فأزمة اللسانيات العربية هي أزمة تلق، وليست أزمة تكّدس وتطور.

فالثقافة العربية تشكو أزمة متشعبة، أزمة مسّت جميع المجالات تنظيراً وتعليماً، نحواً ومعجماً، استخداماً وتوثيقاً وإبداعاً ونقداً، لقد مسّت هذه الأزمة المؤسسات

1- حافظ اسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 60.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 17.

3- المرجع نفسه، ص 17.

4- المرجع نفسه، ص 19. (بتصرف)

الفاعلة التي هي الجامعات بالدرجة الأولى وهذا ما عَقَدَ الإشكال وزاد من صعوبته¹ مما يجعلنا نقرّ بنوع من التباين الجلي بين واقع البحث اللساني العربي وما يقابله في الغرب.

إنّ الفكرة المسيطرة هي عدم جود فكر لساني عربي يماثل نظيره في الغرب وهذا يرجع إلى انعدام تراكم جذي للعلوم، وحتى إن وجد فهو تراكم لا يفي بالغرض، لأنّ فكرة التراكم في اللسانيات العربية بعيدة عن جوهرها العلمي، فعوض أن يكون سببا أساسياً مساعداً في دفع عجلة الدراسات اللسانية وتطورها، يتحوّل إلى عائق يوقف كل تقدّم².

وهذا ما قاد إلى غياب النموذج الأنجع، فإلى حدود اليوم نجد الواقع اللساني العربي واقعاً متضارباً وليس واقعاً هادئاً متماسكاً "فلا يكاد يجمع اللسانيون على نموذج واحد ووحيد يمكن أن نعتبره نموذجاً إرشادياً؛ بل الموجود هو كمّ هائل من النظريات والنماذج، فتعدّد التوجهات يمكن أن يكون مفيداً شريطة أن يوظّف بطريقة علمية تنبذ الاختلافات والصراعات المذهبية الضيقة التي تحدّ من فاعلية المعرفة"³، إنّ ما يمكن الوصول إليه انطلاقاً من الملاحظات السابقة، وجود تباين بين حال اللسانيات في الثقافة العربية، وبين مصطلح الأزمة في النظريات العلمية لعدم بلوغ أزمة حقيقية يستوجب وجود إشكالات تمنع تلقي هذا العلم، وحتى إن صحّ الكلام عن هذه الأزمة فإنّ فهم حقيقتها لا يمكن أن يكون إلا بوصفها أزمة انطلاق لا أزمة تطوّر⁴، فاللسانيات العربية تعاني أزمة إقلاع وتلق، فالثقافة اللغوية العربية لم تتمكن من تمثّل هذا العلم ولا استعماله على البحوث اللغوية العربية، ممّا جعل اللسانيات

¹ -نبيل علي "الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)"، سلسلة عالم المعرفة الكويت، 2001م، العدد 265، ص 236.

² -حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 61.

³ - المرجع نفسه، ص 62.

⁴ - المرجع نفسه، ص 63.

العربية في أزمة حقيقية حفّزتها عوامل كثيرة ومعطيات سنوّضّحها في العنصر الآتي.

1-دوافع أزمة اللسانيات العربية:

لقد تمكّنا في المبحث السّابق من الوصول إلى القول بوجود أزمة تلقّ للسانيات في الثقافة العربية، وذلك ما يفرض علينا توضيح الدوافع والعوامل التي أوصلت إلى هاته الأزمة، ولقد حاول كثير من الدّارسين والباحثين وضعها ضمن عدّة نقاط سنذكر أهمّها:

1-1-علاقة اللسانيين العرب بأزمة اللسانيات:

مما لا شكّ فيه أنّ الأبحاث اللسانية عند العرب تعيش وضعاً صعباً ومأساوياً، ومن البديهيّ أن يشارك اللسانيون العرب في الوصول إلى الحلول المناسبة لهذا الوضع، ورغم ذلك لا يهتمّ اللسانيون العرب لهذا الواقع، وكأنّ الأمر لا يعينهم من قريب أو بعيد، إنّ هذا الوضع أضرّ باللسانيات وباللسانيّين أنفسهم حيث ترك المجال لظهور عديد من الأفكار الخاطئة في اللسانيات العربية¹، إضافة إلى ذلك يُعدّ عدم التفاهم والصراع العلامة البارزة على العلاقة بين اللسانيين العرب، وهو صراع خرج في كثير من الأحيان عن الحدود الموضوعيّة وتخطّى اللسانيات إلى التصادم.

وقد نتج عن هذا نفور اللسانيين عن كتابات بعضهم، وحتى وإن حصل نوع من التفاعل أحيانا فإنّه لا يكون إلاّ بنوايا خفيّة تهدف إلى التقليل من قيمة الكاتب ومن إمكاناته العلميّة والمعرفيّة لاغير²، وهذا ما يدلّ على غياب ثقافة العمل الجماعيّ بين اللسانيين العرب، فالمشاركة لا يطلّعون على أبحاث المغاربة ولا يعترفون بها والعكس كذلك، فسبب هذا الواقع العزلة التي يعيشها اللسانيّ بعديا عن كلّ ما يحصل في الواقع عند غيره من الباحثين، فلا يريد قبول إلاّ ما يليق به ويروق

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص85.

² - المرجع نفسه، ص86-87.

له من تابعيه وتلامذته المباشرين، أمّا العلاقة مع الآخرين فإنّها دائماً تكون غير جليّة، فلا تعاون ولا تشاور¹، فتعاظمت بين اللسانيين عقدة كبر وتفوق، أو نوع من الأستاذية التي أصبحت مرصية، فلم تتمكّن التنظيمات اللسانية التي وجدت في هذا البلد أو ذاك أن تجتاز الحدود القطرية وتلم شمل الباحثين العرب المختلفي الأبعاد التصورية للنظر في أبحاث تخطيطية².

هذا ما أوجد شبه قطيعة تنامت بين مجموعة من الباحثين والرواد في اللسانيات وبين جموع الطلاب والباحثين الشباب وكثير من المثقفين الذين لم يصلهم من اللسانيات إلاّ الجزء القليل، وربما يرجع ذلك أيضاً إلى غياب التواصل القائم بين الأبحاث وعلمائنا وإلى عدم جعل اللسانيات علماً هاماً يتمكّن من تصحيح التنظيم الداخلي لعلمنا³، إنّ هذه القطيعة أثرت بشدّة على تطوّر البحوث اللسانية العربية، وكان لها دور في تأزم وضعه، فه يعدّ من أهمّ العوامل الموضوعية التي تقف دون استثمار نتائج الدرس اللساني في الثقافة العربية بالشكل اللازم.

1-2- علاقة المتلقين (الطلبة) بأزمة اللسانيات العربية:

يستقبل الطلاب الجامعيون المتخصّصون في الأبحاث الأدبية واللغوية أفكارهم في مراكز اللغات والترجمة، وما يميّز هذه الأقسام تركيزها الكبير على التخصصات الأدبية من نثر وشعر وتاريخ الأدب وكثير من العلوم اللغوية التراثية مثل النحو والصرف والعروض والبلاغة، وهذا التحصيل يكون على امتداد مدّة التكوين والدراسة، ويبقى قدر اللسانيات من كلّ هذا قليلاً، إذ لا يتعدّى الأفكار العامّة والتمهيدية لهذا العلم، هذا ما جعل تحصيلهم للسانيات لا يوصف بالدقّة المعرفية، إضافة إلى أنّ المنتمين إلى هذه التخصصات هم طلبة الآداب واللغات ونادراً طلبة

¹ - حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 256-257.

² - المرجع نفسه، ص 145.

³ - المرجع نفسه، ص ن.

التخصّصات العلميّة، فالذي يميّز هذه الفئة الأولى أنّهم لا يُدعمون بتكوين رياضيّ يساعدهم على تمثّل البنية الصوريّة للنماذج اللسانية وهذا ما انعكس سلباً على تلقي هذا العلم على صعيد الفئات الطّلابية.

2- عوامل متعلّقة بموضوع اللسانيات:

تقسّم العلوم باعتبار موضوعها إلى علوم تجريبية وعلوم نظريّة واللسانيات بحسب هذا التقسيم يسيطر عليها المستوى النظريّ، وهذا ينطبق على اللسانيات النظرية، فشقّها التطبيقي ليس مقصوداً في ذاته، وليس هو الغاية النهائيّة الوحيدة للفكر اللسانيّ... فالمفاضلة بين الظواهر البنيوية للغات الطبيعيّة المتواجدة داخل نماذج لسانية على شكل قوالب لا تبنى على مبدأ كفايتها الملاحظيّة فقط بل تبنى كذلك على مبادئ التجليات المحوريّة للكفاية، وضمنها الكفاية الملاحظيّة¹، من خلال هذا القول تتجلى الأساسات الفلسفيّة بوضوح في الدرس اللسانيّ، فمختلف النظريات والمدارس اللسانية تنبني على خلفيّة فلسفيّة تفسّر مقولاتها من خلالها، فالمدرسة البنيوية مثلاً بمختلف توجّهاتها تستند إلى الفلسفة التجريبيّة التي تتناول الظاهرة اللغويّة كما هي باعتماد المدونة أو المتن اللغويّ، مستندة في ذلك على الوصف، أما المدرسة التوليديّة التحويليّة فهي تركز على الفلسفة العقليّة، فهي لا تهتمّ بما ينتجه المنجز، بل بما يتواجد في عقله، معتمدة على الحدس لاكتشاف ذلك. إنّ الباحث اللسانيّ الذي لا يأبه بالأصول الفلسفيّة لكلّ نظريّة لسانية، والذي لا يمكنه البحث عن الاختلافات الجوهرية بين مختلف النظريات؛ فإنّه بالضرورة لا يتمكّن من فهم هذه النظريات، ولا الوقوف على جوهرها، ولعلّ هذا ما حدث لمعظم اللسانيين العرب، بسبب عدم تمثّلهم للأصول الفلسفيّة للنظريات اللسانية، ممّا قادهم إلى الفهم المغلوط في كثير من الأحيان، إنّ معرفة اللسانيّ بمختلف الفلسفات التي

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الأول، دار توبقال للنشر، ط1، الرباط، 1982م، ص31.

تفقد النظريات اللسانية ليس أمراً اختيارياً بل هو من قبيل الواجب، لمسايرة البحث اللساني العام والمشاركة في إنتاج المعرفة اللسانية.

2-1- الفهم الخاطيء لوضع اللسانيات:

من شروط المعرفة انسجامها مع المعارف المجاورة لها، فما من علم يدخل النظام المعرفي إلا ويتم موضعها من طرف أصحابها موضعاً دقيقاً حتى لا تكون غريبة عن العلوم القريبة منها، لأن كل معرفة لها نظامها الخاص وكذلك مجموعة المعارف تتشئ فيما بينها نسقاً، حيث يقول دي سوسير: "يمكننا إذن أن نتصور علماً يدرس الإشارات في كنف الحياة الاجتماعية ويشكل جزءاً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي من علم النفس العام"¹، ومن هذا طرح السؤال التالي: هل أخذت اللسانيات مكانتها ضمن نسق الأطروحة الفكرية العربية؟ إن أغلب الظن أن اللسانيات في عند العرب وضعت في غير مكانتها، فكان التجاوب معها تجاوباً متوهماً، فوقع ارتباك بينها وبين العلوم الأخرى مثل: النحو والصرف والبلاغة وفقه اللغة ذلك أن موضوعها يرتكز حول اللغة.

2-2- انعدام الاستمرارية واختلاف البدايات:

إن الملاحظ لظهور البحث اللساني العربي الحديث يجد بأنه لم يكن نتاج لتطور الجهود اللغوية القديمة، مثلما حدث في الأبحاث اللسانية الغربية الحديثة، التي كانت بداياتها من إعادة النظر في كنه اللغة، إذ ظهر لفردينان دي سوسير أن إعادة النظر يجب أن تبلغ أصل موضوع البحث وهو اللغة، وقد كانت محصلة المراجعة مقترنة عادة بإعادة تنظيم المجريات، ولعل الطرف المهم في البحث اللساني الأوروبي الذي يمثله (دي سوسير) ومن كان بعده، يكمن في إظهار الأسس التي تضبط النظام اللغوي.

¹ - Ferdinand De Saussure: cours de linguistique générale, édition Talatikit Bèjaia algerie, 2002 p22.

من خلال هذا المبدأ يمكننا القول بأن اللسانيات العربية لا تشبه في مبدأ دراستها النظرية اللسانية الغربية، وتباين المنطلقات يوصل بالضرورة إلى تباين الأفكار والمنهج، فالفكر اللساني العربي الحديث تم أخذه جاهزا من أوروبا وأمريكا، فمعظم الجهود التي رصدت فيه لم تتجاوز محاولة تبسيطه وتمثله، أو محاولة تعريبه وترجمته، وهذا ما أسفر إلى امتداد فترة التعريف به في شكل أعمال تمهيدية، فالدرس اللساني العربي ليس امتدادا علميا لنظيره في الغرب، فلقد كانت هذه القطيعة، ومحاولة التوفيق بين التراث والحداثة لبّ الأزمة اللسانية في الثقافة العربية.

2-3- الأفكار الجاهزة وعدم التدقيق:

يتفاعل كثير اللسانيين العرب مع محصلات البحث اللساني الغربي دون معرفة بأصوله المنهجية، فاللسانيات تم اقتنائها جاهزة دون معرفة بأصولها ولا بأطوار تطورها، وهذا ما قاد إلى التعامل معها كأمر ثابتة غير قابلة للنقد والتفاوت، وكلما ظهر جديد يتم استيراده جاهزا، هذا ما جعل الكتابة اللسانية العربية غير مندرج في البحث اللساني العالمي ولا تشارك في تطوراته.

2-4- غياب التجديد والمتابعة:

يتطور الدرس اللغوي عند الغربيين بنسق متسارع، مقارنة بالبحث اللساني في العالم العربي الذي يشهد تأخرا كبيرا، فالجامعات الغربية تنشئ عددا هائلا من النظريات اللسانية بنمط سريع لا يتم نقله إلى الثقافة العربية، وسبب ذلك قصور حركة الترجمة إلى العربية، فالدارس العربي لا يزال يتكبد صعوبة الأمر، إنه يشاهد كل يوم أمام نظره إنتاج كثير من الكتب، تحوي على دراسات جامعية دراسات، مناهج، نظريات، وهي متواصلة ومتدفقة، لا تتوقف عن التوسع، بحيث يقف هنا أيضا مرتبكا لا يدري ما يختار وما يأخذ وما يترك وما يتبع وما يتجاهل، بالإضافة إلى أنه

مسلح بعقل المعارضة أهم صفاته البارزة¹، هذا ما أوصل إلى عدم الاستطاعة على المواكبة والتحيين.

ويتعلق هذا المشكل بالدرجة المعرفية لكثير من اللغويين العرب، الذين لا يتماشون مع ما يجد على الدرس اللساني من تحديثات نظرية ذات قيمة، بدا ذلك جليا ذلك في الندوة التي نظمتها منظمة اليونيسكو سنة 1987م حول تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، حيث إن كثيرا من اللسانيين العرب المشاركين في هذه الندوة لم يتمكنوا من فهم بعض البحوث اللسانية وبخاصة البحوث المغاربية، ولإشارة فإن المشاركين في هذه الندوة يعتبرون من خيرة اللغويين العرب المعاصرين وأكثرهم تأليفا²، ولعل هذا العامل أدى بدوره إلى ركود المقررات الجامعية في مقياس اللسانيات وتمحورها على ما قدمه (دي سوسير) والنظرية الوظيفية، والنماذج القاعدية من النحو التوليدي، فمعظم الدراسات والأبحاث التي يمتح منها أكثر المتخصصين الآن؛ أنجزها صفوة الباحثين اللسانيين من المصريين الذين وفدوا من البعثة إلى بريطانيا في أواسط الخمسينات الميلادية، وكان هؤلاء الذين رجعوا قد تمرنوا على الدرس اللساني في نطاق المدرسة الوصفية التي كانت مسيطرة في ذلك الوقت، وبعد أن رجعوا ألفوا مؤلفاتهم الأولى مرتكزين إلى خبرتهم التي أخذوها هناك، ولم يطوروا من أنفسهم بل لا زالوا إلى الآن على ما تعلموه في الخمسينات، ومن هنا فإن تراجع البحث اللساني سببه عدم متابعة أولئك اللسانيين للتطورات السريعة التي بدأت في سنوات الخمسينات بريادة تشومسكي³.

إن كثيرا من الكتابات اللسانية تؤكد هذا القصور الجلي عن مواكبة مستجدات البحث اللساني، كما هو الأمر في بعض المؤلفات اللسانية التبسيطية، فعدد لا

¹ - منذر عياشي، قضايا لسانية وحضارية، ص16.

² - حوار مع أحمد المتوكل في جريدة المحور الثقافي (متاح على الشبكة)

³ - حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص56.

يُستهان به من كتاب هذا التَّمط من الكتابة يعيدون كثيرا من أبجديات الدرس اللساني التي فُصل فيها منذ زمن بعيد¹، وتقدّم هذه الأفكار القديمة على أساس أنها هي جوهر العلم والمعرفة، دون مواكبة للتطوّرات الحاصلة في هذا العلم.

ثالثا: تجليات أزمة اللسانيات العربيّة:

بعد أن ذكرنا العوامل الكامنة وراء الموقف الراهن للسانيات العربية، والتي عدّت من طرف كثير من الباحثين عقبات ذات علاقة بعملية تلقّي هذا العلم في الثقافة العربية، حيث تُبين البحوث اللسانية العربيّة عن مجموعة من العوائق التي نعتبرها علامات ومظاهر للعقبات السّابقة وتظهر في مستويين:

1- تجليات الأزمة على صعيد الموضوع: تتلخّص مظاهرها في ما يلي:

1-1- الانحراف عن موضوع اللسانيات:

يمثّل تحديد الموضوع بإحكام في جميع الدّراسات مطلبا في غاية الأهميّة، ففي اللسانيات تعدّ اللّغة -كما هو متفق عليه- الموضوع الوحيد والأجدر للدراسة، فهل تقيّد اللسانيون العرب بموضوع اللسانيات؟ يعتقد أحد الدارسين أنّ الدرس اللسانيّ انحرف في معظم مواقفه عن الموضوع الواضح له ألاّ وهو اللّغة العربية، فالمتفق عليه أنّ موضوع اللسانيات هو دراسة اللسان البشري حيث يرى (سوسير) في هذا الصدد أنّ "الموضوع الحقيقي والوحيد للسانيات هو دراسة اللسان في ذاته ومن أجل ذاته"²، ولعلّ هذا ما يبدو واضحا في اللسانيات الغربية، إلاّ أنّ هذه المعيار يوشك أن يُغيب عن أفكار كثير من اللّغويين العرب؛ فلا يمكن إيجاد مقارنة فعلية وراهنّة مع اللّغة العربية، هذا ما جعل البحث اللسانيّ العربيّ متعاليا عن موضوعه، وبالتالي فإنّه لم يصل بعد إلى التأثير في الواقع اللّغوي للعربية³، والسبب في ذلك يندرج في

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 87.

² - فردينان دي سوسير، محاضرات في علم اللسان العام، ص 15.

³ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 23.

دمج الأيديولوجية ضمن ميدان البحث اللغوي، فكثيرا ما ربط الباحثون العرب الأبحاث اللغوية بمباحث أخرى بعيدة عن موضوع الدرس اللساني، مثل دمج إشكالية العربية في إطار الدين والقومية والقول بصعوبة اللغة العربية وصعوبة نحوها¹.

إنّ اللسانيات بنيت أساساً على فهم الواقع كما هو لا كما ينبغي أن يكون، غير أنّ البحث اللساني في العالم العربي قد تجاهل الواقع اللغوي العربي كظاهرة مثّلت موضوع الدراسة، إضافة إل أنه في كثير من الأحيان لا يتعامل مع الواقع كما هو؛ بل كما هو متخيّل في فكرنا الافتراضي.

1-2- النظرة غير الموضوعية للغة العربية:

إنّ من تجلّيات أزمة اللسانيات العربية، ما يطلق عليه النظرة غير الموضوعية للغة العربية، فالمتفق عليه من أسس اللسانيات أنّ اللغات البشرية لا تتمايز في ما بينها، لأنّها تلتقي في هدف واحد هو التواصل بين مستعمليها فكلّ اللغات متكافئة، لكن ما يلاحظ أنّ كثيرا من الدارسين واللغويين العرب يرون أنّ اللغة العربية أفضل من اللغات الطبيعية الأخرى، فهي توصف في عديد من الكتابات اللغوية العربية بأوصاف جليّة كعلو المرتبة، وسيادة العالم²، وغيرها من أوصاف التقديس الأخرى، غير أنّ من الباحثين من يرى بأنّ العربية ليست كما يظنّ بعض اللغويين العرب، لغة قويّة تختصّ بخصائص لا توجد في لغات أخرى، ومن ثمّ لا يمكن وصفها بالاستناد إلى اللسانيات الغربية التي وجدت لوصف لغات أوروبية، بل العربية مثلها مثل اللغات البشرية، وكونها عربية لا يعني أنها تتميز بخصائص تنعدم في اللغات الأخرى، بل لا نكاد نلفي ظاهرة في اللغة العربية إلّا ووجدنا لها شبيها في لغة أو

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 23.

² - المرجع نفسه، ص 45.

لغات أخرى¹، إنّ المبالغة في المدح والتقديس تُبعد الدراسات عن أهدافها العلمية، وتضعف خاصية الموضوعية التي تعدّ من أساسيات البحوث العلمية.

1-3- التّراث اللّغويّ العربيّ واللّسانيّات الحديثة:

من مظاهر الأزمة اللّسانية العربيّة ما وصفه أحد الباحثين بالرّغبة المتواصلة لدى جمهور من الدارسين اللّغويين العرب، في جمع التراث اللّغويّ العربيّ القديم بأحدث النّظريات والنماذج اللّسانية، وهذا ما ولّد توجّها كتابيا أطلق عليه أحد الباحثين لسانيات التراث، حيث يجعل هذا النوع من الكتابة اللّسانية، الموروث اللّغويّ العربيّ القديم موضوعا لتطبيقاته المختلفة، ويتّخذ رواد هذا التوجّه طريقة تسمّى القراءة أو إعادة القراءة... حيث إنّ له مقاصد كثيرة من تحليل اللّغة العربيّة القديمة، ونقد أفكارها بغية التوفيق بينها وبين البحث اللّسانيّ الحديث، لإثبات قيمتها وتفوقها ومكانتها المرموقة²، إنّ هذه الخاصية لدى أغلبية اللّسانيين العرب قد أنتجت عوامل كثيرة؛ لعل منها التمجيد المفرط للتّراث فبعض اللّسانيين يرون أنّ ما جاء به السلف كاف وشاف ولسنا في ضرورة إلى إعادة القراءة من منطلق أحدث يأخذ من النّظريات والكشوفات الحديثة³، إنّ هذا الجمع بين التراث واللّسانيّات الحديثة يظهر شادا عن جوهر البحث اللّسانيّ كما يطبّق عادة في اللّسانيّات العامّة، لأنّه ينأى عن الموضوع الوحيد للّسانيّات الذي هو اللّغة.

2- تجلّيات الأزمة على الصعيد النّظريّ والمنهجيّ: يمكننا أن نلخص تجلّيات أزمة

اللّسانيّات العربيّة على هذين المستويين في عدّة أسباب أهمّها:

2-1- تغييب مبادئ اللّسانيّات: يُفهم هذا التغييب بانعدام وجود اعتقاد نظريّ أو

منهجيّ ثابت حول قضايا اللّغة العربيّة التي يجب مقارنتها من وجهة نظر لسانية،

¹ - عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، الكتاب الأول، ص 56.

² - مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص 92.

³ - حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيّات، ص 73.

ذلك أنّ كثيراً من اللسانيين العرب يجهلون ملادئ اللسانيات الحديثة وكذا المنطلقات الفلسفية التي انبثقت منها، فالنشاط البحثي عند اللسانيين العرب يتّصف بالارتباك الفكري بسبب قلّة المعرفة بالأسس النظرية والمنهجية التي يصدر عنها علم اللّغة في تحليله للظواهر والمشكلات اللّغوية، وجرّاء هذا النقص نلحظ قلّة ونقصاً في الأبحاث اللّغوية القيّمة والأصيلة، التي لها المقدرة على دراسة قضايا اللّغة العربيّة من منطلق لساني له خلفيته النظرية والمنهجية¹، إنّ عدم وجود تصوّر منهجيّ ونظريّ للسانيات لدى كثير من الباحثين العرب، أوصل الكتابات اللسانية العربيّة إلى عشوائية الطّرح، والتسيّب والتشتّت، فمن تجلّيات هذا التسيّب أنّ صاحب الخطاب اللساني لا يهتمّ بتحديد المجال الذي ينتمي إليه خطابه، نظرياً ومنهجياً ووصفياً وكثيراً ما يعتقد أنّ ما يقوله يدخل ضمن إشكال بديهيّ وأنّ المنهج الاستدلالي الذي يعتمد عليه معروف كذلك، "ويذر لغيره أن يؤطرّ كلامه ويستخلص النتائج من خطابه الغامض ومزاعمه الضمنية، فموضعة الخطاب أو الإشكال ضرورية وملحة، نظراً لتعدّد التمثلات، وموارد المعرفة، ومدارسها، وتعدّد الرّؤى في تشخيص الإشكالات"²، إنّ هذا وضعاً من هذا القبيل قد كرّس ظاهرة من ظواهر أزمة اللسانيات العربيّة.

2-2- إهمال النظريات اللسانية الأم:

إنّ كثيراً من الدّارسين لمباحث اللّغة العربيّة لا يعيرون اهتماماً بالنظريات اللسانية، وذلك لظنّهم بأنّ هذه النظريات لا أهميّة لها لأنّ مصدرها ثقافة أخرى لا علاقة لها باللّغة العربيّة ونسقتها، فهذا يماثل ما قصده أحد الباحثين بقضية معارضة اللسانيات من طرف رواد الفكر التراثي... فقد أضيف مقياس اللسانيات ومستوياته إلى مواد النّحو والصّرف وفقه اللّغة والقراءات القرآنية، هذا المزيج التّصوري أريك

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 24.

² - الفاسي الفهري وآخرون "تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية: وقائع ندوة جهوية" دط. الرباط: 1987م، منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم يونيسكو، ص 12.

على اللسانيات وعلى مدارسها، ووضع تناقضات باطلة بين اللسانيات وتلك المقاييس فكان أن تفرق الأساتذة والطلبة بين مناصرين لللسانيات ومناصرين للتراث اللغوي العربي¹، إن البحوث اللغوية التي تندرج خارج ميدان اللسانيات لازالت تنتج إلى اليوم، ولا يزال أصحابها يثابرون على جهودهم، فالدعوة مثلا إلى إعادة بناء النحو العربي تحدث بوضوح خارج مجال البحث اللساني في تفكيكه للجملة وأجزاء اللغة التركيبية بصفة شاملة²، فجمود اللسانيات حدث بفعل جمود علاقات الأساتذة في مجال ثقافي لا يثق فيه جيل تراثي بما هو حديث، لمجرد أنه حديث³، إن إهمال النظريات اللسانية من طرف كثير من الباحثين اللغويين العرب؛ قاد إلى تمحور الدراسات حول التراث العربي، وأدى أيضا إلى اشتداد أزمة اللسانيات العربية.

يُستنتج مما سبق ذكره من مفاهيم للأزمة اللسانية العربية وتوضيح عواملها ومظاهرها؛ أن الدرس اللساني العربي يتكبد قصورا في التلقي؛ وكإثبات على ذلك أن الدرس اللساني في بيئتنا العربية قد ساعد بشكل كبير في القضاء على عديد من الإشكالات اللغوية والصحية، لكنه في الثقافة العربية لم يحرك ساكنا، هذا الوضع أدى إلى وجوب إعادة النظر في منهجه بغية مراجعة أصوله وأسس المعرفة لتقويمه بشكل يصلحه.

تعدّ أزمة اللسانيات مسألة صعبة ومحيرة، فللخروج باللسانيات العربية من الصعوبات التي أشرنا إليها في المبحث السابق، اقترح العديد من اللسانيين والباحثين العرب تقويم الكتابات اللسانية العربية، وإعادة النظر في أسسها ومنطلقاتها الفكرية لإعادتها إلى مسارها الصحيح، فالقراءة التقويمية بهذا الزعم هي إحدى المواضيع التي أدت إلى تطوّر البحث اللغوي عند الغرب، وعلى الرغم من مكانة هذا التوجّه

¹ - حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص147.

² - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص26.

³ - حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص201.

للكتاباة اللسانية العربية؛ إلا أننا لا نكاد نجد له ذبوعاً واسعاً عند العرب فما المقصود به؟ وما أنواعه؟ وما خصائصه؟

رابعاً: ماهية الخطاب اللساني التقويمي:

يعرف بأنه خطاب مؤسس على خطاب آخر، وغايته أن يتتبع منجزات الخطاب اللساني المغاربي والعربي على اختلاف أنماطه، بالنظر إلى الأسس النظرية التي يصدر عنها والأدوات المنهجية والإجرائية التي يتوسل بها والنتائج التي حققها وتكمن أهمية هذا النمط في الدور الذي يلعبه في إطار الثقافة اللسانية العربية والمتمثل أساساً في تقويم الحركة اللسانية المغاربية وتحديد موقعها من صميم النشاط اللساني (مدى قربها أو بعدها عنه) مما يسهم في إثرائها من ناحية وتوجيهها من ناحية أخرى¹.

إنه توجه خاص في الكتابة اللسانية يضطلع على التحليل النقدي الذي يهدف إلى نقد المبادئ النظرية والمنهجية للسانيات العربية، ومن هذا المنظور يرى (مصطفى غلفان) أن المكتبة العربية تكاد تخلو من البحوث المفصلة والشاملة التي تهتم بالتحليل النقدي للكتابة اللسانية في الثقافة العربية الحديثة، فلم تربط بعد أي علاقة بين الخطاب اللساني العربي وبين الخطاب اللساني العام وهي العلاقات التي من شأنها أن توضح لنا المصادر الأساس التي أخذت منها خطاباتنا اللسانية الحديثة، وتحدد الأسس النظرية والمنهجية المعترف بها، وتظهر ما استفادته دراسة اللغة من هذه العلم الجديد²، ومن هذا المبدأ فقد أضحي هذا الاتجاه يشكّل اتجاهاً قائماً الذات في المغرب العربي بصفة خاصة وفي دول عربية أخرى.

¹ - يوسف منصر "الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه" نقلاً عن:

² - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 5.

1- فروع الخطاب اللساني النقدي:

إنّ الخطاب اللساني النقديّ من خلال ما سبق هو الاستقصاء الدقيق لأبرز الخطابات التي صنّفت في مجال اللسانيّات العربية أو الألسنيّة العربيّة أو اللغويّات العربيّة، وتحليلها تحليلاً منهجياً يمكن من تشخيص وإظهار سماتها النظريّة والمنهجية في ضوء اللسانيّات العامّة¹، فغاية الخطاب النقديّ هي كشف العقبات الإبستمولوجية التي تقطع المسار أمام التراكم اللامتناهي للمعارف وتعرقل نموها البطيء وتزمر بها داخل زمن جديد وتعزلها عن مصدرها الاختباري وغاياتها الأصليّة وتطهرها ممّا ألصق بها من أوهام خياليّة² ومن هنا يرى (حافظ إسماعيلي علوي) أنّه من الواجب التفريق بين الكتابات اللسانية النقديّة التي تتفرّع حسبها إلى عدّة فروع كبرى، حسب طبيعة الاشتغال والمبادئ المنطلق منها وكذا المنهج المعتمد والغايات التي تريد تحقيقها والوصول إليها من خلال البحث، ولقد أفرز بحثه عن تقسيم الكتابات النقديّة إلى ثلاثة اتجاهات أهمّها:

1- خطاب نقديّ عام.

2- خطاب نقديّ خاصّ.

3- خطاب نقديّ مؤسّس³.

فكلّ فرع من هذه الفروع له نسقه الخاص ومنطلقات فكريّة تفرّقه عن غيره من الفروع، فالفاصل بينها يظهر في ما يصدر عنه من نتائج بعد تقويم الأعمال اللسانية وبالرغم من دقّة التفريع السابِق وشموليّته؛ إلاّ أنّ (يوسف منصر) كان له رأي نقض حيث يقول: "غير أنّ هذا التقسيم في تصوّري غير جامع لبعض النماذج النقديّة أو

1- مصطفى غلفان، اللسانيّات العربية الحديثة، ص9.

2- فوكو ميشال، حفریات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، دط، الدار البيضاء، 1986، ص6.

3- حافظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيّات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009م، ص187.

التقويمية العربية مما يجعله تقسيما غير ذي كفاية وصفية تصنيفية، فمثلا أين سُمّوع أعمالا تدرج ضمن الرصد الاستقصائي لما يكتب في مجال اللسانيات... وأين سنصنّف كتابات نقدية أخرى تتناول عملا صادرا في حقل اللسانيات... وتحت أي نمط نقديّ يمكن أن نتحدث عن المراجعات اللسانية التي أعدّها ضربا من النقد الذي يتجاوز القراءة المكتفية بالعرض والتقديم من ناحية؛ ويؤسّس لكتابة نقدية أكثر عمقا من ناحية أخرى، وعليه أقترح أن تتمّ الكتابة اللسانية النقدية إلى:

-الكتابة النقدية الاستقصائية.

-الكتابة النقدية القرائية.

-الكتابة النقدية المراجعة.

-الكتابة النقدية المشروع¹، نلاحظ على هذا التقسيم عدم اختلافه في مضمونه عن التقسيم السابق؛ وإنما يبدو الاختلاف على مستوى التسمية فقط، ومن هنا سنأخذ بالتقسيم الأوّل لأنّه أسبق منه زما، وكذلك لدقته ويتمثّل في ما يلي:

1-1-الخطاب النقديّ العام: يركّز موضوعها حول الكتابة اللسانية العربية بشكل عام، فالنقد في هذا الاتجاه يقارب الأبحاث اللسانية العربية في عموميتها؛ أي دون تفريق بين نماذجها وفروعها، فمنذ انبهار الثقافة العربية باللسانيات الغربية برزت عدّة فروع ونماذج تشابه تعدّد الاتجاهات في الثقافة اللغوية الغربية، منها الاتجاه المقارن والتاريخي ثمّ الاتجاه الوصفيّ التصنيفي، وصولا إلى الاتجاهات التفسيرية المتمثلة في الاتجاه التحويليّ التوليديّ بتنوّع نماذجها، ويليه منهج النحو الوظيفي.

إنّ التفريق بين هذه الاتجاهات والمناهج في المقاربة النقدية التقويمية مبدأ لا بدّ منه، تحاشيا للوقوع في العمومية المطلقة التي لا علاقة لها بالبحوث العلمية التي

¹- يوسف منصر، الخطاب اللساني المغاربي، أصوله مفاهيمه إجراءاته، ص210.

تتّصف بالدقّة والصورنة، ويعمد رواد هذا النمط إلى إطلاق قرارات سلبية على الجهود اللسانية، دون البحث في العوامل التي أدت إلى واقع اللسانيات العربية، مثل قول (مبروك عبد الوارث) عن اللسانيات العربية أنّها لم تثبت أقدامها بالقدر الكافي، ولا تزال تفصل بينها وبين المستوى الذي بلغته في جامعات الغرب درجات كبيرة، اللهم ومضات تلمع بين الحين والحين وترتفع إلى ذلك المستوى، ولكنها في الأعم نتاج جهد فرديّ خالص¹، إنّ هذا الرأي يؤكّد بصفة دقيقة القرار التعميميّ الذي لا يبنى على منهج علميّ له أسس جليّة في التحليل والتصنيف، فهو لا يتخطى أن يكون رأياً تملّيه رغبة دفيئة تجاه اللسانيات الغربية.

1-2- خطاب نقديّ خاصّ: تصوّب نحو أحد الأصناف اللسانية أو أحد اللسانيين؛ وأحياناً تنصب على صنف من أصناف الدّراسة اللسانية، ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة المؤلّف الذي حضر فيه النّقد، وما نلاحظه على هذا الصّنف من الكتابة النّقدية تعديّه -في أحيان كثيرة- لحدود اللّباقة العلميّة لينحاز عن غاياته ويتحوّل من لسانيات إلى تلاس، ولعلّ الدّرس اللسانيّ مليء بكثير من هذه النّماذج، سواء أكان المؤلّف نقدياً أم تعليمياً، فتجد المؤلّفين في كثير من الأحيان يجنحون إلى النّقد اللاموضوعيّ للأعمال اللسانية مستعملين اللّغة النّابية والتّجريح، التي تمولّها الدّاتية المفرطة، التي تنزاح عن النواميس المتعارف عليها في المنهجيات العلميّة المنطقيّة. إنّ هذا الملمح يُضاف إلى ملامح أخرى شاركت في تدهور وضعيّة اللسانيات في الثقافة العربيّة، ومن أمثلة ذلك ما كتبه سعد مصلوح في كتابه: (دراسات نقديّة في اللسانيات العربيّة المعاصرة) ناقداً أحد كتب الصّوتيات حيث يقول: "لهذا كله - يقصد ما جاء به صاحب الكتاب - رأيتّه واجباً عليّ أن أتناول هذا الكتاب، لا بالعرض النّاقد، فليس فيه من مسائل الخلاف كثير ولا قليل، وإنّما بالتنبيه إلى ما

¹ - مبروك سعيد عبد الوارث، في إصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1985م،

ضمّنه بين دفتيه من أخطاء في أوليات الدرس الصوتي وبديهياته... فالكتاب مطبوع، وكاتبه أستاذ جامعي والمكتبات إنما تقتفي الكتب بعناوينها وبألقاب مؤلفيها دون فحص سابق يمتاز به الصحيح من السقيم"¹، وإذا رجعنا إلى مؤلف هذا الناقد يُلاحظ عليه عدم تصريحه بالأسس النظرية والنقدية التي بنى عليها نقده، وفي هذا الصدد يقول حافظ علوي: "غير أنّ ما يُلاحظ على (مصلوح) هو عدم تصريحه بالأصول النظرية والمنهجية التي اعتمدها في مؤلفه الذي اختار له عنوان دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة ويستمد هذا السؤال مشروعيته من مضمون الكتاب الذي تضمّن دراسات لا علاقة لها باللسانيات ولا بنقدها"² يستخلص من هذا القول أنّ الأهمّ في المؤلفات النقدية هو إبانة الناقد عن الأصول النظرية المعتمدة في نقده، ليسهل للقارئ التأكّد من الأسس النظرية، والنتائج التي وصل إليها عقب دراسة.

يُضاف إلى ما ذكرنا رأي أحد اللسانيين في أعمال (الفاسي الفهري) حيث يقول: "بينما لسانيات الغرب في تقدير هذا الحدائي على العكس من ذلك تماما... ولذلك لا يُجوز لأحد أن يشكّك في القيمة العلمية لهذه النماذج ولا في جدواها النفعيّة، ومن ثمّة إذا أظهر واحد من العرب حاجة إلى إقامة نظرية لسانية جديدة تتوقع ما يناسب أنماط اللغات...وجب رميه بالشعوذة ونعتُ كلامه بالهزط الخارج عن الخطاب العلميّ وليس هناك دليل أقوى من هذا على عجز العقول، وصغر في النفوس وركون إلى التقليد الذي يُكسب شهرة محلية أو ينوّل منصباً إدارياً"³، إنّ النماذج المذكورة آنفا نموذج من عدّة نماذج أخرى، لكنّ جلّ هذه الأقوال لا تُمثّل كلّ اللسانيين العرب؛ بل تعزى إلى قائلها وتوكّد آراءهم الشخصية، لكنّ الجانب الأهمّ

1- سعد محمد مصلوح، دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1. القاهرة، 1989م، ص275.

2- حافظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاح، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، ص190.

3- محمد الأوراعي، نظرية اللسانيات النسبية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010م، ص73.

في هذه التجارب هو وجود نضج نقديّ بدأ يشقّ طريقه إلى الثقافة العربية، غير أنّ الملاحظ عن أغلب الأعمال في هذا التوجّه تظلّ غير مكتملة، من جهة فقدانها لعناصر النشاط النقديّ السليم، وهذا ما يصبو الخطاب النقديّ المؤسّس إلى تخطّيه¹، فانتشار هذا النوع المحدث من المقاربات النقديّة في ميدان الدّراسات اللسانية العربيّة، ينبئ بمستقبل واعد في مجال اللسانيّات النقديّة؛ لأنّ أغلب المعارف التي عرفت تطوّراً كبيراً كان النّقد عاملاً من عوامل تطوّرها، فهل ستصلح التجربة النقديّة في ميدان الدّراسات اللغويّة العربيّة؟

1-3- الخطاب النقديّ المؤسّس:

يختلف هذا النوع من الكتابة عن النوعين السّابقين؛ فهو لا يصدر من مبادئ عامّة في النّقد، ولا يركّز في نقده على نمط خاصٍ أو على لسانيّ في حدّ ذاته، بل يهدف إلى مراجعة وتقييم الخطاب اللسانيّ ونقده، بالارتكاز على أسس نقديّة واضحة، ويعتمد التقييم في هذا الصّنف "على محدّدات نظريّة ومنهجية تضمن للنّاقِد تماسكاً واضحاً، من خلال الرّبط بين المقدّمات والنّتائج وصياغة الأسئلة والإشكالات قبل أن يتّجه للإجابة عنها باعتماد الانسجام والتماسك في التّحليل"²، حيث يعدّ هذا النمط من الخطاب جديداً على الثّقافة اللسانية العربيّة بل وحتّى الغربيّة.

إنّ هذا الاتّجاه أحوج ما تكون اللسانيّات إليه في الثّقافة العربيّة، لأنّه مبني على أسس ومبادئ غايتها تقييم وتقييم محصّلة الخطاب اللسانيّ العربيّ في مجمله؛ بغية تطويره وكشف لعوائق التي توفّق تقدّمه بالشّكل المطلوب، ومن ثمّ الدّفع به للمشاركة في اللسانيّات العامّة، غير أنّ هذا الاتّجاه من النّقد لا يقوم به فرد بعينه بل يستوجب تضافر جهود اللسانيّين وعديد المؤسّسات البحثية، لإقامة صرح لسانيّ عربيّ.

¹ - حافظ إسماعيلي علوي وامحمد الملاح، قضايا إبستمولوجية في اللسانيّات، ص193.

² - المرجع نفسه، ص194.

2-رؤاد الخطاب اللساني النقدي:

انبرى للكتابة في هذا الاتجاه من الخطاب النقدي كثير من اللسانيين والمفكرين العرب، حيث كانت بداية التأليف بعد شعورهم بتدري واقع البحث اللساني في الثقافة العربية، وكانت هذه المحاولات في البداية محدودة؛ بسبب قلة الدراسات في هذا الاتجاه، وعدم الشعور بدوره في ترقية الوضع اللساني، ولكن مع مرور الزمن تسارعت معدل التأليف بسبب شيوع الوعي النقدي، وتمكّن اللسانيين العرب من الارتباط وتتبع نتائجهم المعرفي، ولم يكن شيوع الخطاب النقدي في بلد بعينه؛ بل شمل عددا من دول المشرق والمغرب، ففي بادئ الأمر لم تكن الأعمال النقدية تنفرد بمؤلف خاص بها، بل كانت عبارة عن ملاحظات وتأملات ومراجعات مترامية في أعمال اللسانيين، وكانت علامتها المميزة لها هي التقديرات الشمولية والجزئية في التعامل، وبعدها اكتست الدراسات النقدية جدية في الطرح ودقة في المنهج والمبادئ، وجعلت لها مؤلفات خاصة بها، ومن أهم اللسانيين الذين كان لمؤلفاتهم قيمة نوعية نذكر:

2-1- تجربة رياض قاسم: حاول هذا الباحث تتبع أعمال اللغويين في لبنان من سنة 1801م إلى 1860م وقام بتحليلها ونقدها، من خلال مؤلفه (البحث اللغوي الحديث في العالم العربي) وبعده من الأوائل الذين بدأوا الكتابة النقدية اللسانية، لكن ما يسجل على مؤلفه تركيزه على بلاد واحدة فقط في الدراسة، وذلك يعني أنّ المحصلة المتوصل إليها توصف بالقصور وعدم الشمول، لكن يرجع له فضل السبق في هذا المجال.

2-2- تجربة الفاسي الفهري: حاول هذا اللساني نقد الخطاب اللساني العربي، من خلال مؤلفه (اللسانيات واللغة العربية) وذلك بتعرضه للعوامل الحقيقية لتخلفه، حيث يرى (الفهري) أنّ الخطاب اللساني العربي خطاب هزيل إذا ما قارناه بنظيره عند الغربيين، ولا شك أنّ هذا الرأي الذي وصل إليه (الفهري) جاء بعد تحليله للواقع

اللّسانيّ العربيّ، وبعد تواصله بالباحثين اللّسانيين غير العرب، وعلى الرّغم من مكانة الآراء المضمّنة في هذا المؤلّف؛ إلا أنّ الناقد لم يقدّم فيه مقارنة ميدانية واقعيّة لمراحل الخطاب اللّسانيّ العربيّ، ولم يظهر بدقّة مواطن القوّة والضعف، بل كانت آراؤه النّقديّة عامّة.

2-3- تجربة حمزة بن قبلان المزيني: انشغل هذا اللّسانيّ بما يُنجز في الثقافة اللّسانيّة العربيّة، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الكتب المترجمة، وهذا من خلال مؤلّفه (مراجعات لسانيّة بجزأيه) وهدف الناقد من التقويم النّقديّ الوقوف على أسس الكتابات اللّسانيّة وتراكيبها، إضافة إلى الآراء والأفكار الموجودة داخلها، غير أنّ ما يلزم الإشارة إليه؛ عدم وجود أسس نقديّة تؤطّر آراء (حمزة بن قبلان) فلم يشر إلى الأصول التي انطلق منها في تجربته النّقديّة؛ بل نجده يبدأ مباشرة في التقويم، كما أنّ نماذج النّقد اعتباطية ولا تتّصف بالدقّة في معظمها.

2-4- تجربة سعد مصلوح: حاول هذا اللّسانيّ نقد كثير من الخطابات النّقديّة كتقويم للّسانيّات العربيّة، فاتّسمت كتاباته باعتماده على أسس من الدّرس اللّسانيّ الحديث والمعرفة الحجاجيّة والعلميّة، فكانت له نتائج قيّمة في هذا الميدان، ومن مؤلّفاته نذكر (في اللّسانيّات العربيّة المعاصرة: دراسات ومناقشات) ومؤلّفه (في النّقد اللّسانيّ: دراسات ومناقشات في مسائل الخلاف) لكن الذي نشير إليه أنّ مؤلّفاته يعوزها الشّموليّة كغيرها، فلم تشمل معظم الخطابات اللّسانيّة العربيّة؛ بل اعتمدت بعض النّمادج فقط.

2-6- تجربة عبد الرحمن بن حسن العارف: قدّم هذا اللّسانيّ دراسة نقديّة من خلال مؤلّفه (اتّجاهات الدّراسات اللّسانيّة المعاصرة في مصر) محاولاً نقد الفكر اللّسانيّ في مصر، وذلك بهدف تتبّع اتّجاهاته في حقبة زمنيّة معيّنة، فاعتمد طريقة التّصنيف في نقد الاتّجاهات اللّسانيّة، فكان من نتائجه تصنيفها إلى توجّه لغويّ (مستوى صوتي، مستوى صرفي، مستوى نحوي، ومستوى معجمي) إضافة إلى

ميادين أخرى مثل: الميدان الاجتماعي والنفسي والميدان المقارن، ولقد توصل هذا الناقد إلى نتيجة طيبة، لكن ما يُلاحظ على منهجه التركيز على حقبة زمنية محدّدة وعلى بلد واحد، فافتقر إلى خاصية الشمولية، كما أنه لم يوضّح بدقّة المرجعية المنهجية التي اعتمدها.

2-7- تجربة حافظ إسماعيلي علوي: حاول هذا اللساني المعاصر تقديم عدد من الأعمال النقدية المتميزة في مجال التقويم، وذلك من خلال عدّة كتب + منها: كتاب (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة) وكتاب (قضايا إبستمولوجية في اللسانيات) وقد اتّسمت مؤلفاته بالدقّة والشمولية، لأنّ الكاتب أطرّ أعماله على مرتكزات منهجية وعلمية، بل أسّس لطريقة نقدية لنقد اللسانيات العربية، ولقد اتبع طريقته كثير من اللسانيين والباحثين في المغرب العربي بصفة خاصّة، وفي المشرق العربي بصفة عامّة.

3- مقومات الخطاب النقدي العربي:

3-1- التحيز اللغوي النسبي:

ونعني به كلّ استخدام لغوي غير مُنزاح إلى جوانب فرعية، ممّا يجعله كلاما أدبيا، فلغة الخطاب اللساني لغة علمية لا تقبل التباسا معنويًا أو تعابير غير حقيقية لأنّها خطاب علمي والخطاب العلمي يستوجب استعمال لغة دقيقة واضحة وموجزة لا تقبل الشك والإيحاء والغموض، ومن هنا يكون الاهتمام أولاً على اللغة العلمية التي تجنح إلى الصرامة التي تقي من الخطأ¹، ومن شروط الحياد اللغوي عدم الانزياح إلى جهة معيّنة في التحليل، كالانزياح مثلاً لمدرسة معيّنة أو إلى جانب دون آخر أو إلى لساني معيّن، ولقد اتّسمت معظم الخطابات اللسانية النقدية العربية

¹ -صالح بلعيد، اللغة العلمية، دار هومة للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2003م، ص116.

بهذه الخصيصة العلمية، وهذا ما جعل لغتها لغة علمية، وهذا لا يعني عدم وجود انزياح نسبي بين الفينة والأخرى.

3-2- التحلي بالموضوعية:

تعدّ هذه الميزة مهمّة في كلّ الأبحاث والأعمال العلمية، وهي ميزة منهجية يتوجّب وجودها في كلّ خطاب لساني، غير أنّها لا تثبت إلّا إذا اتّصف صاحب الخطاب بالحياد والموضوعية، وانصرف ما أمكن عن آرائه الشخصية، فمطلب الموضوعية بالنسبة لأيّ ناقد يوصل إلى "تغيب منشئه وكل ما له علاقة بحالة خاصّة، أو بلحظة زمنية محدّدة، وأن يتموقع داخل اللّازمان واللاكونية"¹ والحقيقة أنّها موجودة في كثير من الخطابات النّقدية العربية بدرجات متباينة كونها ميزة غير مطلقة، وتعتمد كفاءة البحث على حضورها وعدمه.

3-3- جودة التحليل:

يعدّ التحليل من التقنيات والميكانيزمات التي تستعمل في الأبحاث الوصفية بصفة خاصّة، وتأخذ هذه الميزة مكانتها من خلال ما يستطيع الباحث الوصول إليه بعد توظيفها، فهي تعطي حصيلة أكثر دقّة من الآليات الأخرى، لذلك نجد كلّ الخطابات النّقدية تستعمل التحليل العلمي الدقيق، لتعطي نزاهة لنتائجها في نهاية كلّ بحث.

3-4- إمكانية البطلان والنقض (Falcification):

نعني به إمكانية الخطاب اللساني النّقدية للتخطي أو للنقض من طرف خطابات لسانية نقدية أخرى، فكّل خطاب نقدي مهما كانت قدرته التفسيرية وقوة الأسس المنطلق منها، فذلك لا يعني أنّه يمتلك حجبة النّظر الداحضة، فلولا وجود هذه الميزة لما ظهرت خطابات نقدية متنوّعة ومتفاوتة، لأنّ كلّ بحث يثبت قصور

¹ - Gérard Vigner : Lire du text que sens ,p98.

الدراسة التي قبله وبذلك يتقدم العلم ويتطور، ولا شك أنّ كثيرا من الخطابات النقدية العربية تسمح بكلّ نقد يوجّه إليها، بل تدعوا لإكمال ما بدأتها ولا تدعي الأسبقية والمثالية.

رابعا: تقويم الخطاب اللساني من خلال بعض الكتابات اللسانية النقدية:

يرى (مصطفى غلفان) أنّ كثيرا من الخطابات اللسانية العربية أكدت أنّ البحث اللساني العربي، يشهد أزمة تمنع قيام لسانيات عربية في المدى العلمي المطلوب، ويتعلّق الأمر بعدد من الكتابات منها:

-أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، لمازن الوعر.

-ملاحظات حول الكتابة اللسانية، لعبد القادر الفاسي الفهري.

-عقبات البحث اللساني العربي، لعبد السلام المسدي.

لقد عمل الباحثون من خلال تقديم للسانيات العربية وتحليل واقعها؛ على عرض خيارات وحلول لما يعترضها من أزمات وعوائق على الصعيد النظري والمنهجي، وهذا ما يميّزها عن الكتابات اللسانية الأخرى التي درست الموضوع نفسه، وسنتناول بعض ما احتوته هذه الكتابات باختصار:

1-تقويم مازن الوعر للسانيات العربية: يُعدّ (مازن الوعر) من الباحثين العرب الذين درسوا الواقع اللساني العربي، وحاولوا بجهد كبير تشخيص مظاهر أزمة اللسانيات العربية، عن طريق دراسة جاءت في أحد مؤلفاته، بعنوان (أزمة اللسانيات واللسانيين العرب) ولقد أدرج في هذه الدراسة مظاهر أزمة اللسانيات العربية وكذا البدائل التي رآها مناسبة لها، فمن مظاهر هذه الأزمة حسب (مازن الوعر) أنّها أزمة منهج تتلخّص في عدم وجود منهج عربي قادر على تحليل اللغة العربية

صوتياً وصرفياً ونحوباً ودلالياً، فالدرس اللساني لا يتوفر على النظرية النحوية المتكاملة التي تستطيع أن تراعي كل القضايا التركيبية للغة العربية¹.

كما أشار أيضا (مازن الوعر) إلى مظهر ثانٍ لا يقل أهمية عن الأول، وهو ما له علاقة بأزمة التراث اللغوي والنظريات اللسانية، فاللسانيون -حسب رأيه- انقسموا إلى مجموعتين مجموعة "يدعوا أصحابها إلى التراث اللغوي العربي قائلين إنه لا يمكن قيام أي حركة لسانية حديثة يريدها العرب في التاريخ الحديث إلا إذا استلهمت أعمالها ومناهجها من النبع الأصلي لهذا التراث بأبعاده الصوتية والنحوية والدلالية"² ومجموعة أخرى تناصر اللسانيات وتعتبرها منفصلة عن التراث العربي، فموّيدوا هذا الفريق -في نظر مازن الوعر- يريدون أخذ اللسانيات بصفة شمولية، وترجمة مبادئه وأسسها وتطبيقه على اللغة العربية، على غرار ما حدث في اللغات الأخرى، فأنصار هذا الفريق يعتقدون بأن مرحلة التراث اللغوي العربي ومناهجه هي مرحلة تاريخية قد ولّت، ويتوجّب علينا أن ننظر إليها ضمن مجالها التاريخي فحسب³.

إنّ الجدل بين أنصار التراث والحداثيين جدال وهمي حسب (مازن الوعر) لأنّ الجهود اللغوية القديمة والحديثة في نظره تندمج مُشكّلة كلاً متكاملًا للفكر الإنساني في ميدان التشكيل المتحضّر الفاعل والمندمج في سيرورة التاريخ الفلسفية، ويضيف (مازن الوعر) ملمحاً ثالثاً شارك في أزمة اللسانيات تمثلاً في إشكالية المصطلح اللساني، الذي يراه الناقد "امتداد لمشكلات العرب الثقافية الزاهنة، تلك المشكلات المتعلقة بالهوية القومية والتجربة الحضارية المعاصرة التي تخوضها الأمة

1- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دط، دمشق، 1988م، ص344-345.

2- المرجع نفسه، ص353.

3- المرجع نفسه، ص353.

العربية¹، وقد ردّ عوامل هذه الإشكالية إلى اللسانيين أنفسهم وإلى الترجمة وغيرها، ومن ملامح الأزمة أيضا التمثل الخاطئ للسانيات من طرف الدارسين اللغويين العرب، فالمؤلف يرى أنّ عددا منهم أساءوا ويسيئون للسانيات بفهمهم الخاطئ لمجريات العمل اللسانيّ، وتوظيفهم للسانيات في غير منزلتها، لقد أضى الحديث عن اللسانيات ومناهجها وتطبيقها في التحليل الأدبيّ واردا في جميع المستويات بشكل يبعث على الأسف². إنّ هذه المظاهر التي ذكرها المؤلف، قد قادت في نظره إلى تأزم واقع البحث اللسانيّ العربيّ، وإخراج البحث اللسانيّ العربيّ من الأزمة دعا (مازن الوعر) إلى ما يلي:

- العناية بعلم اللسانيات كعلم قائم الذات في جامعات العالم العربيّ، ومحاولة نشره وتطويره، ووضع الأسس الأكاديمية له وجعله علما مستقلا بنفسه؛

- إرساء كليات قائمة بذاتها في جامعات العالم العربيّ يطلق عليها كليات اللغات والعلوم اللسانية الحديثة، يكون فيها ميدان اللسانيات قسما بذاته، وهذه الكلية ينبغي أن تتكون من أقسام (قسم اللسانيات الحديثة، قسم دراسة اللغة العربيّة الحديثة، أقسام اللغات الأجنبية العالمية)³ إنّ الذي يجب الإشارة إليه أنّ رأي (مازن الوعر) في أزمة اللسانيات العربيّة لم يأت في مؤلف خاصّ به؛ بل عبارة عن تقويم عام لواقع اللسانيات في الثقافة العربية، وليست فحصا دقيقا لحوزعتها، لأنّ التقويم يتطلّب نقدا مبنيا على أسس منهجيّة أكثر دقّة وتوسّعا.

2- تقويم الخطاب اللسانيّ العربيّ عند الفاسي الفهري:

يُعدّ (الفاسي الفهري) من الباحثين المتميّزين في اللسانيات العربيّة المعاصرة، بسبب إنجازاته الكبيرة في إغناء الخطاب اللسانيّ العربيّ، من حيث أسسه النظريّة

1- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص370.

2- المرجع نفسه، ص346.

3- المرجع نفسه، ص282-284.

والمنهجية، وكذا الاشتراك في نقد الخطاب اللساني العربي، ومحاولة تتميتها إلى الأفضل، وذلك بمقارنته المنهجية للخطاب اللساني العربي حيث اشتهر (الفاسي الفهري) برأيه الواضح من الخطابات اللسانية العربية، وذلك بوصفها "خطاب هزيل"¹ ولقد سئل (الفهري) عن إستطاعة تعديل رأيه في اللسانيات العربية فقال: "عندما قلت إن ما يكتب في اللسانيات العربية هو من قبيل الخطاب اللساني الهزيل بطبيعة الحال كانت هناك مجهودات، ولكن هذا الحكم مازال قائماً، بحيث لا نجد مواكبة في المستوى المطلوب لا في اللسانيات الحاسوبية ولا في اللسانيات التاريخية ولا في اللسانيات الوصفية ولا في لسانيات المتون"²، يبدو جلياً من خلال هذا القول بأن رأي (الفهري) في الخطاب اللساني العربي لازال موجوداً ولم يتبدل، إن القول بقصور الخطاب اللساني يوحى إلى معاناته من أزمة خانقة، ردها إلى مجموعة من السلبيات منها:

2-1- التظاهر بالعلمية والتنظيم: يرى (الفاسي الفهري) بأن رواد الخطاب اللساني العربي يتظاهرون العلمية والمنهجية، حيث يتناول عدد من اللسانيين العرب قضية العلم والمنهجية بتصوير يتخطاهما، ومما يميز البحث اللساني العربي والبحث اللساني المتأخر فهم خاطئ للعلاقة بين التطبيق والنظرية، أو ما يطلق عليه التجريبوية البسيطة³، وكمثال على هذا الإدراك الخاطئ ما يراه تمام حسان مثله في ذلك مثل الوصفين حيث ينكر العلة ونظرية العامل والإعراب التقديري وكثيراً من الأسس والأفكار الموجودة في التراث، وينفي الخروج من شئ ظاهر إلى شئ مجرد، بدعوى أن هذه الأشياء في رأيه ليست من العلم، وأن العلم يجب أن يعتمد على الملاحظة المادية، والاستفسار عن الكيفية، ولا يتخطى ذلك إلى الاستفسار عن

¹ - الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 35.

² - حافظ إسماعيلي علوي ووليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، ص 106.

³ - المرجع نفسه، ص ن.

سبب وجود الظاهرة¹. ينفى (الفاصي الفهري) هذا الرأي لأنّ النظرية العلمية يلزم أن تتشكّل من المستوى الوصفيّ إلى التفسيريّ.

2-2- فهم مغلوط للتراث: يشغل الموروث اللغويّ العربيّ منزلة راقية في البحث اللسانيّ العربيّ المعاصر، حيث اعتبره (مصطفى غلفان) مجالاً منفرداً ومستقلاً وقائماً بذاته أسماء (لسانيات التراث) ويعتقد (الفاصي الفهري) أنّ من عقبات البحث اللسانيّ العربيّ الحديث، فهم اللسانيين الخاطي للتراث، أو ما يسمّى تقديس التّراث، فالترّاث في نظره "إمّا معطيات اللّغة الموصوفة، وإمّا مفاهيم وصفية، أو أصول وتأمّلات وعلى هذا نضطر إلى التفريق بين النسق الفكري وبين المعطيات"²، وعلى هذا المبدأ ظلّ (الفاصي الفهري) ينكر زعم الرجوع إلى آراء النّحاة القدامى واللّغويين لأنّه لا حاجة منطقية أو منهجية تلزم علينا استعمال هذا التراث، فبناء قواعد اللّغة القديمة مثلاً لا يحتاج إلى الأفكار الموجودة في النّحو القديم؛ بل يمكن أن تستبعد باستخدام النصوص القديمة³، وتنقسم القراءات حسب (الفاصي الفهري) إلى نوعين:

1-قراءات تهدف إلى تفسير المادة الموجودة في التراث وتبويبها؛

2-وقراءات تحاول أن تنتقل ممّا هو موجود في هذا التّراث بغية عصرنته والخروج به إلى الحاضر⁴. من هذا المنطلق يعرّف (الفاصي الفهري) طريقة القراءة عملاً يكون ذا أبعاد نظرية ضيقة وأنّه لا بد من احترازاات منهجية على المحصّلات التي تصل إليها، فدراسة التراث يجب أن تتّصف بالوضوح والدّقة، ومهما كانت المنهجية المتّخذة في قراءة التّراث، فإنّ (الفاصي الفهري) يرى بأنّ هناك ثلاثة أخطاء منهجية سقط فيها اللسانيون وشاركت في تردّي واقع الدّرس اللسانيّ العربيّ الحديث هي:

1- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص58.

2- المرجع نفسه، ص60.

3- المرجع نفسه، ص ن.

4-المرجع نفسه، ص59.

الخطأ الأول: الإيمان بأنه لا بد من استعمال التراث في إنشاء نحو يصف اللغة العربية.

الخطأ الثاني: صعوبة توظيف التراث في نحو اللغة الحالية لأنه يقود إلى دمج بين نظامين مختلفين.

الخطأ الثالث: اعتقاد أنّ المنهج الواصف للغة العربية المعاصرة أو القديمة يحتاج ضرورة إلى أفكار القدماء وأسسه أو بتعبير آخر إلى الفكر النحوي العربي القديم¹. يظهر لنا من خلال هذا العرض؛ أنّ (الفاسي الفهري) ينكر صراحة العودة إلى التراث اللغوي العربي، ويدعو إلى البعد عنه كلياً، بل يرى من الخطأ في نظره العودة إليه، غير أنّ من الدارسين من يردّ على (الفاسي الفهري) ويرى بأنّ رأيه في التراث لم يكن جلياً ودقيقاً على الأقل من الجانب العلمي والتطبيقي... ويبدو لنا من جهة أخرى، أنّ (الفاسي الفهري) حتّى وهو يمتنع التعامل مع التراث، إلاّ أنّه يجد نفسه مجبراً على القيام بقراءة من نوع خاص يطلق عليها القراءة الانتقائية، وذلك حين رجع إلى التراث النحوي القديم، لا ليظهر قصور أفكار التراث اللغوي ونقصه النظري والمنهجي، بل لاختيار بعض آراء القدامى وتفسيراتهم للاستفادة منها في مجال المقاربة اللسانية التوليدية لظواهر من اللغة العربية²، إلاّ أنّ هذا النقد لا يُنقص من مكانة التّصوّرات التّقديّة التي قدّمها (الفاسي الفهري) لتقويم الخطاب اللساني العربي.

2-3 فهم خاطئ للغة العربية: يرى كثير من اللسانيين من خلال خطاباتهم اللغوية؛ أنّ اللغة العربية لغة استثنائية وتنفرد بكثير من المزايا لا تُوجد عند مثيلاتها من اللغات البشرية الأخرى، ولعلّ هذا الفكر ترفضه الأصول اللسانية التي تنصّ على أنّ اللغات البشرية لا تتباين عن بعضها البعض، ذلك أنّ مهمتها هي التّواصل

¹ عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 60.

² مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، ص 112-113.

والتبليغ، وعلى هذا الأساس يرى كثير من الدارسين أنّ هذا التمايز لا أساس له من الصّحة، لأنّ اللّغة العربيّة لغة كغيرها من اللّغات الطّبيعية الأخرى، وأنّ المميّزات الموجودة فيها توجد في غيرها من اللّغات، ولقد نجم عن هذا الفهم "موقف من اللّسانيات نفسها مفاده أنّ هناك تطبيقاً أعمى لهذه اللّسانيات على اللّغة العربيّة لأنّه يفرض عليها قواعد خارجة عن طبيعة بنيتها...ولا تختلف اللّغة العربيّة في شيء عن اللّغات الإنسانيّة الأخرى...فمن حيث هي أنساق تنتمي إلى مجموعة اللغات الطّبيعية وتشارك معها في عدد من الخصائص الصوتيّة والتركيبية"¹.

يرى (الفاسي الفهري) بأنّ اللّغة العربيّة لغة كغيرها اللّغات البشريّة، وكونها عربيّة لا يعني أنّها تنفرد بخصائص لا توجد في أيّة لغة من اللّغات، بل لا يكاد - في رأيه - إيجاد ظاهرة في اللّغة العربيّة، إلّا ويجد لها مثيلاً في لغة أو لغات أخرى²، فموقفه واضح من خلال هذا الطّرح، فهو يقف ضدّ المبالغة في تقديس اللّغة العربيّة؛ لأنّ هذا من العوامل المؤثّرة في أزمة اللّسانيات العربيّة.

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربيّة: أسئلة المنهج، ص111.

² - عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربيّة، ص56.

الباب الثَّانِي: الخطاب اللّسانيّ
المغاريّ من خلال بعض
النّماذج.

الفصل الأوّل: الخطاب اللّسانيّ عند مصطفى غلفان.

توطئة:

أوّلاً: الخطاب اللّسانيّ التمهيديّ عند مصطفى غلفان.

ثانياً: الخطاب اللّسانيّ التقويمي (النّقدي) عند
مصطفى غلفان.

ثالثاً: الخطاب اللّسانيّ عند (مصطفى غلفان) بين
النّقد والتّقويم.

توطئة:

تُعدّ اللسانيات التمهيدية¹ من أهمّ اتجاهات الكتابة اللسانية العربية الحديثة، ولقد لعبت دورا بارزا يتمثل في نقل المعرفة اللسانية إلى القارئ العربي بطريقة مبسطة حتى يتمكن من فهمها وتمثلها، وقد تولّى هذه المهمة جمهور كبير من العلماء والباحثين القدماء والمحدثين والمعاصرين، حيث أفرز هذا الاهتمام بروز قدر كبير من المؤلفات التي تُعنى بمهمة تبسيط وتذليل اللسانيات الغربية، ومن اللسانيين العرب الذين اهتموا بهذا الصنف من الكتابة اهتماما كبيرا، فخصّه بعدد معتبر من المؤلفات والأعمال التي نراها رائدة في هذا المجال؛ (مصطفى غلفان) وسنحاول في هذا الفصل تتبّع وتقصّي أهمّ خصائص وأهداف الخطاب التمهيديّ عنده.

¹ - أشير إلى أننا سنعمد منهجية مصطفى غلفان، في محاولة تقويم الخطابات اللسانية المغاربية، حيث تقوم على أسس ثلاثة ثابتة؛ هي المنهج والموضوع والغاية، فهذه العناصر المنهجية موجودة في كلّ مؤلف لسانيّ استوفى شروط العلمية، كما اعتمدنا على عناصر منهجية أخرى لتحليل الخطابات اللسانية وهي: العنوان والمقدمة واللغة المستخدمة في الخطاب، إضافة إلى مقومات الخطاب العلميّ ومنها: الوضوح والانتظام والشمولية والموضوعية...وهي مساطر منهجية توصل -حسب زعمنا- إلى التقصيّ الصحيح والتقويم الموضوعي للخطابات اللسانية المغاربية.

أولاً: الخطاب اللساني التمهيدي عند مصطفى غلفان:

1- تعريف الكتابة اللسانية التمهيديّة:

حدث تطوّر كبير في اللسانيات الغربيّة مطلع القرن العشرين بفضل ما قدّمه (دي سوسير) وكثير من اللسانيين البارزين، وقد شكّل ذلك طفرة كبيرة في ميدان هذا العلم أدّى إلى استقطاب الكثير من الطّالبيين له على مستوى العالم بسبب انبهارهم به، ذلك لأنّه يحمل نظرة حدائثية للغة يطبعها التجديد، ولأنّ من سمات كلّ علم جديد الغرابة والصعوبة، عكف الدّارسون على تبسيط وتدرّيس هذا العلم للقارئ المبتدئ ومحاولة إزالة اللبس عنه، حيث تلتزم "الكتابة اللسانية التمهيديّة بالجانب التعليميّ والتبسيطيّ وبإعطاء القارئ المبتدئ المفاتيح التي تمكنه من حلّ كلّ مستغلات اللسانيات وتمكينه من مبادئها وتوجّهاتها، وهذا ما تتطلق به عناوينها وخطابها المقدماتي" ¹.

وتعدّ الغاية التعليميّة أسمى الغايات التي تنشدها اللسانيات التمهيديّة؛ لأنّها تصبّ جلّ اهتماماتها على القارئ لتمكينه من تلقّي المعلومة بطريقة سلسة وبسيطة، وقد كثر التّأليف في مثل هذا النوع من الكتابة في الثّقافة اللّغوية العربيّة لغاية مشابهة وهي نشر الثّقافة اللّسانية الغربيّة وتعريف العرب بها، على اعتبار أنّ الخطاب التمهيدي (أو التيسيريّة) منهج في التّأليف لا يمكن لأيّ معرفة أن تضيع وتنتشر بدونها؛ لذلك من المعتاد أن يشكّل هذا النوع من الكتابة أحد المشاغل الأساسيّة لتعليم العلوم وتقريبها إلى القراء، حيث تعدّ الغاية التيسيريّة الهدف الذي تريد تحقيقه²، إضافة إلى أنّها من أكثر صنوف الكتابة انتشاراً وذيوعاً، وهذا الأمر لا يخفي حقيقة بارزة مفادها أنّ اللّغويين العرب من شدّة انبهارهم بالدّرس اللّسانيّ الحديث سارعوا إلى التّأليف فيه

1- أم هاني حبيطة، محمد مدور، أهم ما طرحه اللسانيات التمهيديّة، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانيّة، المجلد4، العدد 7، جانفي 2021، ص14.

2- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، ص99.

حتى بات هذا الصنف ينافس الكتابات التراثية ويصبح من بين أشهر "أصناف الكتابة اللسانية العربية، الموجهة إلى نقل المعرفة اللسانية الغربية إلى القارئ والباحث العربي وبخاصة الطالب في الجامعة، بغية التعريف بالمبادئ والمفاهيم والمصطلحات والنظريات بأسلوب مبسط يسهل تلقي المادة وفهماها"¹.

إنّ ما يمكن استخلاصه ممّا سبق أنّ اللسانيات التمهيدية أو التيسيرية أو التبسيطية هي لون من ألوان الكتابة اللسانية هدفها تقديم اللسانيات بطريقة مبسّطة للقارئ العربي في الجامعة لتسهيل فهمها.

2- خصائص الخطاب اللساني التمهيدي عند مصطفى غلفان:

تزخر المكتبة اللسانية العربية بكثير من المؤلفات اللسانية التمهيدية، حيث تسابق اللسانيون العرب على مرّ السنوات في التأليف في هذا الصنف من الكتابة، فيصّر عدد منهم على خوض تجربة التقديم للسانيات الغربية، وترك بصمة علمية في هذا المجال، على الرغم من أنّ هذا النوع من الكتابة وصل إلى حدّ التخمة والتشبع وكثرة التأليف، وهذا ما يسوّغ لنا طرح التساؤل الآتي: هل كلّ ما كتب في مجال اللسانيات التمهيدية يملك حجية الطرح وسلامة الرؤيا والأفكار؟ ألم يحن الوقت بعد إلى التوقف ومراجعة ما كتب وتقويمه؟ هل تعتبر مواصلة التأليف اعتراف صريح بفشل الكتابات السابقة وأنّ العملية هي تكرار لا غير؟

يقوم عملنا في هذا المبحث على دراسة وتحليل خصائص الخطاب اللساني في أعمال ومؤلفات (مصطفى غلفان) التمهيدية، الذي خاض تجربة الكتابة اللسانية كغيره من اللسانيين العرب، وقدم مجموعة من المؤلفات الهامة، سنحاول في هذا المبحث تحليلها والإبانة عن خصائصها.

1-خولة إبرير وفريدة لعبيدي، وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيدية، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية،

مج 18، العدد 1-2، السداسي الأول والثاني، 2021، ص147.

يعدّ كتاب: في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، الطبعة الأولى 2010، من أهمّ المؤلفات التي قدّمتها (مصطفى غلفان)، فلقد كان بداية التأليف الرسميّ في اللسانيات التمهيدية، وقد قدّم الكاتب من خلاله نظرة شاملة وعميقة عن اللسانيات تشمل التاريخ والموضوع والمفاهيم.

وثاني كتاب في إطار التأليف التمهيدي: اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثله، 2010 الطبعة الأولى، حيث حاول من خلاله الإحاطة بمفاهيم النظرية التوليدية التحويلية لشومسكي معرجا على مبادئها وخصائصها ونماذجها المتنوعة.

وثالث مؤلف تمهيدي: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات الطبعة الأولى 2013. حيث تناول فيه الكاتب الأسس النظرية والمنهجية التي تقوم عليها اللسانيات البنيوية، كما يقدم فيه أبرز الاتجاهات اللسانية البنيوية، ويبيّن فيه الكاتب المخطوطات الأخيرة بشأن بعض المؤسّسين أمثال (سوسير).

ورابع مؤلف تمهيدي: اللّغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، الطبعة الأولى 2017 حاول فيه الكاتب مراجعة كتاب (سوسير) والإشارة إلى الجزء المفقود من مؤلفه، حيث يعتقد أنّ (شارل بالي وسيشهاي) قد عرضاه مبتورا وناقصا، فعرّج فيه الكاتب على مفاهيم عدّة منها: اللّغة واللسان والعلامة والاعتباطية وغيرها، تشكّل هذه المؤلفات أهمّ ومعظم ما قدّمه (مصطفى غلفان) في الشقّ التمهيدي وفيما يلي تحليل لأهمّ الخصائص:

أ- من حيث الموضوع:

إنّ تحديد الموضوع من أبجديات نشأة العلم والنظريات، فمن شروط العلميّة تحديد الموضوع والالتزام به و"ما يجب معرفته أنه من البديهية بمكان، تحديد موضوع أي

فكرة، أو نظرية علمية كانت أو لسانية، فهي خطوة لا غنى عنها¹، فموضوع الكتابة التمهيدية الأساس هو اللسانيات وكل ما يتعلق بها من مبادئ ومناهج ونظريات وأعلام ومدارس، حيث تسعى هذه الكتابة -سبق تعريفها- إلى تبسيط وتسهيل اللسانيات للقارئ، ولكن هل التزمت الكتابات التمهيدية بهذا الموضوع؟

لقد تباينت الدراسات العربية في معالجة موضوع اللسانيات وقد شاب بعض المحاولات الأولى لبس في تحديد موضوعها وحيز بحثها، فكان منها من لم يميز بين اللسانيات وفقه اللغة، ومنها من عرفها بدراسة مستويات اللغة... ومنها أيضا من أفنى مجهوده في موضوع نشأة اللغة وأصلها²، إن تخبّط الكتابة التمهيدية في إشكالات منهجية جعل من عملية إيصالها للقارئ يشوبها مغالطات فكرية وخطأ منهجي، فقارئ الكتابة اللسانية التمهيدية يلاحظ خطأ واضحا في ضبط موضوع الدرس اللساني ضبطا دقيقا... ولا شك أن لهذا الواقع عوامله، ويمكن أن نورد غياب آليات البحث اللساني، والكسل المعرفي الذي يقف دون مساندة بعض الباحثين للتطورات اللسانية³.

إنّ هذا الأمر لا يعني ضعف كل المحاولات اللسانية التمهيدية، فالواقع يثبت أنّ كثيرا من الكتابات الجادة التي تتحدّث في صلب اللسانيات دون خلط أو تزييف، محاولة التركيز على شرح نظرية بحدّ ذاتها، أو مستوى من المستويات اللغوية، ومنها ما يتحدّث بطريقة تأصيلية تُمكن من الفهم العميق لجذور اللسانيات وأسس اللسانيات الحديثة.

1- إيمان بوشارب وعبد السلام شقروش، كتاب "اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات" مصطفى غلفان -قراءة نقدية تقييمية في الموضوع والمنهج والغاية- مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد 7 (جانفي 2021) ص 798.

2- هبة خباري، خصائص الخطاب اللساني -أعمال ميشال زكريا أنموذجا، منشورات زين، ط 1، بيروت-لبنان، 2011، ص 88.

3- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، 119-123.

بعد هذا التقديم العام لأهمية تحديد الموضوع وخطورة التخلّي عنه في اللسانيات التمهيدية؛ يمكننا أن نقف عند الخطاب اللساني التمهيديّ المقدم من طرف (مصطفى غلفان) ونطرح السؤال التالي: هل اهتم مصطفى غلفان بتحديد موضوع الخطاب التمهيديّ في كتاباته؟

تقتضي الضرورة المنهجية الوقوف عند أول مؤلف لسانيّ تمهيديّ عند (مصطفى غلفان) الذي عنوانه ب: (في اللسانيات العامة تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، الطبعة الأولى 2010) احتوى الكتاب مجموعة من الأبواب والفصول تحدّث من خلالها المؤلف عن اللّغة في بعدها الإنسانيّ و ركّز على الطبيعة النفسية لها، ومدى علاقتها بالوجود الإنسانيّ، وتحدّث عن الكيفية التي تُكتسب بها اللّغة، كما ركّز على مكّون ثان وهو الطبيعة الاجتماعية للّغة، ثم تطرّق في الباب الثاني للحديث عن تاريخ اللسانيات وتطورها (التوفيقية، المقارنة والتاريخية) أمّا في الباب الأخير فقد تفرّغ الكاتب للحديث عن اللسانيات في العصر الحديث من حيث المجال والموضوع والمفاهيم، كما فصلّ في شرح الثنائيات السوسيرية، ولقد احتوت هذه الفصول كما هائلا من المبادئ والمفاهيم والمعلومات اللسانية التاريخية المثبتة بالتواريخ والأدلة.

وقد صرّح في مقدّمة كتابه قائلا: "لقد حاولنا الوقوف على بعض الأسس الفكرية والمنهجية التي قام عليها ما اصطلح عليه باللسانيات العامة وعلى أهمّ الموضوعات المتّصلة بها وليس كلّها... أو التي يتعيّن معرفتها في حقل اللسانيات العامة ولقد حاولنا قدر المستطاع ألا نعرض للموضوعات التي استهلكت في العديد من الكتابات اللسانية العربية مثل نشأة اللّغة والأسر اللغوية¹"، ولم يخف المؤلف احتياج المكتبة العربية لهذا النوع من المؤلّفات لأنّ الدرس اللسانيّ الغربيّ في تطوّر متسارع، ويرى بأنّ الدّراسات

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص6-7.

العربية لا تقدّم للقارئ العربي ما يمكنه من متابعة جزئيات هذا العلم والمنهج المتبع فيه في جزئياته وتفرعاته العامة¹.

كما حاول المؤلف من خلال هذا العمل بالإلمام باللسانيات وتقديم منهجية عملها لإفادة الطالب المبتدئ بطريقة بسيطة، حيث اتجه في إعداد هذا الكتاب نحو الجمع بين التعمق والتبسيط... وقد أخذ فيه بعين الاعتبار تقديم كلّ مبادئ التيسير والإبانة والتمثيل وإعادة صياغة الأفكار، والتذكير بها بعبارات أخرى كلما دعت الأمر إلى ذلك دون انتهاك الدقة المطلوبة والأمانة العلمية²، من خلال هذا الطرح يظهر جليا أنّ الكاتب يصرّح بموضوع كتابته التمهيدية في مقدّمة كتابه، فهو يحاول تبسيط اللسانيات العامة للقارئ العربي المبتدئ، وقد أشرنا في البداية إلى أهمية تحديد الموضوع وعدم الخروج عنه، ومن هنا نرى بأنّ الكاتب ووفق منهجيا في تحديد الموضوع والإشارة إليه انطلاقا من العنوان إلى فهرس الكتاب، لذلك يندرج طرحه ضمن الطرح العام، حيث قام بتقديم اللسانيات بصفة عامّة.

أمّا في مؤلفه الموسوم ب: اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم و أمثله، (2010) نجد فيه الكاتب يتوغّل في صميم الكتابة التمهيدية ويظهر جليا من خلال طرحه لموضوع اللسانيات التوليدية التحويلية التي تعتبر من أهمّ النظريات اللسانية التي لازالت نماذجها تدرّس إلى يومنا هذا، وبصرّح (مصطفى غلفان) كعادته في مقدّمة كتابه بالشحّ والنقص الفادح في الكتابات التي تشرح وتيسّر اللسانيات التوليدية للقارئ المبتدئ حيث يرى "أنّ هذا الكمّ المنجز في إطار الأدبيات التوليدية التحويلية كثيرا ما يطرح جملة من الصعوبات في غياب مصادر عربية تقدم اللسانيات التوليدية منذ بداياتها وفي جميع مراحل تطورها

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص5.

2- المرجع نفسه، ص7.

مع بيان العناصر الفاعلة في هذا التطور والأسباب النظرية والمنهجية التي قادت إلى هذه التحولات"¹.

إنّ الكاتب لا ينفي وجود مصادر عربية في ميدان اللسانيات التوليدية التحويلية ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مؤلف ميشال زكريا الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية) فقد حاول في مقدّمة هذا الكتاب تحقيق طفرة جديدة من حيث الموضوع، تتجلى في المشاركة في زيادة دراسة قواعد اللغة العربية على خطى النظرية التوليدية التحويلية² فالمصادر كثيرة ولكنها تفتقر إلى المواكبة والتأصيل العلميّ الميسر.

ويضاف إلى ذلك أنّه يؤكّد مرّة أخرى حرصه على إفادة القارئ المبتدئ ومراعاة صعوبة تلقي اللسانيات التوليدية فيقول: "حسبنا هنا أن نقدم للقارئ صورة واضحة عن النحو التوليدي في أسلوب واضح وبسيط يجمع بين العمق والتقديم العام دون إخلال بالمضامين العلمية للمفاهيم التوليدية الأكثر تداولاً وبعيدا عن كل تأويل تاريخي أو ربط لها بالتراث اللغوي العربي دفعا لكل التباس معرفي. كما حرصنا أن نقدّم أمثلة من اللّغة العربية بالدرّجة الأولى"³، وهذا دليل كاف على اهتمامه بالقارئ وفي هذا الإطار عالج مجموعة من الأفكار والجزئيات لخصها ضمن الفصول التالية:

-الأسس الفلسفية والعلمية، خصائص النظرية وتبرير اختيار الأنحاء، مفاهيم أساس في النحو التوليدي، النموذج المركبي، النسق الصوري في النحو التوليدي، النماذج التوليدية الأولى (نموذج البنيات التركيبية والنموذج المعياري)، الدلالة التوليدية، الفرضية

1- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم و أمثله، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2010، ص1.

2- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983، ص7.

3- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم و أمثله، ص2.

المعجمية، نظرية س خط، اتجاهات توليدية جديدة، وثابت النحو التوليدي، القيود على التحويلات، بنية الجملة في النماذج التوليدية، بنية الجملة من منظور النحو التوليدي، نظرية العمل والربط، نظرية العمل والربط الأنساق الفرعية، نظرية العمل والربط قيود ومبادئ، البرنامج الأدنى، البرنامج الأدنى مسارات التحول وآليات الاشتغال.

من خلال الاطلاع على الكتاب والعناوين السابقة يبدو أنّ (مصطفى غلفان) أراد تقريب اللسانيات التوليدية من القارئ العربي بطريقة سلسلة وموسّعة، ليضمن بذلك اطلاعه على كل مستجدات النظرية التوليدية، دون خلط عن طريق تراتبية واضحة ومنطقية تعكسها عناوين الفصول.

بعد عرضنا لمحتوى الكتاب السابق الخاص باللسانيات التوليدية التحويلية، يعود (مصطفى غلفان) إلى تعريف القارئ العربي باللسانيات الحديثة، ولكن هذه المرة لم يتحدّث عن اللسانيات العامة بل كان الموضوع خاصا بجزء لا يتجزأ منها ألا وهي اللسانيات البنيوية وقد حمل هذا المؤلف عنوانا واضحا هو: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ومن هنا نتساءل: ما الدافع الذي جعل مصطفى غلفان يرجع بالقارئ إلى اللسانيات البنيوية التي قد أتت بعدها العديد من النظريات المعاصرة؟ في هذا الصدد يصرّح مصطفى غلفان قائلا: "يمكن للمرء أن يتساءل عن جدوى مؤلف يعرض من جديد اللسانيات البنيوية في اتجاهاتها المتعدّدة... لقد طوّرت اللسانيات البنيوية نفسها في اتجاه إيجاد حلول ملائمة لبعض مظاهر النقص الذي وُسمت بها"¹. يفهم من هذا أنّ الكاتب يرى بضرورة مواكبة ما يحدث في الساحة اللسانية العالمية من نقاشات واجتهادات وتحديثات، حتى لا تتسع الهوة مرة أخرى، وقد أكد (مصطفى غلفان) في مقدّمة كتابه الابتعاد قدر الإمكان عن العزل الفلسفي الذي

1- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان،

لاحظ أنه بات يشكل مانعا كبيرا أمام القارئ العربي...ولهذه الأسباب التربوية العامة قام بتيسير الأصول الأساس في اللسانيات البنيوية بلغة سهلة وواضحة¹، وهكذا قد ساهم هذا الكتاب في ترسيخ المبادئ اللسانية الكبرى من خلال عرض الكاتب للإطار النظري والمنهجي للسانيات الوصفية والبنيوية، كما عرض التصورات اللسانية الكبرى، وعرّج على تقنيات التحليل اللساني الوصفي والمدارس اللسانية الشهيرة، وقد عدّ بحق مرجعا لا يستهان به للقارئ وللأساتذة المحاضرين.

ويستمر اهتمام (مصطفى غلفان) بعرض المادة اللسانية للقارئ وهذه المرة مع مؤلف مميّز ركّز فيه الكاتب على مفاهيم دقيقة في اللسانيات البنيوية عند واحد من الأعلام اللسانيين والمؤسسين الكبار والذي يلقّب بالأب الروحي للسانيات الحديثة ألا وهو (سوسير)، وقد عنون هذا الكتاب ب: **اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول**، وحدّد موضوع كتابه في مقدّمته قائلا: "وسيكون حديثنا في صفحات هذا الكتاب عن مفاهيم اللغة واللسان والعلامة انطلاقا من جملة من المصادر الأصول التي تمّ الإعلان عنها ونشرها في العقود الأخيرة إلى جانب النصّ الأساس المنسوب إلى سوسير، وقد سمحت نصوص سوسير الجديدة بالكشف عن فكر لغوي عميق ودقيق"²، حيث انطلق الكاتب من الحديث عن السياق المعرفي والتاريخي للسانيات سوسير، ثمّ تحدّث عن ثنائية اللغة واللسان، وبين مفهوم العلامة اللغوية وخصائصها شارحا مفهوم الاعتبار، وقد تبدو هذه المعارف مستهلكة عند القارئ، لكن بمجرد الاطلاع عليها يظهر بأنّها مستمدة من نصوص لسوسير ظهرت مؤخرا ولم تدوّن في كتابه الشهير، وقد أضافت هذه الأخيرة الكثير للمعارف السابقة الذّكر.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص11.

2- مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد

المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2017، ص8.

نستنتج من خلال ما سبق عرضه من توجهات الكتابة اللسانية التمهيدية عند (مصطفى غلفان)؛ أنه اتبع طريقة خاصة في عرض المادة اللسانية للقارئ المبتدئ، فقد انطلق من اللسانيات العامة إلى لسانيات التخصص ونقصد بذلك ما تم عرضه في النظرية التوليدية والبنوية، ليعود مرة أخرى إلى التعميم مع ثنائيات (سوسير)، فهل تمكن من إفادة القارئ بمضامين كتاباته؟

لقد قام الكاتب في المؤلف الأول بعملية مسح شامل وتقفٍ لمعظم المعارف التي يمكن أن تعرض للقارئ في ميدان اللسانيات العامة، وقد ركز في هذا المؤلف على جودة انتقاء المصطلحات وإزالة اللبس عنها، ثم حاول في كتابه الذي تحدّث فيه عن اللسانيات التوليدية أن يزيل الغموض بشكل موسّع عن إحدى أهم وأصعب النظريات اللسانية المعاصرة، ثم عاد للحديث عن البنيوية وأصولها وخصائصها ومدارسها نظرا لسيطرتها ردا من الزمن على الساحة اللسانية، وتحدّث في آخر مؤلف بصفة خاصة عن أعمال (سوسير) وبخاصة بعد استكشاف مخطوطات لم تنشر من قبل، انطلاقا من هذا الطرح يمكن أن نعتبر الكتابات التمهيدية المقدمة من طرف (مصطفى غلفان) لا تخلو من أهمية وقيمة، وذلك نظرا لممارسته التدريس في الجامعة مدة طويلة، مكنته من فهم عقلية الطالب والقارئ المبتدئ، وهذا ما يفسر القدرة على تبسيط وتيسير المعلومة.

إنّ دقّة (مصطفى غلفان) في تحديد موضوع اللسانيات في مؤلفاته ليست حكرا على مؤلف بعينه؛ بل هي سمة بارزة في كلّ أعماله، فالمطلّع على مؤلفات لا يشعر بخروج الكاتب عن موضوعه، أو تحدّثه عن مواضيع قريبة من حاشية اللسانيات كفقّه اللّغة أو علاقة اللسانيات بالتراث النحوي العربي، وهذا يدلّ على سلامة الطرح ودقّة الموضوع.

ب- من حيث المنهج:

يحتلّ المنهج مكانة هامة في جميع العلوم والمعارف، بل إنّ العلوم تتفاضل في ما بينها بالرجوع إلى سلامة المنهج ودقته ووضوحه، والمنهج "هو عبارة عن قواعد تُفرض على الفكر دون أن تؤثر سلباً على جوهره، هو خطوات تسمح للنظرية بمواجهة الواقع، هو طريقة في التفكير، رابط يربط الفكر بالواقع من أجل إبراز الحقيقة، وهو ضامن النظام والترتيب الفكري والارتباط بما يوجد خارج الفكر"¹. ومن هنا فإنّ حضور المنهج في النظريات والعلوم حتمية لا يمكن تجاوزها.

وفي حديثنا عن الكتابة اللسانية التمهيدية يمكن القول بأنّها تعتمد **المنهج التعليمي**، الذي يهدف إلى إيصال وتقديم المعارف اللسانية للقارئ المبتدئ بأسلوب ميسر، ويرى (مصطفى غلفان) أنّ اللسانيات التمهيدية تستخدم المنهج التعليمي المبني على الوضوح والسهولة والشرح وما يستدعيه كل ذلك من أدوات مساعدة من أمثلة ورسوم توضيحية².

وعلى الرغم من أهمية المنهج التعليمي الذي يروم الوضوح والتبسيط، إلا أنّ الكتابات اللسانية العربية لا تتفق على تبنيّه بصفة موحّدة، فالذي يمكن ملاحظته من خلال كثير من الكتابات اللسانية التمهيدية العربية هو تخبّطها في أزمة المنهج، ستجد أنّ كلّ مؤلّف يحتوي طريقة خاصّة، قد تختلف عن استراتيجيات الآخرين أكثر من تشابهها معهم، وذلك يدل على أنّ تيسير اللسانيات في الثقافة العربية، لا يزال سجين آراء خاصّة بأصحابها، حتى إنّنا نكاد نلمس أحياناً أنّ انتقاء المواضيع المتناولة له علاقة برؤية وفهم وانتقاء الكاتب أكثر من علاقته بمستوجبات العلم ومنهجه³، فإذا كانت هذه هي أهمّ السمات المنهجية التي تميّز الكتابة اللسانية التمهيدية، فما **المنهج**

1 - حنان قصبي ومحمد الهلالي، في المنهج، دار تويقال، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2015، ص6.

2 - مصطفى غلفان، أسئلة المنهج، ص62.

3 - هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص103.

الذي تبناه مصطفى غلفان في كتاباته التمهيدية؟ وهل نجح في إفادة القارئ؟ وهل استقرّ على منهج واحد؟

لقد صرّح (مصطفى غلفان) بتبنيه المنهج التعليمي الذي بسّط من خلاله المعارف اللسانية العامة والخاصة، ونراه تجنّب الوقوع في الخلط والالتباس الذي كان سمة بارزة في معظم الكتابات اللسانية التمهيدية لغيره من اللسانيين، فمثلا لم يخلط (مصطفى غلفان) بين التراث العربيّ واللسانيات الحديثة، ومن هنا يمكننا القول بأنّه يسير في كلّ كتاباته التمهيدية وفق منهج منظم ومؤطر للوصول إلى الغاية المنشودة وهي تقديم اللسانيات كعلم مكتمل إلى القارئ العربيّ، وقد صرّح في مقدمة كتابه (في اللسانيات العامة) بمنهجه قائلا: "وقد اتّجهنا في إعداد هذا الكتاب نحو الجمع بين العمق والتبسيط، وبين المتابعة التاريخية والتقديم الوصفي العام للقضايا اللسانية العامة من جهة، وللمفاهيم النظرية والإجرائية من جهة ثانية"¹ فهو يؤكّد المزج بين منهجين هامّين هما: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي.

وقد اعتمد على المنهج التاريخي بشكل جليّ في الفصل الذي عنوانه بـ: تاريخ اللسانيات: أيّ تاريخ؟ لأيّ لسانيات؟ يتحدث الكاتب في هذا الفصل عن تاريخ اللسانيات القديم مبينا أهمية الدراسات اللغوية القديمة مستدلا بذلك من مخطوطات المصريين والأكاديين ولا شك أنّ اختراع الخطّ والكتابة عند المصريين والأكديين والسومريين والفينيقيين ثمّ الهنود هو في ذاته اختراع حضاري مهمّ، وهو أيضا نموذج على القدر الذي وله البحث اللغوي في هذه الفترة الضاربة في عمق التاريخ، رغم أنّ المصادر التاريخية القديمة والحديثة لا تورد وجود كتابات لغوية حقيقية قائمة في ذاتها².

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص7.

2- المرجع نفسه، ص82.

إنّ اعتماد (مصطفى غلفان) المنهج التاريخي في طرحه ليس الهدف منه سرد المعلومات التاريخية بطريقة مضجرة، بل يرى بأنّ التأسيس العلمي هو الطريقة الوحيدة لمعرفة تطوّر الدرس اللساني وعثراته فتسجيل بدايات علم من العلوم قد يكون واجبا بالنسبة إلى بعض العلوم، وقد لا يكون كذلك بتاتا بالنسبة إلى أخرى، ويحدث أنّ كل تطوير وتقدّم يستلزم بالنسبة إلى بعض العلوم استبعاد المرحلة ما قبل العلمية، بينما تظلّ المرحلة السابقة موجودة في ذاكرة بعض العلوم واستمرارها في الحاضر والمستقبل¹.

كما استعان الكاتب بالمنهج التاريخي في شرحه للأسس الفلسفية والعلمية للنظرية التوليدية التحويلية، التي يراها مارست قطيعة علمية للأفكار التي كانت تنادي بها اللسانيات البنيوية، وتوضيح الفكرة أدرج (مصطفى غلفان) الأسس التي بنى عليها شومسكي نظريته "وجد تشومسكي في الفلسفة العقلانية ركيزة هامة لرفض جملة هامة من التصورات والمبادئ الفكرية والنظرية العامة التي قامت عليها الدراسات اللسانية البنيوية في أمريكا، وبالفعل عاد تشومسكي في تصوّره لطبيعة اللّغة البشرية إلى آراء الفلاسفة والنحاة العقلانيين ولا سيما آراء الفيلسوف الفرنسي رونييه ديكارت Rene Descartes (1596-1650) وتحليلات النحاة المعروفين بنحاة بور روايال²،

ويؤكّد (غلفان) على أهمية الرجوع إلى اللحظات التاريخية بهدف فهم ما حصل ولترتيب الأفكار يلزم فهم التغيرات النظرية والمنهجية التي حدثت في اللسانيات مع سوسير، العودة إلى الوضع المعرفي العام الذي نشطت فيه الأبحاث اللغوية في صلتها بالعلوم الدقيقة والمعارف الإنسانية التي عايشتها، وليس الهدف وضع أفكار (سوسير)

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص92.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم و أمثله، ص5.

في وضع تاريخي تقويمي، التنقيب في بدايات المفاهيم وجذورها أو السير إلى إثبات أسبقية سوسير أو ريادته على معاصريه أو سابقيه¹.

يضاف إلى المنهج التاريخي نجد أن المنهج المقارن قد حاز عند (غلفان) أعلى نسبة في الاستعانة به في سياقات كثيرة وهذا ما توصلنا إليه بعد قراءة دقيقة لمؤلفاته، وكان ذلك ملائما للغاية خاصة أنه بصدد الحديث عن المدارس اللسانية وضرورة المقارنة بين مبادئها وأسسها، ولا بأس أن نستشهد بواحدة من المقارنات بين المدرستين الأمريكية والأوروبية حيث يقول غلفان: "ومع بداية القرن العشرين، تمكنت اللسانيات الأمريكية من أن تخلق لنفسها إطارا نظريا ومنهجيا خاصا مميّزا عن نظيرتها الأوروبية... وأهم ما يميّز اللسانيات الأمريكية هو الإطار الفكري... فإذا كانت اللسانيات العامة في أوروبا قد ارتبطت بالفيلولوجيا المقارنة والتاريخية... فإن اللسانيات الأمريكية نشأت في ارتباط وثيق بعلمين آخرين هما علم النفس والأنثروبولوجيا"².

كما أن (مصطفى غلفان) يعقد مقارنات فكرية بين كبار اللسانيين لإبراز توجهاتهم ومساهماتهم، وهذا ما نراه في حديثه عن أفكار (شارل بالي) و(سيشهاي) وكذا (سوسير) فيرى أنه على الرغم من علاقة بالي وسيشهاي الشديدة بسوسير فهما يختلفان عنه في بعض الأصول التصورية التي يبينان عليها تصوّراتها وتجرّ عنها مجموعة من الآراء... وقد مرّ بنا تقديم مختصر لأهم أفكار بالي وتحديد فكرة علاقة اللسان بالكلام، أما سيشهاي فكانت له مباحث وانشغالات لسانية أخرى... ومقارنة بسوسير الذي دعا إلى بناء لسانيات علمية على أساس تحليل المنظم الذي يكمن في اللسان ولا شيء غير المتجانس فيه³.

1- مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 9.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية، ص 356-357.

3- المرجع نفسه، ص 205.

إنّ القارئ المبتدئ من خلال اطلاعه على عملية المقارنة؛ يحصل له تشبّع علميّ يستطيع من خلاله فرز المواد العلميّة وترتيبها والتفريق فيما بينها. واستغلّ (مصطفى غلفان) المنهج الوصفيّ لبسط المعارف اللسانية وشرحها والإسترسال في تفصيل جزئياتها، ولا أدلّ على ذلك من كثرة التّعريفات والشّروحات في كلّ كتاباته التمهيدية، فنجدّه يعرف اللّغة واصفا أهميتها "وتكمن أهمية اللّغة بوصفها سلوكا في كون كلمات اللّغة تصبح قادرة على إثارة السلوك مثلما تفعل ذلك الأشياء Objet الموجودة فعلا في العالم الخارجي التي تتوب عنها أو تعوّضها"¹، إضافة إلى أنّه ركّز على شرح المصطلحات التي قد تصعب على القارئ المبتدئ وهذا ما لمسناه في شرحه للنظرية التوليدية التحويلية، أو في تعريفه بالمدارس البنيوية القديمة وشرح مصطلحاتها الغامضة.

نستنتج من خلال ما سبق ذكره أنّ (مصطفى غلفان) أسهم في نشر وعي لسانيّ ونجح في بلورة المفاهيم اللسانية وتقريبها للقارئ العربيّ، وانتهج في ذلك منهجية سليمة، اتّسمت بتعدّد المناهج وتنوعها حتى في المؤلّف الواحد، فحقيقة لم يلتزم بمنهج واحد لبسط معطياته وأفكاره اللسانية؛ لأنّه من دواعي التبسيط تنوع المناهج من وصفيّ وتاريخيّ ومقارن وإحاطتهم بلغة تعليمية تبسيطية لتحصل الفائدة المرجوة من الكتابة التمهيدية، إنّ التنوع بين النظريّ والتطبيقيّ والتأصيل التاريخيّ هي آليات موصلة للفهم والتمثّل الصحيح للعلم، وبالعودة إلى سؤالنا السابق: هل نجح منهج مصطفى غلفان في إفادة القارئ العربيّ؟ نرى بأنّه نجح في طريقته لأنّ المنهج الصّحيح يؤدّي إلى نتائج صحيحة.

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص20.

ج- من حيث الغاية (الهدف):

لا شك أنّ لكلّ علم غاية وهدف، يُسهم في تحديدها موضوع العلم ومنهجه، فمن شروط علمية العلوم تحديد الأهداف والغايات لأنّ هذا ما تقرّه فلسفات العلوم والإبستمولوجيا بصفة عامّة، ويمكن أن تقسّم أهداف العلم "إلى أهداف معرفية وأهداف عملية، فأهداف العلم المعرفية تتقدّم في ضوئها المعارف البشرية، وتتضمن وصفاً دقيقاً للطبيعة، ونظريات وفروضا تفسيرية متنامية وعمل تنبؤات موثوق بها، وتعليم العلم للجيل القادم... أمّا بالنسبة للأهداف العملية فتتضمن حلّ المشكلات في مختلف المجالات"¹، وإذا تصفّحنا مقدّمات الكتابات اللسانية التمهيدية، نجد أنها تركّز على الغاية التعليمية التّبسيطيّة، حيث تمثّل الغاية التعليمية المسعى الأوّل الذي يستأثر باهتمام كلّ محاولة تمهيدية، ومن هذا البمدأ تصرّ مقدّمات المؤلفات اللسانية التمهيدية على هذا الموضوع، وتوليه ما يستحق من تركيز². فالغاية إذن من خلال هذه الكتابات التمهيدية هي تعريف القارئ العربي المبتدئ باللّسانيات الغربية، فهل تبني مصطفى غلفان الغاية التعليمية؟ أم كان له غايات غير معلنة؟

لقد حاول الكاتب تقديم المعرفة اللسانية للقارئ العربيّ دون الإشارة إلى تفرّده عن غيره من اللسانيين، بل يرى بأنّ جهوده حلقة في سلسلة الكتابات التمهيدية، كما أشار في مقدّمة أول كتاب تمهيدية، أنّ الغاية منها تكمن في إفادة الطّلبة والباحثين وليس في نيته سدّ النقص الكبير الذي تعانيه الثقافة العربية في ميدان المؤلفات التي تبسّط اللّسانيات العامّة أو الزعم بأنّ هذا الكتاب أفضل من سابقه، ولكنّه يهدف ما أمكن

1- عبد القادر لورسي، الدليل في الإبستمولوجيا وتدرّس العلوم، جسر للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2017، ص29.

2- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص106-107.

إلى البعد على ما نراه سلبياً... لا سيما وأنه يوفد إلى فئة معينة من القراء هم الطلبة المبتدئون في اللسانيات أو الذين يريدون استثمارها في ميادين معرفية أخرى¹.

لم تكن غاية (مصطفى غلفان) من كتاباته التمهيدية أن يقارن بين اللسانيات الغربية والتراث اللغوي العربي القديم؛ بل كان هدفه منصبا على نشر النظريات اللسانية الحديثة، ونخص بالذكر النظرية التوليدية التحويلية، التي يكثر الكلام عليها وعن جذورها العربية، فنجد الكاتب أفرد لها مؤلفا خاصا يقول في مقدمته: "إن هدف هذا الكتاب هو محاولة تقديم بعض العناصر المساعدة على قراءة متأنية ودقيقة للنحو التوليدي بدءا بمنطلقاته الفكرية والعلمية، مروراً بمفاهيمه الأساس ووصولاً إلى آخر مستجداته، من أجل استيعاب حقيقي لمضامين النظرية التوليدية"².

كما لم يكن هدف (مصطفى غلفان) تضليل القارئ وتوجيهه إلى توجه معين، بل كان الغرض أسمى من ذلك وهو دعوة الباحثين اللسانيين إلى العمل الجاد، وتصحيح المسار والتصورات المسبقة بالاستناد على التصورات والمنطلقات اللسانية الصحيحة وهذا ما أورده في مؤلف ثالث حيث حاول فيه أن يقدم بعض مظاهر هذا التعدد النظري والمنهجي التي تعكسه الدراسات اللسانية التي تتبنى اللسانيات البنيوية... دون نسيان الأوجه المشتركة... وعسى يساهم بهذا الكتاب في دعم الباحثين اللسانيين العرب ومدرسي اللسانيات إلى مكانة الأفكار والتصورات اللسانية البنيوية التي يتوجب معرفتها والإحاطة بمصادرها³.

ولم يغفل (مصطفى غلفان) عن الغاية التعليمية، ومحاولة تذكير القارئ بأسس هامة في البحث اللساني العام، وقد ركز على ثلاثة مصطلحات هامة هي اللغة واللسان

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 06.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم و أمثلة، ص 01.

3- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 09.

والعلامة وقد أفرد لها بدورها مؤلفا خاصا، لكي يتمكن من طرحها بشكل تجعل القارئ يتعرف عليها ويميز بينها وبين المصطلحات الأخرى، وهذا ما ذكره في مقدمة كتابه الذي حاول فيه دراسة وتحليل ثلاثة مفاهيم جوهرية ومركزية في لسانيات سوسير وفي اللسانيات الحديثة والسيميولوجيا وهي: اللغة واللسان والعلامة اللغوية... ولا يخفى على القارئ أن المصطلحات السابقة تقوم بدور كبير في بناء الفلسفات التي تستند إليها معايير سوسير الإبستمولوجية¹. وهذا ما يؤكد حرص الباحث وحسه التعليمي تجاه القارئ العربي.

لقد سيطرت الغاية التعليمية سيطرة كبيرة على المؤلفات اللسانية التمهيدية لـ(مصطفى غلفان)، حيث حاول الكاتب تقريب اللسانيات الغربي للقارئ العربي، رغبة منه في بناء صرح لساني عربي، ينافس نظيره الغربي في حل المسائل اللغوية العالقة، إن غاية (مصطفى غلفان) غير المعلنة تتمثل في تدريب الجيل الحالي على استثمار نتائج الدراسة اللسانية، ومحاولة إيجاد حلول تنموية للبلدان العربية.

3-وضعية القارئ العربي وإشكالات التلقي:

تحاول معظم الكتابات اللسانية التمهيدية تحديد الفئة التي توجه لها الخطاب، كما أنها تولي عناية بالغة للقارئ المتلقي كونه طرفا في عملية الكتابة، حيث تربطه باللسانيات علاقة فهم وتمثل، ويمكن القول أن الكتابة اللسانية التمهيدية تعتبره "قارئا ضمنيا بالمعنى الذي حدده أمبرتو إيكو (Umberto Eco) لهذا القارئ، موجود بالنسبة إليه داخل النص، وعلى الباحث أن يستخرجه منه"²، كما أن معظم الكتابات التمهيدية تعتقد القارئ إما ضعيف المستوى أو لا يملك توسعا وتخصصا أو جاهلا جهلا تاما بالمعلومة، وهي افتراضات تقريبية من أجل إصابة أكبر شريحة من القراء وإفادتهم، فالقارئ إذن هو في العموم لا يعلم أسس اللسانيات، لذلك فهو يتعين عليه اكتشافها

1-مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص07.

2-حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص117.

من خلال ما يلقي من كتب تقدّم له -حسب أصحابها- علامات ارتكاز التي يتمّ من خلالها فهم اللسانيات أو الإحاطة بها ثانياً¹.

ولقد تفضّل (مصطفى غلفان) إلى أهميّة تحديد طبيعة القارئ المتلقّي سواء كان قارئاً عادياً أو متخصصاً في اللسانيات أو طالبا جامعياً، أو من حيث مستواه الفكريّ له أهميّة كبيرة في مدى تجسيد المهمة الملقاة على هذا الاتجاه من الكتابة والتمثّلة في تبسيط المعرفة وتقريبها من فهم القارئ العربيّ، سواء كان قارئاً بسيطاً أم له معرفة قبلية باللسانيات²، وتمكّن (غلفان) من تحديد الفئة المستهدفة من خلال كتاباته اللسانية التمهيدية، وهم في الغالب طلبة اللسانيات، أو القراء المهتمون باللسانيات وهذا ما ذكره في مقدّمته وفي حديثه عن مؤلفه "ولكنّه يطمح ما أمكن إلى تجنّب ما نراه سلبياً... لا سيما وأنّه يتوجّه إلى فئة محدّدة من القراء هم الطلبة المبتدئون في اللسانيات أو الرّاغبون في استثمارها في مجالات معرفية أخرى"³.

وعلى الرغم من كثرة المؤلفات التمهيدية إلّا أنّ القارئ العربيّ يجد صعوبة في تلقّيها وفهمها، بسبب ما يسمّى بإشكالية المصطلح التي قد تؤدّي إلى صعوب في الفهم، ذلك أنّ البحث مليء بمصطلحات ومفاهيم يتعب نفسه لتمثّلها فيصعب عليه، أو يصل إلى المفهوم وصول غير المتيقّن من صحّة ما وصل إليه⁴، ولا شك أنّ (مصطفى غلفان) يعرف عجز القارئ في فهم العديد من المصطلحات المستحدثة، فنجدّه في كلّ نهاية كتاب ينجز فهرساً مصطلحياً يشرح فيه أهمّ المصطلحات الواردة في مؤلفه.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 99.

2- المرجع نفسه، ص 101.

3- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 06.

4- خالد محمود جمعه: اللسانيات ولغة الأدب، مجلة علامات في النقد الأدبي، دط، جدة، ديسمبر 1994،

ص 118.

إنّ الذي نستنتجه من خلال ما تطرّقنا إليه في هذه الجزئية، أنّ الهدف من الكتابة التمهيدية هو التبسيط، والهدف من التبسيط هو مراعاة القارئ وتحديد بدقّة، ومحاولة القضاء على عقبات التلقّي التي قد تصادفه أثناء عملية التلقّي.

4-بنية الخطاب التمهيدّي عند مصطفى غلفان:

إذا تأملنا في بنية أيّ خطاب كان علمي أو أدبي أو لساني نجده يتألف من ثلاثة جوانب، حيث من خلالها يمكننا الولوج إلى حقيقة الخطاب وفهمه بشكل جيد، وهذه الجوانب هي: العنوان، المقدّمة، ولغة الخطاب، فكلّ من هذه الجزئيات دورها وأهميتها في تحديد مكان الخطاب وتأثيره، ولاشك أنّنا سنركّز على عامل التأثير في هذه المبحث.

أ-العنوان:

يحظى العنوان بأهميّة بالغة في إعطاء القيمة للمؤلف أو الكتاب، فالعنوان ومن خلال الشحنة الدلالية التي يمتلكها يستطيع اختصار المعنى واختزاله، كما أنّه يمثّل نقطة الالتقاء بين القارئ والكتاب والكاتب، وهو الوسيلة الأولى لإغراء القارئ لتصفح وإكمال الأعمال والكتب، فالعنوان إذن مركّب نصي لا يقلّ أهميّة عن المركّبات النصيّة الأخرى، إنّه قوّة النصّ وصدارته الإعلامية، وهو مرآة النسق النصّي، وهو السبب للقراءة، وهو الفخ الذي يُنصب لجذب المتلقّي¹، ولاشك أنّ العناوين المستعملة في الكتابات التمهيدية تختلف عن بعضها وذلك ما يظهر في بنائها التركيبي، فبعضها يأتي في كلمة واحدة، والبعض الآخر في كلمتين أو أكثر، ولكن المشهور أنّ العناوين تنقسم إلى عنوان رئيسي عموماً يكون بالبنط العريض، وعنوان فرعيّ مكمل له، وقد تكتفي بعض الكتابات بعنوان واحد، وهذا كلّه تحكمه طبيعة الموضوع وغاية المؤلّف من مؤلّفه.

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص100.

ولو تتبعنا العناوين المستخدمة من طرف (مصطفى غلفان) في كتاباته التمهيدية فنجد بأنه اعتمد على طريقة العنوان الرئيس والعنوان الفرعي كما هو موضّح في الجدول التالي:

المؤلف	العنوان الرئيس	العنوان الفرعي
01	في اللسانيات العامة	تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها.
02	اللسانيات التوليدية	من النموذج المعيار ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم و أمثله.
03	اللسانيات البنوية	منهجيات واتجاهات.
04	اللغة واللسان والعلامة عند سوسير	في ضوء المصادر الأصول.

إنّ الملاحظة الأولى على هذه العناوين هو تركيزها على الغاية التعليمية، فمن خلال البنية التركيبية لها نجد بأنّ الكاتب وظّف كلمة مفتاحية محورية واحدة هي (اللسانيات) وهي رسالة مباشرة إلى القارئ لتسهيل التعرّف على مضمون ومحتوى الكتاب، وكأنّ الكاتب هوّن على القارئ عناء تصنيف الكتاب، ومن عادة غلفان إضافة كلمات واصفة للكلمة الرئيسية، يمكن أن نطلق عليها مصطلح **المحددات**، ومن أمثلتها (العامة، التوليدية، البنوية) فهذه الكلمات تحيل مباشرة إلى التخصص الذي يقصده الكاتب والذي اعتمده موضوعا لكتابه، فكلمة (العامة) تعني أنّ المؤلف موجّه للطلبة الجدد والمبتدئين الذين يريدون التعرّف على اللسانيات ومبادئها، فوظيفة العنوان هنا **وظيفة مرجعية**؛ لأنّها تحدّد وتعيّن الموضوع والغرض منه أمّا كلمة (بنوية) (توليدية) فهما يحيلان مباشرة إلى مدرسة لسانية بعينها، وتوجّه هذه المؤلفات عموما للطلبة

المتخصصين، كما تؤدي هذه العناوين وظيفة تواصلية بين القارئ والمؤلف، ويمكن أن يطلق عليها مصطلح الوظيفة الإنتباهية، لأنها تلفت انتباه القارئ "فكل تواصل يرمي تحقيق فعل معين، إلا أن ذلك لا يعني وجود وظيفة لغوية واحدة في المرسلات الواحدة، فمن الممكن أن تجتمع عدة وظائف في المقولة الواحدة"¹.

أما العناوين الفرعية المستخدمة من طرف (مصطفى غلفان)، فتؤدي وظيفة تعبيرية وتواصلية؛ فعلى سبيل المثال إذا لاحظنا العنوان الفرعي في اللسانيات العامة (تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها) فهي تشكل رابط معنويًا ونفسيًا بين الكاتب والقارئ، فاستعمال هذه الجزئيات يضيف شعورًا بالارتياح، كون القارئ سيُلمّ بجمل جزئيات اللسانيات من التاريخ إلى المفاهيم، وهذا أيضًا ينطبق على العنوان الثاني (من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأدنى مفاهيم و أمثلة) سيحاول فيه شرح جميع النماذج التوليدية، فدور العناوين الفرعية مهم جدًا في بناء أفق التلقي عند القارئ، فهي بمثابة العقد بين القارئ والكاتب.

أما العنوان الأخير اللغة واللسان والعلامة عند سوسير فالملاحظ أن (مصطفى غلفان) أراد التركيز على جزئيات هامة في البحث اللساني، كونها أثارت الجدل بين اللسانيين القدماء والمحدثين، وكثيرًا ما يصادف الطلبة صعوبة في التفريق بينها، وبخاصة أنها تقع في مفترق طرق بين اللسانيات والسيميولوجيا، كما أن لهذا العنوان جاذبية، لأنه يخالف طريقة صوغ العناوين التي تعتمد مصطلحات مستهلكة مثل: (مدخل، مقدمة، دروس، محاضرات، مبادئ...)، كما أنه يوحي بالجدة والحدثة.

نخلص من خلال هذا الطرح لأهمية العناوين، أن (مصطفى غلفان) قد وُفق إلى حد كبير في انتقائه لعناوين كتبه التمهيدية، وإن هذه العناوين لم تكن محض الصدفة

1- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان ياكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993، ص67.

بل تمّ انتقاؤها بعناية فائقة، لأنها تُحيل إلى موضوع الكتاب بدقّة متناهية، كما أنّها تعمل كبنية متناسقة هدفها الأبرز جذب القارئ ومحاولة إقناعه بالقراءة.

ب-المقدمة:

تُعَدّ مقدّمة الكتاب أحد أهمّ الجزئيات والعناصر التي يجب مراعاتها في الكتابات التمهيدية، كما أنّها تُعَدّ البوابة الأولى للولوج إلى عالم الكتاب، لأنّها الوسيلة المثلى لإقناع القارئ بمواصلة القراءة أو تركها، ومن هنا فالمقدّمة هي الصورة المتكاملة التي يهدف الكاتب إلى إنجازها؛ فمن خلالها يكون نجاح التلقّي من عدمه، كما أنّ لها وظائف عديدة¹، فكثيرا ما يتحمّس القارئ لقراءة مؤلّف ويصرّ على إنهاءه وفهمه، والسبب في ذلك هو التأثير القويّ للمقدّمة ويضاف إلى ذلك تأثير العنوان واللغة المستعملة، وكثيرا ما يهجر القراء مؤلّفات بسبب غموض التقدّم وضبابيته، وعدم احتكامه إلى منهجية واضحة الطرح، تمارس ضغطا مقنّنا على القارئ.

وتتميّز المقدّمات التمهيدية بطرق مختلفة في الطرح تختلف من كاتب إلى آخر "وهي بصفة عامّة في المؤلّفات اللسانية التمهيدية تعالج أفكارا متقاربة، مثل الإشارة إلى أهمية اللسانيات كعلم جديد على القارئ العربيّ، أو أهميتها بحقل العلوم الإنسانية، وقد تشير أيضا إلى أهمية الموضوع المطروح، أو التخصص المعالج في الكتاب، كما قد تحتوي توضيحات حول منهجية الكتاب وهدفه المسطر²، هذه الإشارات قد تحضر في مؤلّف وتغير في آخر ومن هذا المنطلق نتساءل: كيف كان طرح (مصطفى غلفان) في مقدماته؟ وهل لها تأثير قويّ على القراء؟

قدّم (غلفان) أوّل مؤلّف له (في اللسانيات العامّة تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها) إلى القارئ العربيّ، وقد حاول الإشارة في مقدّمة الكتاب إلى أهمية علم اللسانيات وحضوره القويّ في الثقافة الغربية، كما أصرّ على أنّ المكتبة العربية لا تنتج

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص106.

2- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص137.

للقارئ العربي ما يمكنه من مواكبة جزئيات هذا العلم والمنهج المتبع فيه في تشعباته ومدارسه العامة¹، وعلى الرغم من مقدّمته الانتقادية للواقع اللساني العربي؛ إلا أنه لم ينكر جهود كبار اللسانيين العرب الرواد "أمثال تمام حسّان وإبراهيم أنيس وكمال محمد بشر وأنيس فريحة وأحمد مختار عمر وريمون طحّان...الذي قدّموا للمكتبة اللغوية العربية العديد من الدراسات والمقدمات النظرية والتطبيقية في اللسانيات الحديثة"² ولم يخف الكاتب عدم قدرته على سدّ الفجوة الكبيرة بين اللسانيات العربية والغربية، كما أنّه حدّد فئة القراء المعنية بكتابة، وهم الطلبة المبتدئون في اللسانيات وطلبة علوم التربية، ووضح الهدف من كتابه وهو الوقوف على بعض الأسس الفكرية والمنهجية للسانيات العامة.

أمّا في مقدّمة كتاب اللسانيات التوليدية التي غير فيها (مصطفى غلفان) طريقته في التقديم، حيث حاول لفت انتباه القارئ، عن طريق تذكيره بالقطيعة التي أحدثها اللساني الأمريكي (تشومسكي) على اللسانيات البنوية، وكأنّ الكاتب بسرده التاريخي أراد وضع القارئ المتخصّص وليس المبتدئ في الصّورة وبطريقة موجزة، حتى يحفّزه إلى مطالعة ما تبقى من هذا المؤلّف الذي توسّع فيه، ثمّ أشار الكاتب إلى صعوبة تلقّي اللسانيات التوليدية بالنسبة للقارئ العربي حيث يرى أنّ هذا الزخم المنجز في مجال الكتابات التوليدية والتحويلية كثيراً ما يطرح على القارئ...مجموعة من العقبات في ظلّ غياب مؤلّفات عربية، تبسّط اللسانيات التوليدية منذ انبثاقها وفي جميع مراحل تطوّرها³، هذه الصعوبة التي أراد الكاتب أن يذللها للقارئ العربي من خلال الإشارة إلى الهدف العام للكتاب؛ وهو تقديم العناصر المساعدة على قراءة متأنية ودقيقة للنحو التوليديّ بدءاً بمنطلقاته الفكرية والعلمية، من أجل استيعاب حقيقيّ لمضامين

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص5.

2- المرجع نفسه، ص6.

3- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص1.

النظرية التوليدية، وقد أبدى الكاتب اهتماما واسعا بالقارئ للوصول به إلى الفهم المعمق لهذه النظرية، ويظهر ذلك في حرصه على تقديم نماذج من اللغة العربية بالدرجة الأولى حتى يوضح، إن كان في الأمر مدعاة إلى توضيح¹. من خلال هذه المقدمة، يظهر مشروع (مصطفى غلفان) في ترسيخ ثقافة لسانية عربية على أسس علمية، تمكّن القراء من الفهم والتحليل.

وتعرض مقدمة كتاب (اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات) الهيمنة التاريخية للاتجاه البنيوي وسلطته التي دامت حقبة من الزمن، وبين (مصطفى غلفان) من خلال مقدمته أهميتها في البيئة الغربية، لكنّه عاد مرّة أخرى إلى المقدمة النمطية التي يبيّن من خلالها ضعف التّقرّيق بين اللسانيات العامّة كعلم وبين الاتجاه البنيوي، حيث يرى أنّ كثيرا من الكتابات العربية تتناول اللسانيات تناولا عاما، كما لو أنّها تشير إلى توجّه نظريّ أو منهجيّ وحيد ومتكامل². ويؤكد (مصطفى غلفان) من خلال المقدمة حرصه على القارئ العربي من خلال الاطلاع على التطوّرات الأخيرة بشأن اللسانيين المؤسسين، وهو في ذلك يحاول جذب القارئ إلى تصفح هذا العمل والاستفادة منه، ولربط المفاهيم اللسانية مع بعضها البعض يحاول الكاتب تبني منهجية في التأليف تقوم على بناء المعارف على شكل سلسلة من المؤلفات تجمعها الفكرة نفسها، بحيث تكون مكتملة لبعضها، فهذا الكتاب في الواقع هو "تكملة لمؤلفنا السابق في اللسانيات العامّة"³.

وقد أكّد الكاتب على مسألة مهمّة تؤرق اللسانيين العرب، ونقصد بذلك إشكالية المصطلحات، وما يجري فيها من عدم وجود اتّفاق بين اللسانيين العرب، فهذه الإشكالية ألقت بظلالها على القارئ العربي، وتركته تائها في دوامة من المصطلحات التي يعوزها

1- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص2.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص8.

3- المرجع نفسه، ص9

التنسيق والدقة، حيث يثبت الكاتب علمه بالقضية "وبما يثيره المصطلح العلمي من مشاكل تقنية وعملية، والواقع أنه ليس هناك مجال معرفي في الثقافة العربية الحديثة يعرف هذه الفوضى الاصطلاحية التي تعكسها كتاباتنا في اللسانيات وما يتصل بها"¹. إنَّ المطلع على هذه المقدمة يتلمس نوعاً من القدرة على التلخيص والإلمام بالموضوع من قبل الكاتب، فهو يعرف تماماً الموضوع الحساس الذي يثير شهية القارئ.

وأخيراً اعتمد (مصطفى غلفان) في كتابه اللغة واللسان والعلامة عند سوسير على مقدمة موجزة جداً، وهذه استراتيجية للخروج من المقدمات النمطية التي مرّت علينا، فهو يكتفي فقط بالإشارة إلى أهمية هذه المصطلحات "انطلاقاً من المصادر الأصول التي تمّ الإعلان عنها ونشرها في العقود الأخيرة إلى جانب النص المنسوب إلى سوسير"².

لقد اهتمّ (مصطفى غلفان) في كتاباته اللسانية بالقارئ العربيّ، ولعب دور المرافق في تلبية حاجاته المعرفية في مجال اللسانيات، والشيء الذي يجب أن نشير إليه أنّ (مصطفى غلفان) لم يمارس التلاعب بالمصطلحات لاستمالة القارئ، فهو لم يحطّ من قيمة الكتابات التي سبقته ولم يدّع فضل السبق، كما أنّه أبدى تواضعاً علمياً في التقديم لكلّ كتاباته، وانتهج (غلفان) فكرة غرس اللسانيات في ذهن القارئ العربيّ، عن طريق الإشارة إلى أهميتها وسهولة تعلّمها، إنّ الابتعاد عن فنّ الإكراه واللّجوء إلى الإقناع منهج يوصل إلى إنشاء علاقة ثقة بين الكاتب والقارئ.

5- لغة الخطاب اللساني التمهيدي عند مصطفى غلفان:

بعد حديثنا عن أهمية العنوان والمقدمة بالنسبة للمؤلف والأعمال اللسانية، يأتي الدور في هذا العنصر للحديث عن لغة الخطاب اللساني التمهيديّ، وذلك لتحليلها وتحديد طبيعتها عند (مصطفى غلفان)، وكما هو معلوم أنّ اللغة في عمومها مستويات

1- مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 10.

2- مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، ص 8.

وأنواع تخضع لظروف الاستعمال وطبيعة المستعملين، حيث تصنّف اللّغة إلى كثير من الأصناف، بسيطة وأدبية وعلميّة، ولكلّ نوع من هذه الأنواع ما يجعله مختلفاً عن البقيّة، تتكوّن اللّغة الأدبية من مجموعة من المعايير الجمالية، من خيال وبديع لفظي وانزياح¹.

ولغة (مصطفى غلفان) نرى بأنّها تبتعد كثيراً عن هذا الوصف، لأنّ اللّغة الأدبية تحضر في المواضيع ذات العلاقة بالنقد والأدب والفنّ، أمّا التخصصات اللسانية واللغويّة لا تستعمل لغة الأدب وإنّما نجدّها تميل إلى اللّغة العلميّة وخطاب التخصص "فالبحت اللغوي بحث علميّ وليس انطباعياً أو إبداعياً فنياً، ولا مجال للخيال هنا، والباحث مطالب بالدقّة في تحديد المصطلحات المستخدمة في بحثه"².

ولعلّ الفرق واضح بين اللّغة الأدبية واللّغة العلميّة، هذه الأخيرة التي تعرف برصيدها المعرفي والمصطلحي وهي -اللغة العلمية- تتميز عمّا سواها من اتجاهات الكتابة، بخضوعها لمعايير دقيقة تقلّ من الخطأ، وتؤدّي إلى قول ما يجب قوله بأيسر الطرق وأقربها، وتسمّى هذه المعايير بالمنهج العلمي³. هذه المقاييس أو الخصائص تستند عليها جلّ الكتابات والخطابات العلمية وتتمثّل في: الوضوح، والموضوعية، والانتظام، والاقتصاد*، فهل اتّسمت كتابة مصطفى غلفان التمهيدية بهذه السمات والمقاييس؟

أ-الوضوح:

النّاظر إلى الكتابات التمهيدية لـ (مصطفى غلفان) يلحظ دون عناء ميله إلى البساطة ووضوح الأسلوب ونأيه عن الغموض والإبهام، "فأمّا الوضوح في الفهم

1- هبة خيارى، خصائص الخطاب اللساني، ص160.

2- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، دط، القاهرة، 2001، ص85.

3- حمزة بن قبلان المزيني، مراجعات لسانية، النادي الأدبي بالرياض، مطابع دار الهلال، الأوكست، ط1، 1990، ص41.

* لقد تمّ تعريف هذه المصطلحات والخصائص والتطرّق لها بتفصيل في الفصل الأول من الأطروحة.

والإدراك فقد حاولنا الاقتراب منه ما أمكن بالابتعاد عن التأويلات الخاطئة للأفكار والتصورات اللسانية مفهومات ومصطلحات والتخلّي ولو مؤقتاً عن الرّبط بين المفاهيم والمصطلحات اللغوية المستعملة في الدرس اللغويّ العربي القديم¹، وإضافة إلى ما سبق نجد (مصطفى غلفان) يبتعد عن الأساليب الأدبية والصيغ الدلالية الغامضة، وذلك ما وجدناه في العديد من التعريفات والشروحات المقدّمة في كتبه، فخطابه موجّه لتبسيط اللسانيات التي قام بتعريفها في كتابه بطريقة بسيطة بعيداً عن كلّ تعقيد، فمصطلح علم اللّغة-حسب رأيه- شامل وغير دقيق، ذلك أنّه مصطلح لا يحتوي على اللسانيات فقط، وإنما كلّ العلوم التي تدرس اللّغة من بعيد أو قريب، فيمكننا القول إنّ الذي يجعل اللسانيات مميّزة هو معاييرها العلميّة وموضوعيّتها².

كما أنّه يُحسن اختيار الصيغ اللسانية والدقّة في تخيّر اللفظ للدلالة على القصد بما يحيل للمعنى مباشرة، ممّا لا يدع إمكانيّة لتعدّد القراءات، كما لا يخلو أسلوبه من المقومات التي تثير اهتمام القارئ وتلفت انتباهه لتلقي المعلومة، كما أظهر قدرة بالغة على التلخيص والتفصيل معاً، وهذا ما رأناه في حديثه عن المدارس اللسانية، ومن بين معالم الوضوح عدم خروجه عن موضوع اللسانيات وابتعاد عن المواضيع الهامشية التي تجعل الخطاب يميل إلى الخلط المعرفي.

ب-الاقتصاد (الإيجاز):

من خصائص الخطاب العلميّ الابتعاد عن الحشو والإطناب وفضول الكلام، لأنّ خطاب العلميّ يتميّز بالدقّة والصرامة، فالملاحظ على كتابات (مصطفى غلفان) ميلها للاقتصاد في صياغة التراكيب واعتماده التلخيص وذلك في حديثه عن مفهوم البساطة في النظرية التوليدية "وتتجلّى البساطة فيما يلي:

- عدد العناصر.

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص288.

2- المرجع نفسه، ص192-193.

-البساطة الشاملة.

-عدد القوانين.

-بساطة القوانين.

-قوة القوانين (القواعد)

-تجنب القواعد الاعتبائية¹

كما أنه يستعمل الرموز ويصوغ النتائج على شكل معادلات ومثال ذلك قواعد إعادة

الكتابة " - م س ← معرف + س + مركب حرفي

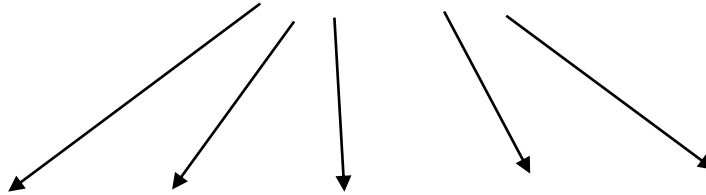
- م ح ← حرف + م س

- م س ← معرف + س².

إضافة إلى أنه يعتمد على المخططات في التلخيص والاختصار كما هو الحال في

الأسر اللغوية:

الطراز الجرمانى³



الألمانية الإنجليزية الألمانية السفلى السويدية الدانماركية

فكّما ابتعد الكاتب عن الإطناب والأفكار والحشو المبالغ فيه وجد القارئ أريحية في

الفهم.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص25.

2- المرجع نفسه، ص86.

3- مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير، ص20.

ج-الانتظام:

إنّ العبرة في الخطاب اللسانيّ العلميّ ليس بكثرة المعلومات وتعدّد الطروحات، بل تكمن العبرة في مدى انتظامها وتماسكها وإحكام بنائها، حيث يقوم اللسانيّ المتمرس بتنظيم خطابه عن طريق التخطيط للموضوع مسبقاً، وتنظيم أفكاره وترتيبها ليحقق التماسك والانسجام بين بنياته، فتصبح بناء محكماً من المعارف، ولا شك أنّ منهجية (مصطفى غلفان) في خطابه تظهر تخطيطاً عميقاً للكتابة اللسانية التمهيدية، فهو يقدّم اللسانيات إلى القارئ بطريقة منتظمة ومرتبطة وسلسة، فينطلق كمرحلة أولى من اللسانيات العامّة، حيث شرح فيها كلّ المبادئ والأسس والإرهاصات التاريخية لها، ثمّ انتقل إلى عرض اللسانيات البنيويّة وما تحتويه من مدارس وأفكار، وبعدها تطرّق إلى المدرسة التوليدية فقام ببسطها وشرحها بدقّة وتماسك، "فمن السمات العلمية في البحث اللغويّ: التماسك وذلك أن يكون البحث كلاً متكاملًا، تتكامل أجزاؤه، ويتصل بعضها ببعض، وأن يكون بعيداً عن التكرار. بل يكون بنية متماسكة، بحيث إذا حذفت من كلمة أو فقرة سقط البحث وانهار"¹.

إنّ تدرّج (مصطفى غلفان) في عرض مادته اللسانية، أضفى على كتاباته طرْحاً منطقيًا يحكمه التدرج العلميّ، فلم نجد الكاتب في عرضه للمدارس اللسانية فوضويًا بل رتّبها ترتيباً زمنياً، معرّجاً على كلّ مبادئها وأفكارها، ممّا لا يدع شكّاً عند القارئ بأهميّة جهوده اللسانية.

د-الدقّة العلميّة:

لقد كانت الدقّة العلميّة علامة بارزة في أعمال (مصطفى غلفان) التمهيدية، ولا أدلّ على ذلك من التزامه بالموضوع في كلّ مؤلّفاته، فلم نسجّل عليه خروجاً عن الموضوع الأساس وهو اللسانيات، ومن مقومات الدقّة العلميّة في أعماله أنّه لم يطلق

1- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، ص 86.

حكماً إلا واتبعه بدليل مثل: "وتأتي مساهمة الحلقة (براغ) في تطوير علم اللسان البنوي بتأكيد الصريح على المفاهيم الجوهرية في علم اللساني السوسيري متبنيّة إياها، مثل التمييز بين لسان الكلام، ومفهوم البنية، والتقابل والعلاقات السياقية، والجدولية، والربط بين التزامن والتعاقب..."¹، ومما يدلّ على تحلّيه بالدقّة العلميّة ميله إلى التّأصيل العلميّ بمفهومه الإيستمولوجي، ويبدو ذلك واضحاً في حديثه عن الأصول والأسس التاريخية والفلسفية للنّظرية التوليدية التحويلية، فيرى بأنّ تشومسكي استوحى "من فيلسوف ألمانيا الكبير ويليام فون همبولدت (1767-1835) فكرته المتعلقة بالإبداع أو الخلق اللغوي *La Creativite linguistique* وكيف أن المتكلم بواسطة اللّغة، يستطيع أن يولّد ما لا حصر له من الجمل انطلاقاً من قواعد محدودة العدد؛ وذلك لأنّ اللّغة في حدّ ذاتها ليست بناء تاماً *Ergon* ولكنّها نشاط"².

إنّ هذه العمليّة تتطلّب جهداً علمياً ورؤية واضحة، لكنّها تجعل القارئ ملماً بما يُسمّى (حفريات التكوين)، ومن مؤشّرات الدقّة العلميّة في كتابات (مصطفى غلفان)، استناده على مصادر علمية دقيقة وموثوقة، فهو يأخذ معلوماته من مؤلّفات وكتب مشهورة وتعتبر من المصادر الهامّة في اللسانيات، وذلك ما نجده مثبتاً في قائمة المصادر والمراجع بالنسبة لكلّ كتاب، ويمكن أن نضرب مثلاً على ذلك: كتاب البنى النحوية وكتاب اللّغة والمعرفة لتشومسكي، وكتاب نظرية تشومسكي اللّغوية لجون ليونز، وما يدلّ على دقته العلميّة خلوّ كتاباته من التعميمات الواسعة.

هـ-الموضوعية:

تتجلّى موضوعية الخطاب العلميّ في بُعد الكاتب عن الحضور الدّاتي وإقحام آرائه الشخصية، لأنّ الخطاب العلميّ لا يحتكم إلى الآراء المسبقة والميول والأهواء، ويمكن أن نقول إنّ (مصطفى غلفان) كان موضوعياً بشكل كبير في مؤلّفاته، والدليل

1 - مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص 215.

2 - مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 10.

على ذلك ابتعاده عن المقارنة بين اللسانيات العربية واللسانيات الغربية، وهذا ما صرح به في مقدّمته "حسبنا هنا أن نقدّم للقارئ العربي صورة عن النحو التوليدي...دون إخلال بالمضامين العلمية للمفاهيم التوليدية الأكثر تداولاً وبعيدا عن كل تأويل تاريخي أو ربط لها بالتراث اللغوي العربي دفعا لكل التباس معرفي"¹، كما أنّ الكاتب في حديث عن تطوّر البحوث اللغوية العربية أفرد مبحثا كاملا أسماء: **الفكر اللغوي العربي: أي موقع؟** تحدّث في عن مكانة الجهود العربية القديمة من خلال ذكره للمصادر الغربية التي أرخت وقيّمت الجهود العربية²، وبعد تتبعنا لتعليقات (مصطفى غلفان) لم نجد لها تمجّد التراث اللغوي العربي، أو تلقي اللوم على المؤرخين الكبار الغرب، بل تعامل مع الأمر بموضوعية تامّة، محاولا شرح ما حصل بدقّة، عكس ما نلاحظه في الكتابات اللسانية الأخرى التي تميل في مجملها إلى الغلو والتعصّب.

إنّ غياب (أنا) الكاتب في مؤلّفاته يجعل عمله مؤثرا على القراء، ويعزّز من مكانته بين المؤلفات التي تحمل الفكرة نفسها.

6- الهيكل والتنظيم:

أ- تفصيل المعارف:

يعتمد (مصطفى غلفان) على استراتيجية تحليل العناوين الأصلية إلى عناوين فرعية، وتتمظهر هذه الطريقة في كل أعماله التمهيديّة، ولها غاية تعليمية بحثة لأنّها تساعد القارئ على استيعاب المعلومة وفهم الأطاريح الكبرى، وهذا يدلّ أيضا على قدرة الكاتب على الإلمام بالموضوع جملة وتفصيلا وسنضرب مثلا على ذلك من كتاب في اللسانيات العامّة في الجدول التالي:

1- مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص2.

2- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص100 إلى 105.

المؤلف	العنوان الرئيس	العناوين الفرعية
في اللسانيات العامة	-تاريخ اللسانيات: أيّ تاريخ؟ لأيّ لسانيات؟	-في تاريخ اللسانيات -العلوم وتاريخها: أية علاقة؟ -اللسانيات الحديثة: أيّ تاريخ لأيّ لسانيات؟ -الفكر اللغوي العربي: أيّ موقع؟

يلاحظ من خلال الجدول أنّ الكاتب يعتمد التفريع المنطقيّ، الذي يمكن أن يصل إلى تفريعات كثيرة تشبع غاية القارئ، كما يعتمد طريقة السؤال في العنوان، بحيث يجعل القارئ متشوقاً للمعلومة ومنتظراً لتلقيها والإجابة عنها، كأنه يشارك الكاتب عمله.

ب-الإكثار من المفاهيم والتعريفات:

يستعمل الكاتب في مؤلفاته الكثير من التعاريف والمفاهيم، لأنّ المنهج الذي يتبعه تعليمي، وقد أشرنا إلى ذلك في مبحث سابق، والغاية التعليمية تستدعي الإكثار من التعريفات والمفاهيم، والسمة المشتركة بينها هي البساطة والبعد عن التعقيد، كتعريفه للغة والإشارة والرّمز "الإشارة le signal: حدث سيميائي مرتبط بلحظة زمنية معينة يعبر إرادياً عن رغبة في التواصل.... الرمز le symbole: هو إشارة تعبر عن علاقة طبيعية (عرفية مع ذلك) بين الصورة الرمزية وما تدلّ عليه في العالم الخارجي (الميزان رمز العدالة/ الحمام رمز السلام)...¹"، كما أنّ (مصطفى غلفان) ينتهج طريقة ذكية في استدراج القارئ إلى معرفة معلومة ما وهي عن طريق طرح جملة من الأسئلة، يمكن أن يطلق عليها في مجال استراتيجيات التعليم استراتيجية العصف الذهني، وكأنّ القارئ يحدث له ما يسمّى بزوبعة الأفكار المتضاربة، وبعد الأسئلة الكثيرة والمطروحة بإتقان، ثم تأتي التعاريف والمفاهيم لفكّ شفرتها وهذا مثال عليها:

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص 67.

"هل اللغة صورة أم شكل للفكر؟ هل اللغة مرآة الشعب الذي يتكلمها؟ من يحدّد العالم الخارجي اللغة أم الفكر؟ وكيف ذلك؟"¹

وفي حديثه عن المخطوطات الجديدة لسوسير يتساءل:

"- ما قيمتها التاريخية مقارنة بنشرة 1916؟

- ما وجه الجدة في النصوص الجديدة والنشرات المتتالية لفكر سوسير؟

- هل تغيّر شيء مما نعرفه عن تصوّرات سوسير وآرائه؟

- ما تأثير النّشرات والنّصوص الجديدة في المنطلقات التّصوّريّة والمنهجية التي تأسست عليها اللّسانيات الحديثة؟²

ج- الاهتمام بالمصطلح اللساني الدقيق:

لقد أدرج (مصطفى غلفان) في مؤلّفاته التمهيدية أهم المصطلحات اللسانية التي تجعل القارئ مطلعاً عليها في لغتها الأصلية لأنّ اللسانيات كغيرها من العلوم "له رصيده المفهومي والمصطلحي الخاص الذي يستلزم لغة خاصة، تربط بين أطروحاته"³، وتستند الكتابة اللسانية عند (مصطفى غلفان) إلى معجم خاص، حيث تقوم لغة الخطاب عنده على الوضوح والبساطة والدقّة المتناهية، كما أنّه يستعمل لغة مباشرة فهي علمية لسانية صرفة استخدم فيها أسلوب التقرير، ومما يدلّ على اهتمامه بالمصطلح، أفرد له فهرساً خاصاً في نهاية بعض مؤلّفاته على سبيل المثال كتاب اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، وقائمة لكلّ المصطلحات المستخدمة وما يقابلها باللغة الفرنسية، مرتباً إياها ترتيباً أبجدياً، ومن أكثر المصطلحات وروداً في أعماله اللسانية نذكر على سبيل المثال لا الحصر: (الأصوات، الأصواتية، الأنحاء،

1- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص49.

2 - مصطفى غلفان، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، ص139.

3- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص182.

البنية، التواصل، التعبير، الجملة، التقطيع، الدلالة، السمات، الصوامت، العلاقات، العلامة...) ومن بين المصطلحات المترجمة المستعملة نذكر:

المصطلح	الترجمة	المصطلح	الترجمة
قيمة	Valeur	دلالة	Signification
مطلقة	Absolue	تقطيع	Sigmentation
أنماط لغوية	Types de langage	كلام	Parole
وحدة	Unite	علامة	Signe
كليات	Universaux	مقامي	Situationnel
صائت	Voyelle	جهر	Sonore
بنوية	Structuralisme	بنية	Structure

يظهر من خلال الجدول أنّ (مصطفى غلفان) يركّز على المصطلحات اللسانية الدقيقة، ولا يدخل فيما يُسمّى بفوضى المصطلح، كما أنّه ثابت في استعمال المصطلحات؛ فلا تجده يغيّر المصطلح في ثنايا كتاباته.

ثانياً: الخطاب اللساني التقويمي (النقدي) عند مصطفى غلفان:

حظيت الدراسات اللغوية الغربية باستقبال كبير من الباحثين العرب وخاصة الذين جاءوا من المدارس الغربية، فقد انبهروا بهذا المجال العلمي وحاولوا الاستفادة منه في الثقافة العربية وبالرغم من هذا الاهتمام الواسع باللسانيات، فقد كانت الثقافة العربية بحاجة إلى وقت غير قصير لإدراك أهمية هذه المعرفة الجديدة وجدواها... إنّ الاهتمام باللسانيات ومناهجها ونظرياتها المختلفة لم يبدأ في الثقافة العربية فعلياً إلا في بداية السبعينات من القرن العشرين؛ فقبل هذا التاريخ سجّل أكثر من باحث لساني

عربيّ البداية المتعترّة للسانيات داخل الأوساط الجامعيّة وخارجها¹. وهذا يشير إلى حقيقة مؤكّدة أنّ العديد من الخبراء وغيرهم قاوموا تجربة اللسانيات، واستنكروا دعوات التجديد والحدّات، وفضّلوا الحفاظ على المناهج اللغوية التراثية، ودعوا إلى ضرورة الاحتفاظ والتمسك بها كركيزة أساسيّة للأمة العربيّة.

لقد واجه اللسانيون العرب تحديات كبيرة في البداية؛ إذ كان اللسانيون العرب يشعرون بقلق من مواجهة ردود أفعال سلبية لنشاطهم، سواء من المهتمين باللّغة أو من الجهات الأكاديمية والمؤسّسات العلميّة التي تعنى بالنّشاط اللّغويّ، وتجدر الإشارة إلى أنّهم يجدون صعوبة في تقديم المناهج اللّسانيّة الحديثة بشكل يقنع الآخرين بجواها، وليست الصعوبة في عرض هذه المناهج بقدر ما تكمن في إقناع الآخرين بأهميّتها².

كما قُوبلت اللسانيات بالرّفص والتشكيك في منهجها وأصولها، فقد لاحظ (إبراهيم مصطفى) أنّ "بعض المتخصّصين في علم العربيّة، والمهتمين بأمر هذه اللّغة في بعض المجامع اللّغوية، ما زالوا ينظرون إلى هذا العلم نظرة الشكّ والارتياب؛ لأنّه علم أجنبيّ لم ينبت في أرضنا، أو هو لون من التّغريب، إذا ما طبق على لغتنا يحاول هدمها والقضاء عليها³"، وما يؤكّد هذا الادعاء قول (أحمد العلوي) عندما سئل عن رأيه في اللسانيات حيث يرى أنّه لا يمكن لأحد أن ينكر أنّ اللّغويات المعاصرة تحمل في طيّاتها سمات الممارسة اللّغويّة الأوروبيّة ومصطلحاتها، ولذا يكون من السهل نشرها في البيئّة الأوروبيّة بدلا من العربيّة، بالإضافة إلى ذلك فاللّغويون العرب ليسوا

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربيّة الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص144.

2- فاطمة البكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص16.

3- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربيّة المعاصرة، ص50.

مشاركين فعليين في الحوار اللسانيّ الأوروبيّ، بل هم مستهلكون، وبالتالي فإنّه من الصعب تلقّي اللسانيّات بنجاعة¹.

وقد أشار (محمود السّعران) أيضاً إلى هذا الواقع بقوله: "إنّ هذه الدراسة في البلاد العربيّة لا تزال غريبة على جمهور المتخصّصين في المسائل اللّغويّة المنقطعين لها المنصرفين إليها... فأغلبهم يرفض النّظر في هذا العلم الجديد، أو لا يحاول تفهمه²"، والعامل الرئيس في نظرة العديد من الباحثين إلى اللسانيّات بتوجّس وقلة ثقة؛ هو الاعتقاد السائد بأنّها تستمد شرعيّتها من دراسة اللّهجات، وأنّها تعتمد على نبي معيار المفاضلة بين اللّغات واللّهجات، وهذا جعل المهتمّين بقضايا اللّغة العربيّة يتصوّرون أنّ هذا العلم مرتبط بنوايا المستشرقين المدمرة للّغة العربيّة، وأنّ علم اللسان لا يلائم إلاّ اللّغة التي أنتجته.

يمكن استخلاص عدّة أسباب ومتغيّرات تغذّي صعوبة استيعاب وقبول هذه المعرفة، والتي فرضتها الحقيقة الاجتماعيّة والسياسيّة للشعوب العربيّة، وهذا ما أدّى إلى تمسك العرب بأصالتهم ورفض أيّ تدخل غريب يهدّد وطنيّتهم ولغتهم، ومع ذلك تغيّر هذا المعتقد بعد فترة السبعينات، على الرغم من عدم قدرة معظم المثقّفين العرب على استيعاب علوم اللّغة الغربيّة، غير أنّها انتشرت بقوة بعد انفتاح الشعوب العربيّة على الحضارات الأخرى، وزادت منتجات هذا التيار العلميّ المعرفيّ المتعلّق بهذه المعرفة، وأدّى هذا النّموا العلميّ إلى ظهور تحديّات جديدة وعقبات تواجه الخطاب اللسانيّ العربيّ، منها التفضيل للكمّ على الجودة، والإعجاب بالجديد وتجاهل الجهود التراثيّة الأخرى، ما سبّب ظهور نمط جديد في الكتابات اللسانية العربيّة، يهدف إلى تنقيّة وتقويم الكتابات اللّغويّة العربيّة وإعادتها إلى منهجيّتها وأهدافها الصحيحة.

1 - حافظ إسماعيلي علوي و وليد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيّات، ص 21.

2 - محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، ص 21-22.

ومن هذا المنطلق نتساءل: إذا كان هناك تقويم للخطاب اللساني، فما مفهومه؟ وما أبرز اتجاهاته؟ وكيف طبق مصطفى غلفان نظريته النقدية؟ وما النتائج المتوصل إليها؟

1- تعريف الخطاب اللساني التقويمي (النقدي)*:

تعدّ العملية النقدية أداة ملازمة للنشاط العلمي في كلّ العلوم، بل هي وسيلة للتطوير والتقدم، واللسانيات كغيرها من العلوم مرّت على تجارب نقدية عديدة على مرّ التاريخ مكنتها من التطور والتجاوز، ومن هذا المنطلق يعتبر النقد اللساني أداة بحثية ترافق سيرورة البحث اللغوي، حيث تتبع وتراقب تطبيق النظريات اللغوية ونجاحها أو فشلها¹، ويعدّ (مصطفى غلفان) من الكتاب الذين برزوا في هذا النوع من الكتابة، حيث يرى في مقدّمة إحدى الكتب بأنّ المكتبة العربية تخلوا من الدراسات التي تنقد الإنتاج اللساني العربي حيث يقول: "تكاد تخلوا المكتبة العربية -فيما نعلم- من الدراسة المفصلة والشاملة التي تعرض بالتحليل النقدي لتجربة اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية الحديثة"²، يقصد الناقد أنّ الدراسات المتواجدة تفتقر للبعد النظري والمنهجي والتحليل الدقيق، بالإضافة إلى عدم اعتمادها على أسس فعّالة في النقد المقدم حيث لا يتردّد كثير من الدارسين العرب المحدثين في الكلام عن اللسانيات العربية وما يتعلّق بها من عقبات نظرية ومنهجية، غير أنّ كلاماً على هذه الشاكلة يعتره -في نظرنا- التباس واضح وتعميم بسيط³. ومن هذا المنطلق فما المنهج الصحيح الذي يصلح لقراءة الحصيلة اللسانية العربية؟

* لقد تمّ التطرّق إلى هذا العنصر بالتفصيل في الباب الأول من الأطروحة، وبصفة أدقّ في الفصل الرابع.

1- مبروك بركات، نحو نقد لساني عربي مؤسس، مجلة الأثر، الجزائر، العدد 25، جوان 2016، ص 81،

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 5.

3- المرجع نفسه، ص 9.

يرى (مصطفى غلفان) أنّ تقويم وتقييم ما يكتب في اللسانيات العربية؛ ينبغي أن يستند إلى أسس نقدية واضحة المعالم، تنطلق من طبيعة الدرس اللساني نفسه لا من خارجه¹، في إشارة واضحة إلى أنّ الدراسات النقدية الأخرى قد ابتعدت عن الهدف المقصود من الممارسة النقدية، وركّزت اهتمامها على المواضيع ذات أهمية أقلّ من الهدف المرجو الذي يتمثّل في التّركيز على الواقع اللغويّ العربيّ، محاولة تحليله والكشف عن أسراره وتفاصيله.

وفي مقدّمة كتابه، أشار (مصطفى غلفان) إلى الكثير من الجهود النقدية التي حاولت تقديم تصوّر واقعيّ لما يُعرف بأزمة اللسانيات العربية، وفي رأي غلفان، هذه الجهود حاولت أكثر من غيرها أن تفسّر الواقع اللغويّ العربيّ، ويعتبر الاعتراف بوجود أزمة في اللسانيات العربية هو الدليل الأبرز لهذه الجهود، ومن بين هذه الجهود التي ذكرها الكاتب:

- علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي للدكتور محمود السّعران.

- أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، لمارن الوعر.

- ملاحظات حول الكتابات اللسانية، للفاسي الفهري.

- اللسانيات وأسسها المعرفية، لعبد السلام المسديّ.

- أزمة اللسانيات العربية، لمحمود عشاري.2

وعلى الرغم من إشارة الناقد إلى بعض الجهود، لكنّه تجاهل -في نظرنا- الكثير من الجهود النقدية التي كان لها دور هامّ وتأثير واسع في المشهد النقديّ اللسانيّ، مثل ما قدّمه (رياض قاسم) ورأى الناقد أنّ الدراسات السابقة -رغم ريادتها- لم تصل إلى الهدف المطلوب، وذلك بسبب طبيعتها، ومن بين الانتقادات التي وجّهها لهذه الدراسات:

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص13.

2- المرجع نفسه، ص18.

أ-افتقارها إلى البعد النظري والمنهجي للمسألة بسبب غياب التصور الشامل والتحليل المتكامل.

ب-عدم دمجها إشكال اللسانيات في إطار وضعية العلوم الإنسانية في الوطن العربي عامة، وبنية الفكر

العربي الحديث بصفة خاصة¹. إن هذه الأبحاث حسب رأي الكاتب أخلطت بين أمرين هامّين:

أ-وضعية اللسانيات كما تمارس في الكتابات التي ينجزها اللسانيون.

ب-وضعية اللسانيات عند جمهور المثقفين والمنتورين العرب، أي الكيفية التي تتمثل بها الثقافة العربية العامّة الأفكار والتصورات اللسانية²،

بالإضافة إلى التباين المنهجي الذي تمّ ذكره، يشير أيضا في جزء آخر من الكتاب إلى أنّ هذه الجهود غير شاملة، فقد يقتصر تحليلها النقدي "على تقديم كتاب لغوي عام سواء أكان مكتوبا أصلا باللّغة العربية أو مترجما إليها... وتُختزل المتابعة النقدية في عملية بسيطة تستهدف تقديم فكرة عامة وموجزة تختصر وتعيد ما قاله المؤلف أصلا ليس إلّا"³.

ولا يتوقّف الناقد عند هذا الحدّ فحسب؛ بل واصل انتقاده لما قدّمه غيره من نقد للسانيات العربية حتى وصفهم بالمسيئين للسانيات نفسها حيث يقول: "أمّا إذا تتبعنا بعض الكتابات التي تعتبر نفسها نقدا فإنّ ما تتضمنه لا يعدو أن يكون جملة من الأحكام القيمة التي لا علاقة لها بالتحليل المنهج أو الموضوعي، ما هو سائد- باستثناء حالات خاصة- هو الخطاب الانفعاليّ سلبا وإيجابا، وهو إمّا عبارة عن سموم شفاهية وإما مجاملة إخوانية لا تضيف للبحث شيئا ولا تثريه بالملاحظات البناءة، بل

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 19.

2- المرجع نفسه، ص 20.

3- المرجع نفسه، ص 55-56.

على العكس من ذلك؛ إنه خطاب يسيء للبحث اللساني العربي وللسانيين العرب وللسانيات بصفة عامة¹، وفي نهاية هذا المبحث، يظهر بوضوح أنّ الكاتب قام بمحاولة استعراض جهود مختلف النقاد الآخرين وتقييمها من منظور موضوعي وصريح، مع ذلك يجب أن نلفت الانتباه إلى أنّ الناقد قد تجاهل العديد من الجهود النقدية كما سبق أن أشرنا، واستخدم انتقادات حادة للعديد من اللسانيين النقاد.

2- تحليل الخطاب اللساني التقييمي (النقدي) عند مصطفى غلفان:

ترقى جهود (مصطفى غلفان) في المجال النقدي إلى مستوى عال، حيث قدّم العديد من المؤلفات التي تعدّ رائدة في هذا المجال، من بينها يمكن أن نذكر كتاب: (اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حريات النشأة والتكوين) وكتاب (اللسانيات في الثقافة العربية: أسئلة المنهج) بالإضافة إلى أهم مؤلف له وهو (اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية) حيث تهدف هذه الجهود إلى سدّ الفجوات الموجودة في الدراسات التي تقوم التجربة اللسانية في الثقافة العربية الحديثة، من خلال تتبّع الجوانب التاريخية والأسس النظرية، وفي هذا المبحث سنعمل على دراسة وتحليل خصائص الخطاب اللساني التقييمي في أعمال ومؤلفات (مصطفى غلفان) النقدية، محاولين الكشف عن خصائصها وموضوعها ومنهجها.

أ- من حيث الموضوع:

يندرج المسار النقدي الذي رسمه (مصطفى غلفان) من خلال مؤلفاته الثلاثة، في إطار ما يُسمّى بـ (الخطاب التقييمي أو الخطاب النقدي) ومن هنا فقد ركّز الكاتب على موضوع محدد مشترك بين هذه الكتب الثلاثة وهو محاولة تقييم ونقد الجهود اللسانية العربية، وإذا أردنا الحديث عن موضوعه العام فإنّ هذه الجهود تدخل في

¹ -مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص55.

اللسانيات العربية، ففي مقدّمة الكتاب الأول يرى (مصطفى غلفان) أنّ الدّراسة التي قدّم ليست إلا مشاركة متواضعة لكشف بعض القضايا التراثية والنّظرية المرتبطة بالأفكار اللسانية في العالم العربيّ، سواء من جهة الدوافع المؤثّرة سلبا وإيجابيا أم من حيث قدرتها وحدودها¹، كما لا يختلف موضوع الكتاب الثاني عن الأول حيث يندرجان ضمن المسألة النّقدية، غير أنّ الثاني يطغى عليه الجانب التاريخي؛ حيث إنّ الدراستين "تجمعهما رؤية منهجية واحدة هي التتبع النّقد التحليلي للخطاب اللغويّ العربيّ الحديث للوقوف على مدى تأثير اللسانيات العامّة في الدرس اللسانيّ العربيّ الحديث، وتحديدًا منذ بداية ما يعرف بالنّهضة العربية"²، لقد التزم (مصطفى غلفان) بموضوع دراسته في مؤلّفاته الثلاثة، وقد تصوّر نقديا معاصرا للسانيات العربية، معتمدا مساطر وأساسا نقدية سنحاول إبانها في العنصر الموالي.

ب- من حيث المنهج:

يعدّ المنهج مجموعة من القواعد التي تُفرض على الفكر دون أن تؤثر سلبا على جوهره، إنّه عبارة عن خطوات تسمح للنّظرية بمواجهة الواقع، وهو نهج في التفكير يشمل النّظام والترتيب، فما المنهجية التي اتّبعها في تحليله للكتابة اللسانية العربية؟ وما الإطار العام التي تشتغل فيه؟

اعتمد (مصطفى غلفان) في مؤلّفه الموسوم بـ: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة: حفريات النشأة والتكوين، المنهج التاريخي الذي ينتهج تقنية المسح التاريخي وتتبع كلّ اللحظات التاريخية الهامة في مسار اللسانيات العربية، حيث يعدّ الكتاب "تنقيبًا وحفرًا في واقع اللسانيات في علاقتها بالثقافة اللغوية العربية الحديثة... ووحدها هذه العلاقة بكلّ أبعادها التاريخية والفكرية تمكّننا من الوقوف على مظاهر الخلل

1 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص5.

2 - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص3.

والقصور والصعوبات التي تعاني منها اللسانيات اليوم في العالم العربي¹ وبالفعل قام النقاد بمتابعة وتقصي الجهود اللسانية العربية من عصر النهضة إلى اللحظة الفعلية لدخول اللسانيات إلى الثقافة اللغوية العربية، والذي يمكن أن نشير إليه أن (مصطفى غلفان) لم يكتف بسرد الوقائع التاريخية فحسب؛ بل قام بتحليلها وتفسيرها ومساءلتها. أمّا في المؤلف الثاني الذي عنوانه: (اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية) قام الناقد في الفصل الثالث منه الذي يحمل عنوان: "الإطار المنهجي لتحليل الكتابة اللسانية العربية" بالإشارة إلى مجموعة من الأسس التي اعتمدها في تحليله حيث يرى أن التقويم النقدي الناجح هو الذي يمكنه أن ينشئ بينه وبين العمل المقصود نقداً حوارياً علمياً ناجحاً، تكون له محصلات نظرية ومنهجية وتطبيقية في ميدان معرفي معين²، وفي هذا السياق يعلن الناقد أن تحليله مبني على قواعد معيارية وقواعد مؤسّسة، ومن الواضح أن هذا التصنيف مستمد من فيلسوف اللغة (سورل) وهو ما ركّز عليه (مصطفى غلفان) في تحليله.

ج- الاعتقاد بتنوع المدارس والتيارات اللسانية:

يعدّ هذا المبدأ أمراً مهماً في كلّ تقويم نقدي، فالمتعارف عليه أن اللسانيات العربية الحديثة عرفت بروزاً كبيراً من المدارس والمذاهب اللسانية التي عدّها البعض أمراً سلبياً، ولكن (مصطفى غلفان) رأى بأنها أمراً إيجابياً حيث أن تنوع المدارس اللسانية أمر إيجابي في حدّ ذاته، ولم يعد اليوم مسألة تحاور حتى ضمن الثقافات التي طوّرت هذه المدارس³.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين ، ص4.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص56.

3- المرجع نفسه، ص61.

د- نقد المصادر:

يُعدُّ نقد المصادر أمراً ذا أهمية كبيرة في النقد بشكل عام، ويجب على كلِّ ناقد إيلاءه أهمية كبيرة، حيث يؤدي العلم بالمصادر إلى فهم التوجّه الفكري لكلِّ ناقد أو مفكّر، كما أنّ عدم الاهتمام بها يؤدي إلى وجود عيب في البحث والدراسة، لذلك نجد الناقد يشدّد على أهميتها إذ يعتقد أنّ "عدم إلمام الناقد اللساني بمصادر عمل معيّن وأصوله يجعل المتابعة النقدية غير موضوعية لأنها تحمّل الكتابة المستهدفة نقداً لم تهدف إليه أو أنها تطلب منها أشياء تخرج عن حدود مصادرها الفكرية العامة"¹.

هـ- التقويم الداخلي:

لقد أوضح الناقد أنّ الوصول إلى تحليل نقديّ أكثر موضوعية وفائدة يتطلب "معرفة أغراض هذه النظريات، ماذا تريد؟ ما هي أهدافها؟ وما هي الوسيلة الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف؟ إنّ المعرفة الدقيقة بالأسس النظرية تمكّن من الوقوف على مكامن الضعف والقوة، أين نجحت؟ أين أخفقت؟ وسبب كل ذلك؟ والدليل على أهمية التّركيز على الأسس النظرية للمادة المراد نقدها؛ نورد قول المفكّر المغربي (عابد الجابري) الذي يعتقد أنّ التقويم النقديّ للعلوم بحاجة لكي يكون مضبوطاً وعماماً في الرجوع إلى أسس العلم ذاته، لأنّ هذا الوضع يحتاج إلى إجراء موازنات بين المبادئ والمفاهيم التراثية ونظيرتها الحديثة"².

وتتبعُ كلُّ كتابة نقدية معايير محدّدة، واختيار جودة المعيار بعناية يؤدي إلى نتائج موضوعية ودقيقة؛ لذا حاول الناقد تقديم سلسلة من المعايير المعتمدة في بحثه، حيث يقول: "نحتاج إلى تقديم جملة من المعايير الجديدة التي يمكن اعتمادها لتحديد نوعية الكتابة اللسانية العربية الحديثة وهي: الموضوع والمنهج والغاية"³.

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 66.

² - عابد الجابري، مدخل إلى فلسفة العلوم، ط 6. الرباط، دت، مطبعة دار النشر المغربية، ص 57.

³ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 90.

في الواقع هذه المعايير لم تكن جديدة في المنهجية العلمية، ولكن الشيء الذي يميّزه تواجدها مجتمعة في مؤلف واحد، ومن هذا التوجه يطرح التساؤل التالي: ما قيمة المعايير التي تم اعتمادها من قبل الناقد؟ يعتقد بعض الباحثين أن هذه المعايير تدخل في صميم التحليل الإبستمولوجي؛ أي أنها مناسبة وملائمة لتحليل وتقييم الكتابة اللسانية العربية، كما أن يمكننا "أن نميّز في كلّ بحث علمي أو فلسفي بين المنهج والموضوع والهدف"¹.

يرى (مصطفى غلفان) أن لكلّ كتابة لسانية مهما كانت توجّتها، موضوع ومنهج وغاية، ويُقصد بالموضوع "المادة التي يُبحث فيها أو يُشتغل بها... أما المنهج فهو وجهة النظر المتبّعة في بحث موضوع معين... أما الغاية فنقصد بها الهدف الذي يرومه الباحث اللغوي من وراء خطابه اللساني"²، لقد كانت هذه جملة المعايير المنهجية التي اعتمدها (مصطفى غلفان) لنقد وتصنيف الكتابة اللسانية العربية.

أما في المؤلف الثالث الذي عنوانه: اللسانيات العربية - أسئلة المنهج - فنجد أنّ الكاتب لم يصرّح بمنهجه، ولذا لسبب معيّن وهو أنّ هذا المؤلف نسخة ملخّصة للمؤلفين السابقين، ومن هنا فقد اعتمد فيه الناقد عدّة مناهج منها المنهج التاريخي في تأويله للفرص الضائعة، والمنهج المقارن، ولكنّ المنهج الغالب هو الوصفي التحليلي، المناسب لطرح الأفكار ومناقشتها.

و- من حيث الغاية (الهدف):

في مقدمة مؤلفه، ذكر الناقد الأهداف والغايات التي يريد تحقيقها والتوصّل إليها في نهاية دراسته ومن بينها ما جاء في قوله: "إنّ هدفنا الأساس تقصي طبيعة الخطابات اللسانية العربية الأكثر تميّزا وخصوصية، تقصيا يسمح لنا بتحليل المنطلقات التي صدر عنها اللسانيون العرب في كتاباتهم والأطر النظرية التي تبوّها في مقارباتهم

¹ - ماجد فخري، إشكالية المنهج منهج أم مناهج عدة، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع65، 2001، ص1.

² - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص90-91.

اللسانية¹ وليس الهدف من نقد الخطاب اللساني العربي إطلاق أحكام غير مدروسة في حقّ هذا الخطاب أو ذلك، إنّ ما يصبو إليه هو صياغة أسس منهجية مضبوطة لتقويم الخطاب اللساني العربي تقويماً موضوعياً يوصل إلى إظهار قدراته النظرية ضمن ميدان اللسانيات العالميّة، وبذلك يصبح الخطاب اللساني العربي ذا مصداقيّة وبعيدا عن الصراعات المذهبيّة والفكريّة.

ومن أهدافه المشار إليها في كتابه، محاولة التقليل من الاختلافات بين الخطاب اللسانيّ العربي والخطاب اللسانيّ العام حيث يقول: "ونحاول بدورنا من خلال هذا الكتاب ترسيخ هذا الموقف بالتأكيد على ضرورة الاستثمار المرهليّ والمنهج لمبادئ البحث اللسانيّ ومفاهيمه الأساس في كلّ الاتجاهات اللسانية، بشكل يضمن أقصى ما يمكن من المردوديّة العلميّة والتطبيقيّة للدّرس اللغويّ العربي"²، ويرى النّاقّد أنّ الهدف ليس الحكم على الأعمال اللسانية العربيّة ومحاكمتها، وتحميلها ما لا تطيق، ولا شك أنّ هذا ما وقعت فيه بعض الدّراسات التي حاولت قراءة التراث بمنظور حدائيّ، وكان هدفها التّيل منه فحسب، إلّا أنّ (مصطفى غلفان) لا يهدف إلى "محاكمة الأعمال اللسانية لهذه المرحلة(مرحلة العصر النهضة والاستشراق وبداية العصر الحديث) أو التقليل منها، نحن نعلم أنّ الحقيقة في جميع مجالات المعرفة الإنسانية نسبية ومؤقتة، لقد كان همّنا بالأساس التنبه إلى بعض الفرص التاريخيّة الهامّة التي أضاعتها الثقافة العربيّة الحديثة في علاقتها مع الدّرس اللسانيّ الناشئ"³، ومن خلال هذا الرصد العام للأهداف المتوخّاة من دراسته نتساءل: هل تمكّن مصطفى غلفان من الوصول إلى الأهداف المسطرّة؟

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 13.

² - المرجع نفسه، ص 44.

³ - مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربيّة الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص 4.

3- نتائج التقويم النقدي عند مصطفى غلفان:

بعد أن استظهرنا في المبحث السابق جملة المعايير التي وظّفها الناقد لغرض تصنيف الكتابة اللسانية العربية، نجده يصنّف الكتابة اللسانية إلى ثلاثة أصناف متباينة، ثم قام بنقد وتقويم كل صنف على حدى، وهذه الأصناف هي:

أ- الكتابة اللسانية التمهيدية (اللسانيات التبسيطية):

يرى (مصطفى غلفان) أنّ الخطاب اللساني التمهيديّ يبنى ممّا تفرز الأفكار اللسانية الحديثة من أسس جديدة في تحليل اللّغة البشرية بصفة عامّة، وطرق تحليل اللّغات الخاصّة، ويهدف الخطاب التمهيديّ عرض اللسانيات وأفكارها النظرية والمنهجية بطريقة سهلة بغية تبسيطها للقارئ العربي¹، فلقد فرض واقع اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة على الدارسين أن يهتموا ويركّزوا على فكرة لتبسيط هذه العلم ونشره؛ أي تقديم الشقّ التصوري الذي تعلّقت به اللسانيات العربية؛ للقارئ العربي ليتمكّن من فهمها واستيعابها.

ب- مساوئ الخطاب اللساني التمهيدي:

يرى الكاتب أنّ هذا الاتجاه من الخطاب لم يهتمّ بالقارئ العربي اهتماماً كبيراً، مهما كان مستواه التعليمي متقفاً كان أم مبتدئاً، فالخطاب التمهيدي لا يميّز بين قارئ وآخر، إنّ المقبلين على هذا الاتجاه لهم في نظر الخطاب التمهيديّ درجة معرفية واحدة²، وعلى الرّغم من ذلك فإنّ غاية الخطاب التمهيديّ تتحصر حول قاعدة تيسير المعرفة اللسانية للمبتدئين، ولقد أحرزت تقدماً في وظيفتها التاريخية - حسب رأي الناقد- راصدة بذلك غايتها الأصلية في عرض التفكير اللساني الحديث ضمن المجالات الثقافية العربية، لكنّ هذا النجاح تقلّص بسبب عوامل كثيرة منها:

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج ط1، ص62.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص100.

- عدم وضوح الاتجاهات المطلوبة للبحث قد يؤدي إلى تشتت الجهود.
- عدم استخدام التقنيات والأدوات اللسانية المتاحة.
- عدم القدرة على مسايرة التقدم السريع في مجال اللسانيات ونظرياتها.
- الإكثار من التيسير يؤدي إلى فقدان الجوانب الأساسية في الموضوع.
- الدخول في تعقيدات اللسانيات شديدة.
- عدم الاعتماد على مصادر موثوقة ومراجع قد يقلل من مصداقية الطرح.

ج- الاتجاه التراثي:

يركز الكاتب في هذا السياق على معالجة فكرة جوهرية في التراث اللغوي العربي، حيث إن إشكالية الأصالة والمعاصرة تمثل تحدياً رئيساً في اللسانيات التراثية، خاصة عندما يتعلّق الأمر بدراسة اللسانيات التراثية، يتوجب علينا التفكير في كيفية موازنة الحفاظ على الأصالة مع مواكبة التطورات المعاصرة¹، ذلك أنّ هذه المسألة يدور موضوعها حول التراث، وقد أنتجت هذه المسألة توجّهين بارزين، فهل "نأخذ بالغرب أم بأسلافنا حكماً على مشكلتنا"² فالتوجّه الأول يرى بأنّه يجب إدماج التراث في الحياة العربية بشكل شامل، سواء على المستوى الفكري أو السياسي أو الاجتماعي، من خلال هذا الإدماج، يمكن للمجتمعات العربية بناء مستقبل أصيل يعكس هويتها الثقافية ويعبر عن تراثها العريق³.

أمّا التوجّه الثاني (المعارضون) يعبر عن رغبة في التحرر من القيود التقليدية والتقاليد الموروثة، وذلك بهدف تحقيق التجديد في مختلف المجالات، من خلال تجاوز القيم والأفكار التقليدية⁴، من خلال ما ذكرناه يُلاحظ انتقال هذه الإشكالية إلى الفكر

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 131.

2- طيب تزيني "إشكالية الأصالة والمعاصرة في الوطن العربي" أعمال ندوة: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي دط. بيروت: 1985م، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية. ص 90.

3- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 133.

4- المرجع نفسه، ص ن،

اللغوي العربي، حيث نرى بأن الكاتب اصطلاح على تسمية هذا الاتجاه من الخطاب اللساني اسم (لسانيات التراث)، هذا التوجه يبرز أهمية السعي إلى التوافق بين محتويات التراث اللغوي العربي والنظريات الحديثة في مجال اللسانيات، يهدف اللسانيون في هذا السياق إلى استخدام مختلف الأساليب والمناهج المعرفية لتحقيق هذا التوافق، وذلك ضمن إطار ما يُعرف بالقراءة وإعادة القراءة¹.

د- نقد الخطاب اللساني التراثي:

قدم (مصطفى غلفان) نقداً لاذعاً لللسانيات التراث، كما رأى الناقد أن هذا الاتجاه ليس له علاقة بالدراسة العلمية للسان البشري، لذلك لا يحتاجه الدرس اللساني العربي لأن الخطاب اللساني الذي يحتاجه الدرس اللساني العربي، متنوع ويشمل مجموعة واسعة من مجالات دراسة اللغة العربية في مختلف مستوياتها²، وعلى الرغم من ذلك، فقد رأى الكاتب أن لسانيات التراث لها إيجابيتين اثنتين:

- إحيائها للتراث اللغوي القديم.

- تسليط الضوء على النظريات اللسانية المعاصرة وإعطائها قيمتها³.

هـ- استعمال الأفكار اللسانية على اللغة العربية (لسانيات العربية):

نعني بها الدراسات التي تعتمد الأفكار اللسانية الحديثة على اللغة العربية، حيث يُعدُّ هذا الاتجاه من الكتابة فترة القوة لدى اللسانيين العرب ويشير (مصطفى غلفان) في هذا المجال إلى حقيقة مفادها أن لسانيات العربية هي الخطاب اللساني الذي يتخذ اللغة العربية موضوعاً يعمل عليه ويركز حوله كل اهتماماته، على الرغم من أن الخطابات اللسانية العربية التي تعتمد على هذا النهج ليةست بالكثير، تكاد اليوم تعدّ على أصابع اليد الواحدة⁴، استناداً إلى البيان السابق، يعتقد الناقد أنه يجب التركيز

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 135.

2- المرجع نفسه، ص 165.

3- المرجع نفسه، ص 166.

4- المرجع نفسه، ص 171.

وتتمية لسانيات العربية؛ لأنها تعمل مباشرة على اللغة العربية وتركّز على موضوعها دون الانحياز عنه، ويعتقد أنّ هذا الاتجاه في الخطاب يشهد تطوراً نوعياً ويسعى نحو تحديات جديدة، إنّ لسانيات العربية قد تمكّنت من وضع اللّبنات الأولى للبحث العلمي العربيّ الدقيق، وفتحت الباب أمام الأجيال القادمة نحو دراسة لسانية عربية على مستوى الحدّثة والعالمية، وهو ما يمهد الطريق للتقدم والتطور في هذا المجال¹، كما أنّ الناقد قام بتقسيم هذا الاتجاه من الخطاب إلى اتجاهات ثلاثة:

و- الاتجاه البنيوي الوصفي:

تأسس المنهج البنيوي الوصفي بفضل العالم اللغوي السويسري فردناند دي سوسير، الذي استند في عمله إلى الوحدات الشكلية في تحليل الكلام المنطوق من المركّب إلى البسيط، هذا النهج شكّل ثورة في ميدان الدراسات اللغوية، حيث قلب المعايير القائمة وسمح بتوسيع نطاق الدراسات اللغوية بعيداً عن تركيزها التقليدي على الفيلولوجيا اللغوية². ونتيجة لهذا التطور، سعى عدد من اللسانيين العرب إلى تطبيق هذا النموذج اللساني على اللغة العربية، وقد تمّ ذلك عبر مرحلتين:

أ- بعض اللغويين العرب، مثل (إبراهيم أنيس ومحمود السّعران وتام حسان)، حاولوا في البداية تبسيط المبادئ والأفكار اللسانية الجديدة، وقدموا مفاهيم جديدة ومقاربات مبتكرة في مجال اللسانيات، وسعوا لتطبيقها على اللغة العربية.

ب- أما لسانيون آخرون، فقد قاموا بالدفاع عن الفكر اللساني الحديث (علم اللغة)، وقاموا بتوضيح إجابياته نظرياً ومنهجياً مقارنة بالفكر اللغوي العربي القديم. من بين هؤلاء اللسانيين تمام حسان، الذي ألف العديد من الكتب في هذا الصدد، وأسهم في

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 173.

² - حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص 10.

تعزير فهم اللسانيات الحديثة في العالم العربي.¹ ممّا سبق نتساءل: كيف استثمر الوصفيون العربي مبادئ اللسانيات العامّة؟

من بين الملاحظات التي سجّلها الناقد حول كتابة الوصفيين:

- عدم وضوح وتحديد المصادر والأسس النظرية التي يعتمد عليها الوصفيون في تطبيقهم.
- وجود انتقائية في التعامل مع مبادئ اللسانيات، مما قد يؤثر على موضوعية الدراسة ودقته.
- الوقوع في البساطة والسطحية في تحليلهم ووصفهم للظواهر اللغوية، دون التفكير العميق والتحليل الدقيق.
- التمسك ببعض الأساليب والمفاهيم من التحليل اللغوي القديم دون تطويرها أو تحديثها وفقاً للمستجدات الحديثة في مجال اللسانيات.

ز- الاتجاه التوليديّ التحويليّ:

ظهر الاتجاه التوليديّ على يد العالم الأمريكيّ (تشومسكي) في بداية الخمسينات وتحديدًا العام 1957م حيث كان هذا الاتجاه آنذاك فلسفة لغوية فريدة كان هدفها تقويم الأفكار اللسانية العامّة، وتجديدا للأفكار التي جاء بها (سوسير) ونظرا لما يحمله من فلسفات جديدة وتطبيقات جذابة تمّ العمل على بشكل واسع في أقطار العالم، لقد كانت النظرية التوليديّة التحويليّة خلفيّة منهجيّة ملهمة لكثير من اللسانيين العرب، الذين حاولوا تطبيق أفكارها على اللّغة العربيّة.

في هذا السياق، يرى (مصطفى غلفان) أنّ الاتجاه التوليدي العربي لم يبدأ في الظهور إلّا في بداية السبعينات من القرن العشرين، ويكاد لا يخرج عن دائرة بعض الأسماء التي ساهمت بشكل واضح وفعال في التعريف بالنحو التوليدي وتطبيقه على

¹-مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص175.

اللغة العربية¹، إلا أن هذه الأسماء (الفاسي الفهري، ميشال زكرياء، خليل عمايرة) وعلى قلتها، اختلف تأثيرها حسب قيمتها المعرفية، ويمكن أن يؤول دافع تأخر ظهورها هو غياب حركة الترجمة، وعدم مسايرة اللسانيين آنذاك لما ظهر من تطورات لسانية.

ح- إيجابيات وسلبيات الخطاب اللساني التوليدي العربي:

- صياغة قواعد للظواهر اللغوية المدروسة بطريقة بسيطة وواضحة، مما يسهل فهمها وتطبيقها.

- يساعد الاتجاه التوليدي في تقديم قواعد عامة تفسر المعطيات تفسيراً شمولياً، مما يسهل فهم التنوع والتعقيد في اللغة العربية، وهذا ما يظهر كتابات (عبد القادر الفاسي الفهري) و(داوود عبده) مثلاً.

- يشير الناقد إلى أهمية تعدد النماذج اللسانية المطبقة على اللغة العربية، ويرى في ذلك إثراءً للبحث اللساني العربي وتقريباً للدرس اللساني العربي من البحث اللساني العالمي، وتعميقاً للمعرفة العلمية باللغة العربية.

- تقريب الدرس اللساني العربي من واقع البحث اللساني العالمي؛

- تعميق المعرفة العلمية باللغة العربية، وإثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجية الممكنة.²

غير أن هذه الإيجابيات لا تُخفي بعض العقبات التي تواجه هذا النوع من لسانيات العربية وقد حصرها الناقد في ما يلي:

- الكتابة التوليدية العربية لم تقدم بحثاً متكاملاً وشاملاً للغة العربية، بل تزال في مراحلها الأولية وتحتاج إلى مزيد من البحث والتطوير.

- الكتابة التوليدية قد تعرضت للتجزؤ في تناول قضايا اللغة العربية، مما يؤدي إلى الخلط بين النماذج اللسانية وتشتت في التحليل.

¹- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 201.

²- المرجع نفسه، ص 231.

- عدم التدقيق في فرضيات الكتابة التوليدية العربية ومدى ملائمتها للغة العربية، مما قد يؤثر على دقة النتائج والتطبيقات العملية لهذه الفرضيات. من خلال تقديم (مصطفى غلفان) لنقده البناء للكتابات اللسانية العربية، يظهر تمكنه من إبراز الأزمة التي تعاني منها اللسانيات العربية، وذلك عبر استخدامه للمنهج القرائي دون تحيز، واستناده إلى الأسس النقدية المشتقة من النظرية اللسانية العامة، حيث يتمكن الناقد من تحليل النصوص اللسانية بشكل شامل ومتكامل، مما يساهم في توضيح المشاكل والتحديات التي تواجه الدراسات اللسانية في العالم العربي، وعندما يتمكن النقاد من تطبيق المنهج القرائي دون تحيز، يتمكنون من تقديم تحليلات موضوعية ومنطقية، تساهم في تطوير المعرفة اللسانية وتعزيز الدراسات العلمية في هذا المجال.

4-بنية الخطاب اللساني التقويمي (النقدي) عند مصطفى غلفان:

أ-العنوان:

استخدم (مصطفى غلفان) في كتاباته اللسانية التقويمية عناوين مختلفة ومتعددة وسنحاول في هذا المبحث أن نحللها لبيان قيمتها وأهميتها من نواح متعددة، ويمكننا أن نتساءل: هل هذه العناوين مناسبة للموضوع الذي كتبه الناقد؟ هل هي موجزة ومعبرة أم يجب اختصارها؟ هل هي واضحة أم يمكن تأويلها من جانب البعض فتعكس دلالات مغايرة؟ هل هي حديثة ومنفردة أم أنها مقلدة؟ وفي الأخيرة هل تضمن العنوان متغيرات الدراسة؟ ويمكن أن نبيّن أهمّ العناوين في الجدول التالي:

المؤلف	العنوان الرئيس	العنوان الفرعي
01	اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة.	حريات النشأة والتكوين.

دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية.	اللسانيات العربية الحديثة.	02
أسئلة المنهج.	اللسانيات العربية.	03

بعد اطلاعنا على الكتب الثلاثة، وجدناها مناسبة للموضوع الذي كتبه الناقد؛ حيث أنّ الكاتب كرّر مصطلح (اللسانيات) في كلّ عنوان وهذا دليل على أنه يحاول الإلمام بموضوع اللسانيات عن طريق سلسلة من الكتب التي لها علاقة وشيجة تبدو من خلال العنوان، أمّا من حيث الطول فهي طويلة نوعاً ما مقارنة بعناوين أخرى مختصرة، وبخاصة المؤلف الثاني، ولعلّ سبب الطول هو إضافة العناوين الفرعية التي لها دور فعّال في توجيه مسار الدراسة، إضافة إلى أنّها معبرة فهي تحمل دلالة قوية توحى بمحتوى المضمون بسلاسة، كما أنّها لا تقبل التأويل لأنّها تحمل محدّدات كثيرة، فالكاتب أضاف كلمات توجيهية هدفها جعل القارئ يفهم بأنّ الدراسة تخصّ اللسانيات العربية.

والشيء المميّز في هذه العناوين أنّها تحمل طابعاً تجديدياً، فلم نعثر -في حدود بحثنا- على دراسات قبلها لها التسمية نفسها، وقد تضمنت هذه العناوين المتغيّرات الدّراسة بصفة جيّية، فالناقد أضاف العناوين الجزئية التي مهمتها إيضاح المنهج أو توجيه الدّراسة، فعبارة **حفريات النّشأة والتكوين** استوحاها الكاتب من ميشال فوكو (حفريات المعرفة) وهي توحى بعملية هامة في العلوم تتمثّل في البحث عن الظروف التاريخية لنظرية معينة أو توجيه معين، وهذا ما تضمّنه المؤلف الأول حيث نجد الناقد يبحث في تاريخية الجهود العربية، أمّا المؤلف الثاني فنجد الناقد استعمل مصطلح دراسة (نقدية للأسس والمصادر) وهذا المصطلح شائع في البحوث المتعلقة بفلسفة العلوم والإبستمولوجيا، أمّا المؤلف الثالث، فنجد الكاتب أضاف مصطلح أسئلة المنهج، الذي ركّز فيه على أهمية المنهج في الدّراسة اللسانية العربية.

إنّ العناوين المستخدمة في هذه الدراسات استطاعت أن تستقطب القراء، ومن هنا فقد نجح (مصطفى غلفان) في إيصال رسالة مشفرة إلى القارئ تبين مدى تمكنه من دراسته.

ب-المقدمة:

انطلق (مصطفى غلفان) في كتبه الثلاثة بمقدمات تشترك في أمور كثيرة، فقد اشتملت كلّها على اختصار لطبيعة الموضوع الذي يتناول الكتاب، ففي المقدمة الأولى حاول (مصطفى غلفان) الحديث عن أساسيات المنهجين المقارن والتاريخي الذين سادا أوروبا في القرن التاسع عشر، وعن وضعية البحث اللغوي العربي في تلك الفترة، كما حاول في المؤلف الثاني بيان أهمية دراسته حيث يرى أن المكتبة العربية تخلو "من الدراسة المفصلة والشاملة التي تعرض بالتحليل النقدي لتجربة اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية الحديثة"¹، والملاحظ على المقدمات الثلاث أنّها متوسطة الطول إن لم نقل مختصرة، ونستثني من هذا الحكم مقدّمة المؤلف الثالث، حين نرى بأنّ الناقد توسّع كثيرا في مقدّمة، حتى بدت كمدخل نظريّ، وقد أشار الكاتب في مقدّماته إلى المنهج المستعمل في البحث وهي إحدى مزايا (مصطفى غلفان)، حيث استعان بالمنهج التاريخي في المؤلف الأول "تعتبر الدراسة تنقيبا وحفرا في واقع اللسانيات في علاقتها بالثقافة اللغوية العربية الحديثة"².

أمّا في المؤلف الثاني فوظف الناقد المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبعه للكتابات اللسانية العربية المتنوعة، كما التزمت المقدمات الثلاث بالأسلوب العلمي في الطرح، يسير وفق استراتيجية منطقية للوصول إلى هدف الدراسة.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص5.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، ص4.

5- لغة الخطاب اللساني التقويمي عند مصطفى غلفان:

أ- الوضوح اللغوي:

أسلوب (مصطفى غلفان) مميّز بوضوحه سهولته في جميع كتاباته، حيث لا يوجد إبهام أو صعوبة في أسلوبه، يتميز بدقة اختيار المفردات، حيث تكون لغته علمية دون تعقيد أو ابتذال، ممّا يجعلها سهلة على المتخصّصين والمبتدئين على حد سواء، كما يدعم الناقد لغته بالاقتراسات الفلسفية والفكرية، ومن بينها اعتماده على أقوال (محمد عابد الجابري) كدليل على هيمنة التراث حيث يقول: "إنّ العوائق السابقة يمكن ردها إلى عاملين اثنين هيمنة التراث... وحضور الغير بشكل مكثّف في حياتنا الفكرية"¹، واعتماده على أقوال (كارل بوبر) "ليس في ذهني صور للعلم باعتباره ظاهرة بيولوجية أو أداة للملاءمة أو منهجا غير مباشر للإنتاج، ولكني أفكر في جوانبه الإبيستيمولوجية"²، ويتجلى الدافع وراء استعمال الناقد لأقوال عديد من الفلاسفة والمفكرين أنّ شقًا كبيرًا من كتاباته يعتمد على الجانب الفكري، ومن المفكرين الذين أخذ عنهم الناقد أفكارهم نذكر: (الأحمر سالم أحمد، العروي عبد الله، جون ديوي، كارل بوبر، توماس كون، غاستون باشلار، وقيدي محمّد، فلاديمير كور كانوف، طه عبد الرحمن، جيمس جينز) ومن خصائص لغة (مصطفى غلفان) نذكر:

ب- الإثبات والاستفهام:

يعدّان من الطّرق التّعبيريّة التي لها مكانة كبيرة ومهمّة في الدّراسات النّقديّة، ولقد وجدت تراكيب التوكيد والاستفهام بشكل جليّ في الخطاب الذي قدّمه الناقد، فالتوكيد استخدمه الناقد كثيرا بأدواته المعروفة (إنّ، لقد، إنّنا، ممّا لا شكّ فيه...) ومن ذلك قول الناقد: "إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة...³ وقوله أيضا: "ممّا لا شكّ فيه أنّ

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 27.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 17.

3- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 9.

وراء هذه الوضعية عوامل عديدة...¹ وفي قوله أيضا: "إنّ هدفنا الأساس... إنّ ما نطمح إليه... إنّ تقويم ما يكتب في اللسانيات العربية"² وفي موضع آخر "وقد أضاف المتوكل نفسه جملة من النتائج التي انتهى إليها في أبحاثه الوظيفية..."³. ويستعمل الناقد في صفحة واحدة ثمان مرات وذلك في قوله: "إنّ الإشكالات... إنّ العديد... لقد تعدّدت... غير أنّ الإطار... إنّنا لا نلغي... إنّ اعتبار... إنّ الأبحاث..."⁴ توظيف الإثبات في الكتابة يعكس غالبًا الغرض من إقناع القارئ بصحة وقوة الحجج المقدمة، من خلال تقديم الأدلة والأمثلة والاقتراسات، يسعى الناقد إلى تعزيز معنى ما يقوله وتوضيحه بشكل أفضل، ممّا يجعل القارئ يثق في الحجج التي تقدم ويفهم قوة الحجة، كما يمكن أن يكون الغرض أيضًا تأكيد كفاءة الناقد وقدرته النقدية، حيث يظهر استخدامه للإثبات قدرته على التفكير النقدي وتحليل الموضوعات بعمق، وفي بعض الأحيان، يمكن أن يكون الهدف من استخدام الإثبات تأثير المتلقي وإقناعه برأي الناقد أو المؤلف، وجعله يؤمن بصحة وقوة الحجج المقدمة.

أمّا الاستفهام فقد كان موجودا بكثرة في كتاباته ومنه نذكر قول الناقد: "هل هناك فعلا لسانيات عربية؟ ما المقصود بها؟ ما هي سماتها النظرية والمنهجية؟ ما هي النتائج النظرية والمنهجية المترتبة عن تطبيق النماذج اللسانية على اللغة العربية؟"⁵، ومنه أيضا قول الناقد: "كيف وعى اللغويون العرب المحدثون مبادئ اللسانيات العامة وفرضياتها ونماذجها النظرية؟ كيف تمّ توظيف كل هذه الأمور وتطبيقها في دراسة مختلف جوانب اللغة العربية؟ كيف تمّ نقل كل ذلك للقارئ العربي متخصصا كان أم

¹ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 12.

² - المرجع نفسه، ص 13.

³ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، ص 35.

⁴ - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 14.

⁵ - المرجع نفسه، ص 9.

قارئاً عادياً؟¹، كما يتساءل في موضع آخر عن مصادر جرجي زيدان في كتاباته " إلى أي حد استفاد زيدان من فكر داروين أو شلايشر؟ ما درجات تمتلّه ووعيه بقيمة المنهج الارتقائي في اللّغة وأهميته؟"².

إنّ الملاحظة التي سجلناها حول قصر الجمل وعدم التكلف في الإيضاح تعكس جوهر الأسلوب النقدي الذي يتبعه الناقد، حيث يُسلط الضوء على الإشكاليات المطروحة في مقدمات وثنايا مؤلفاته، ممّا يوضح المسار الفكري في البحث ويعطي صورة واضحة للمواضيع التي سيتم مناقشتها، هذا النوع من التبليغ يعزز مصداقية الدّراسة العلمية ويمكن القارئ من فهم مضمون البحث بشكل أفضل، يستخدم الناقد استراتيجية الانطلاق من الأسئلة كبدائية قبل التفصيل في أي موضوع فكري في بحثه، مما يساعد في توجيه اهتمام القارئ وتحديد مسار النقاش بشكل دقيق ومنطقي، والمثال على ذلك قوله: "ما هي معوقات البحث اللّساني العربي؟ وما هي الشّروط الموضوعيّة الكفيلة بخلق لسانيات عربيّة تأخذ مصداقيتها ومشروعيتها من اللّسانيات العامّة؟"³، ولا شك أنّ مثل هذه التساؤلات معروفة في التفكير اللّسانيّ العربيّ، لكنّ النّاقِد رأى ضرورة إعادة طرحها.

ج- التركيز على المصطلح العلمي:

يلاحظ على كتابات (مصطفى غلفان) استخدامه الكثير للمصطلحات العلميّة (لسانية، فلسفية، نقدية...) وما يهّمنا هو هل النّاقِد متحكّم في مصطلحاته؟

د- المصطلح اللّساني:

استعمل النّاقِد كثيرا من المصطلحات اللّسانيّة الشّائعة، لتجنّب الوقوع في إشكاليّة المصطلحات، ومن بينها مصطلح (لسانيات) ذلك أنّ موضوع كتابه يتعلق باللسانيات،

¹ - مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة، ص 11.

² - مصطفى غلفان، اللّسانيات في الثقافة العربيّة الحديثة حفريات النّشأة والتكوين، ص 45.

³ - مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة، ص 12.

يتضمن هذا الاستخدام المصطلحات مثل: (اللسانيات الوصفية، النحو التقليدي، اللسانيات البنيوية، المنهج المقارن، المنهج التاريخي، القدرة التفسيرية، الأنساق، التراث، والخطاب، وغيرها، يكون هدف توظيف المصطلح اللساني الاقتصاد اللغوي، وتحقيق الدقة في الطرح، وإضفاء الطابع العلمي على البحوث الإنسانية.

هـ- المصطلح الفلسفي (الإبستمولوجي):

الخطاب التقويمي عند (مصطفى غلفان) يتميز بزيادة استخدام المصطلحات الفلسفية، مما يدل على اطلاعه الواسع على المصنفات الإبستمولوجية التي تتناول نقد العلوم، ومن بين المصطلحات التي يستخدمها بكثرة، نذكر مصطلحات مثل (الأزمة العوائق، القطيعة، المنطلقات الفكرية والمنهجية، التقويم، المنهج الإرشادي، الحفريات، التجاوز، الموقف الطفري، النظرية، نقد المصادر، التصنيف، الغايات، الأهداف، والنتائج) يعتمد الكاتب على النقد الإبستمولوجي في مشروع كبير يهدف إلى إرساء نقد مؤسس لكل الكتابات اللسانية العربية، مما يسهم في تطوير المنهجيات والفهم العميق للمواضيع اللسانية.

ثالثاً: الخطاب اللساني عند (مصطفى غلفان) بين النقد والتقويم:

تحدثنا في ما سبق عن الإيجابيات التي ميّزت الجهد الذي قدّمه (مصطفى غلفان) في جلّ دراساته؛ وبالرغم من هذه المحاسن العديدة فلا بد من وجود نقائص تجبرنا الأمانة العلمية على ذكرها هذا الجهد نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1- تجاهل المعينات الخارجية:

انطلق (مصطفى غلفان) من فرضية تفيد بأنّ اللسانيات العربية تعاني أزمة فكرية منذ دخولها الحقل الثقافي اللغوي العربي، وقد أثّرت هذه الأزمة على جميع مستويات الأبحاث اللسانية سواء في التنظير أو التطبيق، وقد أشار الناقد إلى أنّ لهذه الأزمة أسباباً أو ما أطلق عليها بدقة (عوائق)، حيث تعيق هذه العوائق مسار تطوّر اللسانيات في الثقافة العربية، ومع ذلك يركز الناقد في هذه الدراسة على العوائق الداخلية فقط

دون الانتباه إلى العوائق الخارجية، ويمكن اعتبار هذا النقص في التحليل دليلاً على استحواد الناقد على جانب محدد من المسألة أو عدم استيعابه للتأثيرات الخارجية التي قد تلعب دوراً في هذه الأزمة الفكرية، وقد يكون من الضروري للناقد أن يوسع نطاق التحليل ليشمل العوامل الخارجية أيضاً، لفهم الصورة الكاملة للأزمة الفكرية في مجال اللسانيات العربية، والدليل على ذلك قوله: "ونظراً لكون العوائق الخارجية لا تتدرج مباشرة في موضوعنا نكتفي بتحليل العوائق الصورية لأنّ تجاوزها يبدأ بفهمها بكيفية عميقة"¹، من الواضح أن الخيار الذي اتخذه الناقد في التركيز على العوائق الداخلية كان محددًا بضرورة منهجية تخدم مصلحة الدراسة في الوقت الحالي، ومع ذلك يمكن أن يظهر التحليل الأكثر تركيزاً على النتائج في نهاية الدراسة أنّ الاقتصار على تحليل العوائق الصورية، يمكن أن ينتج نتائج صحيحة ولكنها قد تكون ناقصة من الناحية المنطقية وتفتقر إلى الشمولية، فالعوائق الخارجية لها دور كبير في أزمة اللسانيات العربية، ولذا فإن عدم مراعاتها قد يقتصر نطاق الفهم والتحليل.

ومن المثير للاهتمام أيضاً أنّ الناقد لم يستدرك هذا النقص في أعماله النقدية اللاحقة، مما يشير إلى ضرورة مراجعة وتحسين النهج المنهجي في الدراسات اللسانية، ومن الملفت للنظر أنّ دراسات أخرى اهتمت بالعوائق الخارجية وتميزت نتائجها بالدقة والموضوعية، مما يظهر أهمية توجيه الاهتمام لجميع الجوانب المحتملة في دراسة الأزمت الفكرية في المجال اللساني، ومن بينها ما قدّمه حافظ إسماعيلي علوي بعنوان (اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة).

2- صعوبة التصنيف:

اعتمد (مصطفى غلفان) في دراسته على التصنيف النقدي كأداة أساسية، وجعله الحلقة الأساسية في تحليل الكتابة اللسانية العربية، واستخدم معايير دقيقة في تصنيفه

¹ -مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص21.

للكتاباة اللسانية العربية، مع التركيز على الموضوع والغاية والمنهج، كما ذكر في الفصل الثاني من دراسته، أسفرت هذه المعايير عن تحديد أنواع مختلفة من الكتابة اللسانية العربية، بما في ذلك الكتابة التمهيدية، ولسانيات التراث، ولسانيات العربية. إنَّ السؤال المطروح هنا هو ما إذا كانت الجهود اللسانية تستجيب لهذا التصنيف وهل يمكن لهذا التصنيف أن يغطي الكم الهائل من الكتابات اللسانية العربية، الإجابة على هذا التساؤل تظهر بأن التصنيف قد يستطيع تغطية جزء من الكتابات اللسانية العربية، ولكن قد يكون هناك جزء آخر يتم تجاهله أو يتم التعامل معه بطرق أخرى، فقد تم تجاهل نوع مهم من الكتابات اللسانية العربية وهي تلك التي تتعلق ببلوغرافيا اللسانيات.

من الناحية النظرية والمنطقية، يبدو التصنيف دقيقاً وموضوعياً، ولكن من الناحية التطبيقية قد يختلف الأمر، حيث يقوم الناقد عادة بتكييف المادة اللسانية وفقاً لرصيده المصطلحي، وعلى سبيل المثال، قد يُطلق عامةً مصطلح (لسانيات تمهيدية) على جميع الكتابات التي تتحدث عن بدايات اللسانيات وجوانبها النظرية بشكل عام. وربما يُعدّ هذا التعميم تجاوزاً للحقائق، وقد ينبغي تجنبه والتجرد من النزعة الذاتية التي قد تؤثر على البحث العلمي.

3- إسقاط النماذج الغربية على اللغة العربية:

مصطفى غلفان سعى إلى إقامة مسافة نقدية مع الموضوع ومعالجته بطريقة موضوعية، معتمداً على مفاهيم مثل النقد المزدوج الذي طرحه (عبد الكبير الخطيبي)، والقواعد المعيارية والقواعد المؤسسة التي اقتبسها من (سورل) ونماذج أخرى، واللافت هنا أنه من الناحية المنهجية لا يوجد حرج في استخدام أفكار غربية في تحليل الجهود العربية، ولكن الخطأ يكمن في الإسقاط المباشر دون مراعاة السياق اللغوي العربي.

فعلی الرغم من أهمية تبني النماذج الغربية في النقد والتحليل، إلا أنه من المهم أيضاً دراسة المعطيات اللغوية العربية باستخدام نماذج أقرب إلى الواقع اللغوي العربي، وقد أشار الناقد في بداية دراسته إلى هذه الضرورة، مما يعكس حرصه على الاعتماد على مفاهيم ونماذج تتماشى مع خصوصية اللغة العربية وثقافتها.

4- سيطرة الانتقائية في طريقة التصنيف:

يبدو أن الناقد في هذه الدراسة يتبنى فكرة تكامل المناهج، حيث يصرح بأنه لا يميز بين المناهج المختلفة مثل: (الوصفية والتوليدية والتحويلية أو حتى النحو الوظيفي)، ويرى أنها جميعاً تنتمي إلى النظرية اللسانية العامة ولا فرق بينها. ومع ذلك، يظهر من نتائج تصنيفه في هذه الدراسة أنه يفضل جهود معينة على أخرى، فمثلاً في تقييمه للكتابات التوليدية التحويلية العربية، يعبر عن تفضيله لجهود الفاسي الفهري مقابل استبعاد جهود مثل (ميشال زكريا و خليل عمايرة) في كتابه "في نحو اللغة وتراكيبها" وغيرها من الكتب، هذا يمكن أن يظهر تناقضاً بين تصريحاته حول عدم التفضيل بين المناهج وبين اختياره لجهود معينة واستبعاد جهود أخرى، مما يشير إلى وجود عوامل أخرى قد تؤثر على اختياراته في التقييم، مثل اعتماده على معايير ذاتية أو تقديراته الشخصية للأعمال الفردية.

5- إغفال أعمال بعض اللسانيين الكبار:

يصدر (مصطفى غلفان) عن فكرة ترى أن غايته الأساسية كما ذكر في مقدمة كتابه هي: "تقصي طبيعة الخطابات اللسانية العربية الأكثر تميزاً وخصوصية"¹ وتحليل عبارة (الأكثر تميزاً وخصوصية) يشير إلى أن الناقد قد يكون اقتصر على اختيار الدراسات التي يعتبرها مميزة وفريدة في مجال اللسانيات، وربما يتجاهل الدراسات التي لا تتمتع بنفس المستوى من التميز بالنسبة له، وقد يكون لهذا التمييز المفضلية في

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 13.

اختيار الدراسات التي يستعرضها أو يعتبرها مهمة في تحليل، بالنظر إلى عدم اهتمام (مصطفى غلفان) بمجهودات (عبد الرحمن حاج صالح)، قد يكون هذا نتيجة لتقييمه الشخصي لهذه الدراسات وعدم اعتبارها كافية بالنسبة له في تحليله، وقد يكون لهذا أسبابه الخاصة، مثل عدم تميزها بشكل كافٍ أو عدم ملاءمتها لأهداف دراسته. من الجدير بالذكر أنّ النقد العلمي يعتمد على معايير مختلفة، وقد يختلف تقييم الباحثين بشأن الأبحاث والدراسات المختلفة وفقاً لمعاييرهم الشخصية وأهدافهم البحثية ومجال اهتماماتهم، لذا قد يكون هذا الاختيار جزءاً من منهجية الناقد ورؤيته الخاصة للمجال اللساني.

الفصل الثّاني: الخطاب اللّسانيّ عند عبد السّلام المسدي.

توطئة:

أوّلا: الخطاب اللّسانيّ التمهيدّي عند عبد السلام
المسدي.

ثانيا: الخطاب اللّسانيّ التراثيّ عند عبد السلام
المسدي.

ثالثا: نقد وتقييم الخطاب اللّسانيّ عند عبد السلام
المسدي.

توطئة:

يُعدّ (عبد السلام المسدي) من اللغويين العرب النادرين، الذين استطاعوا الجمع بين كثير من التخصصات وصنوف الكتابة، فالمسدي كتب في ميدان النقد وميدان الأدب واللغة، ولعلّ الميدان الذي برز فيه هو اللغة وكلّ ما يتعلّق بها من نظريات ونماذج، فكتب في لسانيات التراث، وذلك عبر محاولته قراءة التراث اللغوي العربي وإخراجه للعالمية، كما عُرف عليه إعجابه باللّسانيات ومبادئها، فحاول تقديمها للقارئ العربي، على شكل كتب ومؤلفات عديدة، وسنحاول في هذه المباحث تحليل الخطاب اللسانيّ عند (المسدي)، ومن هنا نتساءل: هل استطاع (المسدي) إفادة القارئ العربيّ بكتابته التمهيدية؟ وما الإضافة التي قدّمها (المسدي) في هذا المجال؟

أولاً: الخطاب اللسانيّ التمهيدّي عند عبد السلام المسدي:

أمّا كتاب (قضية البنيوية دراسة ونماذج 1991) الذي يُعدّ من أهمّ ما ألف (المسدي)، فقد حاول من خلالها شرح البنيويّة وتقديمها وتبسيط مبادئها للقارئ العربيّ وقد قسّم (المسدي) دراسته للبنيوية قسمين هامّين: "ففي القسم الأول نقدم دراسة تأليفيّة حاولنا فيها بحث مشكلة البنيوية في أعماقها المختلفة"¹، ويظهر من خلال هذا الكلام أنّ هذا الجزء نظريّ بالكامل، لأنّه يتحدث عن أبعاد البنيوية (البعد التكويني، البعد المنهجي، البعد الفلسفي، البعد المعرفي...) أمّا القسم الثاني "فيمثّل المادة التحليليّة التي تقوم طرفاً مقابلاً للحصيلة التجريبية التي جاء عليها القسم الأول، وبهذا المنظور يمكن اعتبارها نماذج تشهد بما يفترضه موقفنا من مستندات"² وهذا الجزء يعتبر تطبيقياً، فقد سلّط (المسدي) من خلاله الضوء على كيفية تمثّل اللغويين العرب لقضية البنيويّة، محاولاً جعل القارئ على قدر من المعرفة، خاصّة

1- عبد السلام المسدي، قضية البنيوية دراسة ومناهج، المطبعة العربية دار أمية، ط1، تونس، 1991، ص05.

2- المرجع نفسه، ص5.

ما تعلّق منها بوجهات النظر المختلفة، وفيما يلي تحليل لأهمّ خصائص الكتابة التمهيدية عند (المسدي):

أ- من حيث الموضوع:

عرفنا فيما سبق ذكره أنّ اللسانيات التمهيدية يدور محورها عموماً حول تقديم مبادئ اللسانيات العامة ميسرة للقارئ العربي، ولا يختلف (المسدي) عن غيره من اللسانيين العرب الذين حاولوا تقديم المضامين اللسانية لمن لم تطل عشرته لهذا العلم المتنامي، والبحث عن الأصول الأولية: من دعائم ذهنية، وضوابط منهجية، ومصادر استدلالية، واستثمارات نفعية¹، وتدللّ كلمة تقديم على معنى التيسير للمبتدئ في مجال اللسانيات العامة، فموضوع الكتاب الأول هو اللسانيات وطريقة تقديمها للقارئ، كما أنّ الرجل يحاول ربط القارئ بموضوع كتابه وهذا ما جاء في مقدّمة كتابه الثاني حيث يخاطب فيه القارئ مباشرة بقوله: "أيّها القارئ الكريم: هذا كتاب وضعناه لنسجل به موقفاً حول قضية فكرية هي من أبرز ما عرف عصرنا من القضايا... تلك هي قضية النبوية"²، وتعدّ قضية النبوية أو المنهج النبويّ من أهمّ مباحث اللسانيات الحديثة، وقد يجد القارئ المبتدئ صعوبة في الوصول إليها، بسبب غموض وصورية مبادئها الفلسفية المنبثقة عنها، لذلك نجد الكاتب ركّز على الجانب التكويني، وخصّه بمبحث كامل، كما يلاحظ على (المسدي) تصريحه بالموضوع العام لكتابات، ومن هنا نعتقد أنّه يعي الأهمية المنهجية لذكر الموضوع والالتزام به في الكتاب، والأهمّ من ذلك اطلاع القارئ عليه، حتى ينجذب إلى الكتاب، فموضوع (المسدي) من خلال كتاباته هو اللسانيات بصفة عامة، أو أحد نظرياتها الهامة، والأهمّ من ذلك كلّ، سعيه لتقديم اللسانيات للقارئ العربي.

1- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص5.

2- عبد السلام المسدي، قضية النبوية دراسة ومناهج، ص4.

ب- من حيث المنهج:

ذكرنا سابقاً أنّ المنهج المتبع في الكتابات اللسانية العربية هو المنهج التعليمي الذي يروم تبسيط اللسانيات للقارئ العربي، من أجل تمتلأها تمثلاً صحيحاً، ولكن هناك اختلاف وتباين بين اللسانيين العرب في تبني المنهج الأنجع للوصول إلى التبسيط والتأثير في القارئ، ومن هذا المنطلق نتساءل: ما المنهج الذي اعتمد المسدي في كتاباته التمهيدية؟

من المسائل المتعارف عليها في الجانب المنهجي ضرورة التصريح بالمنهج في المقدمة، أو على الأقل الإشارة إليه، وذلك تسهيل وصول القارئ إلى فكرة الكاتب، إنّ قراءة فاحصة لما قدمه (المسدي) نلني في مقدماته إشارة بسيطة للمنهج المعتمد ففي كتاب اللسانيات وأسسها المعرفية يخاطب القارئ قائلاً: "إذا استبان لك-حضرة القارئ- متناقضات الحال التي عليها أمر المعارف اللغوية عندنا التمسنا لنا العذر في أنّ المنهج المتوخى يزواج-في غير اعتدال- بين تقديم المضامين اللسانية لمن لم تطل عشرته لهذا العلم المتنامي، والبحث عن الأصول الأولية: من دعائم ذهنية، وضوابط منهجية..."¹، من خلال هذا القول يبدو جلياً أنّ (المسدي) يركّز على منهجين بارزين: يتمثل الأول في المنهج التعليمي الذي يهدف إلى تقديم المضامين اللسانية للقارئ المبتدئ، ولا شك أنّ هذا المنهج هو المعتمد كثيراً في كتابات (المسدي) التمهيدية، لأنّه يوصل المعلومة بسهولة للقارئ العربي.

والمنهج الثاني المعتمد -حسب المسدي- هو المنهج التاريخي؛ ذلك أنّ المؤلف يحتاجه في القضايا التأصيلية والبحث عن الأسس الأولية للسانيات، فالمزاوجة بين المنهجين التاريخي والتعليمي، يجعل القارئ ملماً بحديثيات العلم، ومتشبعاً بأهمّ مفاصله وقضاياها.

1 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص5.

أما في كتاب (قضية النبوية دراسة ونماذج 1991) فقد اعتمد مطولا على المنهج المقارن، حيث احتاج (المسدي) إلى المقارنة لبيّن ماهية النبوية حيث يقول: "وقد كان حافظنا الخفي هو التساؤل في كلّ حين عن وجه الهوية المعرفية في الفكر النبوي من خلال العلاقات الممكنة بينه وبين سائر حقول المعرفة"¹، كما احتاج الكاتب إلى المنهج التاريخي، وذلك في معرض حديثه عن الأصول التكوينية للنبوية، واحتاج إلى منهج آخر وهو الوصفي التحليلي، وذلك من خلال عرضه لأهمّ القضايا النبوية والنماذج العربية الناقدة أو التابعة للنبوية، وقد ارتكز على منهج يشملهم جميعا وهو المنهج التعليمي، وذلك لتحقيق الغاية التعليمية والتربوية من خلال كتابه.

ج- من حيث الغاية (الهدف):

ذكرنا سابقا أنّ غالبية الكتابات اللسانية التمهيدية تنبئ غاية موحدة هي الغاية التعليمية؛ أي تقريب اللسانيات للقارئ العربي، فما الغاية التي ينشدها المسدي من خلال كتاباته التمهيدية؟

يصرّح (المسدي) في مقدّمته كتابه (قضية النبوية) بغاية ذاتية تتمثل في الرغبة التأليفية، وهي ما يشبه الطموح في تحقيق المكاسب العلمية، حيث يقول: "هذا كتاب وضعناه لنسجل به موقفا حول قضية فكرية هي من أبرز ما عرف عصرنا من القضايا"²، فالرغبة في دخول التاريخ وتسجيل المواقف العلمية، هي من أكثر الغايات التي يتحاشى الكتاب ذكرها في مقدّماتهم، ولكن (المسدي) ذكرها بكل موضوعية، والهدف من ذلك إشعار القارئ بأهمية هذا التوجّه العلمي، والأمر الذي تجب الإشارة إليه، أنّ قضية النبوية مطروحة بكثرة منذ ظهورها إلى يومنا هذا، والسبب في ذلك يكمن في قوّة الطرح الفكري الذي تضمّنته، حيث غيرت النبوية العديد من التصوّرات

1- عبد السلام المسدي، قضية النبوية دراسة ومناهج، ص5.

2- المرجع نفسه، ص4.

القديمة واثرت على الفكر التاريخي، ومارست شبه قطيعة ضده، ولا تتوقف غاية (المسدي) عند هذا الحد؛ بل يصرّ على غاية إفادة القارئ وتزويده بالمعارف المبسّطة عن طريق الاقتناع وبعيدا عن كلّ إكراه "فلعلنا بهذا الأسلوب من التصنيف نحقق -أيها القارئ الكريم- غايتنا الأساسية وهي الإدلاء بشهادة مزدوجة ثمّ استدعاؤك إلى جولة فكرية بين منعطفات قصّة النبيوة عسى أن تتوسّل بما نقدمه إلى صيغة موقف تشاطرنا به الرأي أو تتجاوزنا فيه"¹.

وقد ظهرت الغاية التعليميّة واضحة في كتاب (اللسانيات وأسسها المعرفيّة) حين أكّد (المسدي) على "تقديم المضامين اللسانية لمن لم تطل عشرته لهذا العلم المتنامي"²، ويقصد هنا طلاب الجامعات المبتدئين، أو القراء الذين يجدون صعوبات في تمثّل النبيوة، كما أشار (المسدي) إلى غاية جليّة يحتاجها كلّ قارئ وهي الغاية التأسيليّة وذلك عن طريق "البحث عن الأصول الأوليّة: من دعائم ذهنيّة، وضوابط منهجيّة، ومصادر استدلالية..."³، من خلال ما سبق نخلص إلى أنّ (المسدي) يركّز في كتاباته التمهيدية على الغاية التعليميّة، لكونها أسمى الغايات في اللسانيات التمهيدية، لكنّه يركّز على غايات أخرى، مثل الغاية التاريخيّة، والغاية التأسيليّة، كلّ هذه الغايات وُظّفت لغاية واحدة وهي نشر المعرفة اللسانية في أوساط القراء العرب.

2- بنية الخطاب اللساني التمهيدي عند عبد السلام المسدي:

تشكّل الكتابات اللسانية التمهيدية عند (المسدي) بنية لسانيّة متكاملة يحكمها الانسجام، وتتمظهر عملية الانسجام انطلاقا من العناوين مرورا بالمقدّمة ثمّ لغة الخطاب وغيرها، حيث تشكّل هذه الجوانب وغيرها أساس البحث، وتكمن أهميّة

1 - عبد السلام المسدي، قضية النبيوة دراسة ومناهج، ص7.

2 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص5.

3- المرجع نفسه، ص5.

هذين العنصرين (العنوان والمقدمة) في كونهما أول العناصر التي يتحاور معها المتلقي، فتثير فيه نوعاً من الفضول العلمي والمعرفي والإغراء، وإليهما تسند مهمة نجاح الكتاب في إثارة القارئ بقراءته وتداوله أو النفور منه¹، ومن هنا نتساءل: كيف وظف (المسدي) العناوين والمقدمات في التأثير على القارئ؟

أ-العنوان:

للعنوان أهمية كبيرة في نجاح الكتب والمؤلفات، كما أنه الرابط الأول بين الكتاب والقارئ، ولا شك أن (المسدي) يدرك هذه الأهمية، والحقيقة أن العناوين التمهيدية تختلف من مؤلف لآخر، فنجد من الكتاب من يعتمد على عنوان رئيسي فقط، ومنهم من يعتمد على العنوان الرئيسي والفرعي، فالمسدي مثلاً يزوج بين الأمرين والجدول التالي يوضح ذلك:

المؤلف	العنوان الرئيس	العنوان الفرعي
01	اللسانيات وأسسها المعرفية	/
02	قضية البنيوية	دراسة ومناهج

تتشترك هذه العناوين في أنها جدد مختصرة، فهي لا تحتوي كلمات غامضة ولا مصطلحات مستعصية، لذلك نجد أن (المسدي) استعمل الوظيفة التواصلية بينه وبين القارئ، فلا يوجد حاجز بين مقصدية الكاتب وفهم القارئ، فالعنوان يطبق مفهوم الاقتصاد اللغوي، الذي يعني قلّة الدوال مع وفرة المردود المعنوي، وإذا لاحظنا العنوان الأول، نجد الكاتب يعتمد على مصطلح واضح هو (اللسانيات) مما يؤكد الوظيفة التواصلية، ويضيف مدلولين هاميين (الأسس المعرفية) أي المبادئ التي تقوم عليها اللسانيات، فكل قارئ يبحث عن الأصول والحفريات التي تكوّن منها العلم،

1- حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، ص 99-100.

يجد ضالته وتلك المبادئ تقوده إلى الفهم، لذلك يركّز (المسدي) في كتابه على الأسس والمبادئ العلميّة، لغاية واضحة وهي نشر الثقافة اللسانية عند القارئ العربيّ، وهنا تتبدّى الغاية التعليميّة، كما نجد (المسدي) يستعمل الوظيفة المرجعيّة لأنّ العنوان يربط القارئ بموضوع الكتاب الذي هو اللسانيات.

أمّا العنوان الثاني (قضية البنيويّة) فمن خلاله نعتقد أنّ الكاتب يحاول جذب القارئ عبر توظيف كلمة (قضيّة) فعادة ما ترمز إلى شيء مهمّ وخطير في الوقت نفسه، كأنّها قضية مشكلة، أو إشكاليّة فلسفيّة، قد تحمل الكثير من الصّعوبة والتشعب، ومن هنا فالكاتب استعمل الوظيفة التأثيرية ليثير فضول القارئ، ثمّ أضاف لها مصطلح (بنيوية) وهو غنيّ عن التعريف، حيث يجد فيه الطلاب صعوبة في الفهم والتمثّل، لذلك نجد (المسدي) يضيف عنوانا ثانويا ليوجه الدّراسة إلى مفصلين هامّين في الكتاب هما: (الدّراسة والنماذج) ويعني مصطلح (دراسة) حسب ما جاء في الكتاب، أنّ الكاتب سلّط الضوء على الجوانب النظريّة لنشوء البنيويّة، ثمّ أعطى نماذج من تأثر العرب بها، وقد بيّن في المقدّمة الأسس المستخدمة في اختيار النماذج.

من خلال ما سبق طرحه نخلص أنّ (عبد السلام المسدي) قد وفّق إلى حدّ كبير في اختياره لعناوين دراسات التمهيدية، إضافة إلى أنّ العناوين تحيل إلى الموضوع بدقّة متناهية.

ب- المقدّمة:

استهلّ (المسدي) كتابه (اللسانيات وأسسها المعرفيّة) بمقدّمة موجزة، بدأها بالتتويه بأهميّة اللسانيات ودورها القياديّ في العلوم، ودعا إلى ضرورة التحدّث عن منزلتها ومكانتها حيث يرى "أنّ لعلم اللسان خطرا جليلا في المعارف الإنسانية قاطبة...ومن فضول القول لدى ذوي العلم والرّجحان أن يتحدّث المرء اليوم عن منزلة اللسانيات ووجاهة شأنها، فلو فعل لكان شأنه لديهم شأن من ينوّه بالرياضيات

الحديثة بين أهل العلوم الدقيقة، أو شأن من يمتدح قيمة التحاليل العضوية وكشوف الأشعة في حقل العلوم الطبية¹.

لقد أشاد (المسدي) باللسانيات وبقيمتها مقارنة بالعلوم الإنسانية والعلوم الدقيقة، وذلك تأكيد على علمية اللسانيات ودقة منهجها وسلامة طرحها، وهذا الوصف ينطبق على اللسانيات في البيئة الغربية، أما اللسانيات في الثقافة العربية، فهي غير ذلك تماما، وهذا ما عبّر عنه الكاتب بقوله: "والأمر عندنا على غير مجراه، والأسباب متكاثرة متضافرة، وللقارئ الكريم صورة لها يلتبسها في مدخل هذا الكتاب وقد آثرنا أن يكون تبصرة بواقع البحث اللساني في الوطن العربي²، فاللسانيات حسب (المسدي) تعاني أزمة حادة في الثقافة العربية، وقد حاول الكاتب جعل القارئ في صورة الحدث العلمي، وذلك بإطلاعه على الواقع دون تزييف، أملاً منه في تغيير صورة اللسانيات في العقل العربي، ولقد أشار الكاتب إلى المنهج المعتمد-كما أشرنا سابقا- الذي زوج فيه بين المنهج التاريخي والمنهج التعليمي، ولم تخل المقدمة من التأثير على القارئ، فالمسدي حاول جذب القارئ إلى قراءة كتابه، والاستفادة منه في مسيرته العلمية.

أما مقدمة المؤلف الثاني (قضية البنيوية) فنجد (المسدي) استهل كتابه بمقدمة مطولة، تحدّث فيها عن أهمية الخوض في غمار التأليف، ثم أطلع المؤلف القارئ على خطة كتابه والتي تنطلق من فكرة الفصل "بين ركنين كان من حقهما أن يتمازجا وهما ركن الدراسة وركن النماذج، ولكننا آثرنا فصلهما لتحقيق جملة من الغايات المبدئية والمنهجية والبيداغوجية"³. إنّ الشيء الذي لاحظناه على هذه المقدمة أنّ (المسدي) قد فصل للقارئ تفصيلا دقيقا الخطة المعتمدة في الكتاب

1- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص7.

2- المرجع نفسه، ص7.

3- عبد السلام المسدي، قضية البنيوية دراسة ومناهج، ص4.

وتقسيمات الفصول والأبواب، كما ذكر المنهج المتبع في مؤلفه، وعلى العموم يمكن أن نخلص أنّ (المسدي) في المقدمة الأولى والثانية استطاع جذب المتلقي إلى قراءة مؤلفه، فأسلوبه في هيكلة المقدمة مألوف لدى القارئ، ولكن الخلل الذي سجّلناه يكمن في طول المقدمة الثانية، فالقارئ قد يشعر بالملل وينفر من قراءة الكتاب.

3- لغة الخطاب اللساني التمهيدي عند عبد السلام المسدي:

إذا كان الخطاب اللساني التمهيدي موجّها للقارئ العربي المبتدئ، فإنّ غايته الأسمى تعليمه وإفادته وتمكينه من فهم اللسانيات الغربية، لذلك وتأكيدا على هذه الغاية يجب أن تكون لغة الخطاب سهلة وواضحة، إضافة إلى موضوعيتها واقتصادها للكلمات والمعاني، ومن هذا المنطلق: هل احتوت اللغة الخطابية لعبد السلام المسدي على هذه الخصائص؟

أ-الوضوح:

يستعمل (المسدي) في كتاباته اللسانية التمهيدية لغة سهلة وواضحة، كما أنّه يبتعد عن الغموض الذي يجعل القارئ في حيرة من أمره، فلغة (المسدي) لغة علمية غنية بمصطلحات العلم الذي يروم نشره، بعيدة عن كلّ تكلف وأدبية، ومن بين المصطلحات الأكثر حضورا في لغته الخطابية نذكر: (اللسانيات، اللّهجات، التصنيف، علم اللسان، الكلام، الإزدواج اللساني، النبوية، التيسير، النسق، التناظر، البنية...) كما أنّ الكاتب يعتمد التعريف اللسانية المشهورة كتعريف اللغة وتعريف العلامة "اعتبار اللغة مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكوّنة لرصيد اللغة ذاتها، وعندئذ نستطيع أيضا ما دأب عليه اللسانيون من تعريف العلامة بأنّها تشكّل لا يستمد قيمته ولا دلالاته من ذاته وإنّما يستمدّها من طبيعة العلاقات لقائمة بينه وبين سائر العلامات الأخرى"¹، ولقد استعمل (المسدي) طرقا

1 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص30.

كثيرة لتوضيح المعلومة من بينها التأصيل، وهذا ما جاء في شرح لمصطلح البنيوية، فنجد (المسدي) يعود إلى مصطلح البنية ليحقق الفهم للقارئ، وفي هذا الإطار يقول: "على أننا إذا حاولنا فضّ هذا الإشكال المبدئيّ فإنّه لا يتبادر لنا من تفسير إلاّ بالعودة إلى تفكيك مفهوم البنية في ارتباطها باللّغة"¹، كما أنّ (المسدي) يستعمل التدرّج في الطّرح وهو في الحقيقة وسيلة من وسائل العمليّة التعليميّة، فنجد في شرحه للبنيويّة ينطلق من أبعاد دقيقة ومتسلسلة، منها البعد التكوينيّ ثمّ البعد المنهجيّ ثمّ البعد الفلسفي... وهكذا، فهذه الطّريقة في التقسيم تضي على الكتاب جانبا من الوضوح والسّلاسة.

ب-الاقتصاد (الإيجاز):

يعتمد (المسدي) طريقة موجزة في سرد المادّة العلميّة في كتاباته اللّسانيّة التّمهيدية، فهو لا يميل إلى الإطناب والإكثار، وهذا ما لاحظناه على أعماله التّمهيدية التي في عمومها أعمال متوسطة وصغيرة الحجم، فيتراوح عدد صفحات ما بين 164 صفحة و 248 صفحة في المؤلّف الثاني، وهو معقول خاصّة إذا قارناه ببعض المؤلّفات التّمهيدية التي يجاوز عدد صفحاتها 450 صفحة، ويلاحظ على (المسدي) عدم طرحه الأفكار الهامشيّة التي تبتعد بالموضوع عن غايته العلميّة، فالمسدي ملتزم بموضوعاته، فلا تكاد ترى في أعماله تداخلا أو خلطا من ناحية التخصّصات، فمثلا لا يطرح موضوع النهوض باللّغة العربيّة في معرض حديثه عن اللّسانيات العامّة.

ويستخدم (المسدي) طريقة التلخيص عقب كلّ فصل، وهي من الطرق الاقتصادية التي تسهّل على القارئ فهم العلوم، كما يستعمل طريقة التلخيص باستعمال ما يشبه المعادلات الرياضيّة أو العمليات الحسابية وهذا مثال على ذلك:

1 - عبد السلام المسدي، قضية البنيوية دراسة ومناهج، ص 19.

"وبوسعنا الآن أن ننقل هذه الصيرورة الجدلية إلى سلسلة من المعادلات التحويلية تكون:

صورة X قناة حسية = تشكّل.

شكل X مواضعة = علامة.

علامات X علائق = بنية.

بنى X تنضيد = نظام.

أنظمة X نسق = جهاز.

جهاز X وظيفة = مؤسّسة.

مؤسّسة X عقد جماعي = مؤسّسة اجتماعية¹.

كما يحاول (المسدي) في بداية كلّ فصل تلخيص الفصل الذي سبقه ومثال ذلك "لقد سبق أن تطرّقنا عرضاً في الفصل الثاني إلى أنّ اللسانيات....وقادنا الفصل الثالث إلى مبحث الأنساق الدلالية وانتهى بنا إلى الفصل بين الأنماط..."²، ومما سبق ذكره نستنتج أنّ (المسدي) يحاول إيصال رسالة تعليمية للقارئ العربيّ، بعيداً عن كلّ حشو وتضليل لا فائدة منه، وهي من افضل الطرق للوصول إلى عقل القارئ.

ج- الانتظام:

تبدو أفكار (المسدي) من خلال كتاباته التمهيدية واضحة ومتماسكة؛ لأنّ الكاتب جزأ الموضوع العام إلى مواضيع فرعية، حيث يمثّل كلّ منها جانباً من جوانب الموضوع العامّ، كما أنّ المواضيع الجزئية تتميز بميزة التدرّج والتسلسل، فإذا لاحظنا كتابه (اللسانيات وأسسها المعرفية) فنلاحظ بأنّ عناوين الفصول متشابهة ومتقاربة، حيث لها علاقة بنائية، فالموضوع الأوّل يخدم الثاني وهكذا، وهذا مثال

1- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص35.

2- المرجع نفسه، ص61.

على ذلك (في موضوع العلم/ في بنية العلم/ في حدّ العلم/ في مادة العلم/ في منهج العلم...) فيبدو الكتاب سلسلة من المعلومات المتقاربة، وقد يكون هدف التقسيم تربويا وتعليميا بالدرجة الأولى، وهو كسر الرتابة والملل الذي قد يعاني منه القارئ، كما تبدو فقرات كتاباته اللسانية قصيرة ومنسجمة ومتراطة مع التي قبلها ومع التي تليها، ليستطيع القارئ فهمها بسهولة ويسر.

د-الموضوعية:

تظهر موضوعية الكاتب من خلال غياب الحضور الذاتي له في كتاباته، أو غياب شخصيته العاطفية وميوله الإيديولوجية، وإذا اعتبرنا الخطاب اللساني التمهيدي خطابا تعليميا بالدرجة الأولى؛ فمن المفروض أن يبتعد عن النقاشات الفكرية التي لها علاقة بالأصالة المعاصرة، أو الإعجاب بالتراث العربي وغيرها، فبالنسبة للمسدي فيظهر من خلال كتاباته التمهيدية موضوعيا وحياديا بدرجة كبيرة، ولعلّ الفصل الأول من كتابه الذي ينقد فيه الواقع العربي بكلّ حيادية، فهو لم يخف ما تعاني منه اللسانيات من أزمة في الثقافة العربية، حيث يلاحظ "باستغراب وحيرة تخلف ركب الفكر العربي في حلبة علوم اللسان، وقد كان يهون أن نبقى مقصرين في ميدان وضع النظريات اللسانية وابتكار المناهج الاختبارية فيها لو أننا على الأقلّ قد نشطنا إلى توفير الثقافة اللسانية في جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية"¹، كما أنّ (المسدي) يبتعد كثيرا عن لعبة الإقصاء، فلا نراه ينتقص من أعمال اللسانيين الذين يشاطرونه الميدان نفسه، كما أنّه لا يصدر أحكاما دون دليل، ولعلّ هذا دليل كاف على موضوعيته.

1- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص11.

4- القضايا اللسانية في كتاب اللسانيات وأسسها المعرفية:

أ- في موضوع العلم: حدّ اللغة بين المعيار والاستعمال:

ينطلق (المسدي) في هذا الفصل من تحديد الموضوع الأصلي للسانيات حيث يرى بأنّ "اللسانيات علم موضوعه اللغة"¹، ويلاحظ على (عبد السلام المسدي) تفريقه بين حدّ العلم وموضوعه، فموضوع العلم يستغني عن حدّ العلم، لكن حدّ العلم لا يمكنه الاستغناء عن موضوع العلم، وتأويل ذلك في نظره، أنّ علم اللغة يتعيّن في حقّه أن يعرّف الظاهرة اللغوية أكثر ممّا يلزم عليها أن تعرّف نفسها، ذلك أنّ تعيينها للواقع اللغويّ هو الذي يمنح لذوي الفكر المعرفيّ المادّة التي منها يستنبطون منها تحديدهم لعلم اللسانيات من موقع النّقد التّأليفي².

وقد حاول (المسدي) إجراء شبه مقارنة بين تعريف القدماء للغة، وتعريف المحدثين لها، ويكون الضابط في ذلك هو المعيار أو الاستعمال، فعلماء اللغة الأوائل نظروا إلى اللغة نظرة التقديس، فهي عندهم مبدأ كلّ تفكير، فتكون القواعد هي المبدأ، بينما يكون الاستعمال جزءاً منه، فهو أساس من أسس التقدير والاعتبار³، لذلك قام علماء اللغة القدماء بسنّ قواعد ومعايير تضبط الاستعمال، وتحافظ على اللغة، فليس الغرض من دراستهم تناول اللغة كما هي، بل كما يجب أن تكون، لذلك سمّيت مرحلتهم بالمعيارية.

غير أنّ اللسانيات الحديثة حسب (المسدي) لها نظرة مغايرة للغة، فإذا كان القدماء ينطلقون في تعريفها من حيث هي رموز وأصوات غرضها التواصل، فإنّ المحدثين ينطلقون في تعريفها من مفهوم العلامة، حيث ينطلق تعريفهم للسانيات "من اعتبار اللغة مجموعة من العلاقات الثنائية القائمة بين جملة العلامات المكوّنة

1 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 23.

2 - المرجع نفسه، ص 24.

3 - المرجع نفسه، ص 29.

لرصيد اللّغة ذاتها¹، ويتحدّد عمل اللّسانيّ من خلال وصف العلامة داخل النّسق الذي ترد فيه، ويستتبط القوانين التي تحكم النّسق الدّاخليّ وتحدّد وظيفة كلّ علامة. وتعرّف اللّغة أيضا من خلال وظيفتها، فهي جهاز من خلاله يستطيع النّاس التواصل فيما بينهم، ومهما تعدّدت التعاريف اللّغويّة، فالذي يهمّ أنّ اللّسانيات كعلم حديث، لا يهتمّ تعريف اللّغة، بقدر ما يهتمّ طريقة دراستها وتحليلها، فاللّسانيات جاءت بطريقة مستحدثة لدراسة اللّغة، تختلف عن غيرها من الدّراسات القديمة.

ب- في بنية العلم: الأنساق الدّالية:

ينطلق (المسدي) في هذا المبحث من حقيقة بارزة، مفادها أنّ نشوء الدلالة له علاقة وثيقة بما يحدث داخل الكون من ظواهر، حيث تنشأ الدلالة عن طريق فهم الإنسان وتفسيره لهذه الظواهر الكونيّة، فالدلالة "في ذاتها ظاهرة مركّبة فيها فعل الإدلاء بالدّلالة وفيها فاعل ذلك الفعل وفيها متلقّيه"²، وقد قسم المسدي الدلالة إلى ثلاثة أصناف:

• الدلالة الطبيعيّة:

وهي الدلالة التي يقرن فيها العقل حقيقة ظاهرة بحقيقة غائبة متخذا من الأولى دليلا يستدل به على الثانيّة، وسند الاقتران هو ما يعرفه العقل من طبائع الأمور، فتكون بذلك علاقة الدّال والمدلول علاقة السبب بنتيجته والعلّة بمعلولها، وقد مثّل (المسدي) لذلك من خلال ما يطراً في الجوّ، "فإذا رأى السماء وقد تلبّدت سحباً تسنّى له القول إنّ عارضا سيمطر...ومن هذا النّمط ما يعتري جسم الإنسان من ملامح يستدلّ بها الناظر على أعراض صحيّة قد يربطها بأسبابها الطبيعيّة كأن يلجظ شحوبا أو كدرة أو اصفرار بشرة أو هزالا فيربط بين ما لاجظه وما هو علة طبيعيّة

1 - عبد السلام المسدي، اللّسانيات وأسسها المعرفيّة، ص30.

2 - المرجع نفسه، ص45.

له¹، ومن هنا فالدلالة الطبيعية هي "التي يعتمد في إدراكها على علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه... كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الوجل"².

• **الدلالة المنطقية:**

يعدّ هذا الصنف أعمق من الصنف الأول لأنّ فيها "يتحول الفكر من الحقائق الحاضرة إلى حقيقة غائبة عن طريق المسالك العقلية بمختلف أنواعها..."³، ومن المسالك المعتمد في ذلك، اعتماد الفلاسفة على المنطق، الذي يقودهم إلى فهم الأمور والظواهر، وتحديد معناها ودلالاتها، وقد حصر (المسدي) نماذج الانتقال من الحاضر المعلوم إلى الغائب المجهول في ثلاثة مسالك هي:

• **-مسلك البرهان القاطع:** وهو الذي يتقيد بقيود المنطق العقلي الأول وكل مستنداته مستمدة في أصلها من بدائه العقل ومسلّمات الحس ومصادرات العقل.

• **-مسلك القرائن الراجعة:** وهو الذي قلّما يفضي إلى يقين قاطع وإنّما قصارى أمره أن يفضي إلى تسليم ظنيّ ولذلك نصطلح عليه بمسلك الرجحان.

• **-مسلك الاستدلال الرياضي:** وفيه يتوخّى العقل سبيل ما صادر عليه أو افترضه ليبتّئذه مدرجا يرتقي به من المعلوم فرضا إلى المجهول تقديرا⁴. ويظهر ممّا سبق أنّ الدلالة المنطقية تقود إلى نظام صوري يظلّ دوما نظاما سببيا سواء أتوخينا فيه مسالك العقل الخالص أم مسلك التوليد الرياضي، كما أنّها نتيجة جهد عقليّ محض، لذلك تكتسي صبغة فردانية، تختلف من شخص لآخر.

1 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 45-46.

2 - عبد الجليل منقور، علم الدلالة، أصول ومباحث في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دط، دمشق، 2001م، ص 66.

3 - عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 47.

4 - المرجع نفسه، ص 50-51.

• الدلالة العرفية:

يرى (المسدي) أنّ هذا النوع من الدلالة يختلف عن دلالتين السابقتين حيث "لا يتسنى للعقل البشريّ من تلقاء مكوّناته الفطريّة ولا الثقافيّة أن يهتدي إلى إدراك فعل الدلالة إلّا إذا ألمّ سلفا بمفاتيح الربط بين ما هو دال وما هو مدلول، وهذا الإلمام ليس بفعل الطبيعة ولا هو من مقوّمات العقل الخالص، ولكنه من المواضع التي يصطنعها الإنسان إمّا بإعمال الرويّة أو باتّفاق السلوك"¹، ومن هذا المنطلق تكون الدلالة العرفيّة اعتباريّة، إذ لا علاقة حسيّة أو منطقيّة بين الدال والمدلول وفي هذا الصدد يرى (المسدي) "أنّ الاقتران بين الدال والمدلول في الأنظمة العرفيّة-واللغة أحدها- ليس اقترانا سببيا إذ لا توجد قرينة عليّة بين العلامة وما وضعت دليلا عليه، وإنّما تنشأ السببية من عامل خارجي هو فعل الاصطلاح أي التواضع"²، إنّ تفريق المسدي بين أنواع الدلالة وإطاء تفسير لكلّ نوع، إنّما هو تصنيف منهجيّ وتعليميّ، ذلك أنّ الإنسان في إدراكه للدلالة لا يفرّق بين الدلالة العرفيّة ولا الطبيعيّة ولا المنطقيّة، فهو يدركها كلّا منسجما، وبسهولة تامّة تعكس الطابع الاجتماعيّ للدلالة.

ثانيا: الخطاب اللسانيّ التراثيّ عند عبد السلام المسدي:

خلف علماء العرب القدماء إرثا لغويا كبيرا وزاخرا، وهو عبارة عن رصيد وخرّان لغويّ متنوّع المشارب، وإذا كان من واجب كلّ أمة -كما هو معلوم- الافتخار والاعتزاز بموروثها الثقافيّ واللغويّ، حقّ للعرب الافتخار بتراثهم وموروثاتهم لأنّها مرتبطة أصلا بقضايا الهوية والأصالة، وبعد دخول اللسانيات إلى الثقافة اللغويّة العربيّة حاول اللسانيّون العرب المحدثون الرّجوع إلى تراثهم اللغويّ على ضوء ما تقدّمه اللسانيات الحديثة من مبادئ وأسس، محاولين إعادة قراءة النصّ التراثيّ وإقامة

1- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ص52.

2- المرجع نفسه، ص52.

جسور بينه وبين الدرس اللساني الحديث، ولقد اهتم العديد من اللسانيين العرب بهذا الصنف من الكتابة على غرار (تمام حسان، وعبد الرحمن حاج صالح ونهاد الموسى وعبد السلام المسدي...) هذا الأخير الذي سنتناول تجربته في هذا المجال مسلطين الضوء على أهم خصائص كتابته التراثية، ومن هنا نتساءل: ما تعريف لسانيات التراث؟

1- تعريف الخطاب اللساني التراثي:

يُعرفُ هذا الصنف من الكتابة بالكتابة اللسانية القرائية أو لسانيات التراث، ويتخذ هذا الصنف من الكتابة اللسانية "التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراسته المتنوعة، أما المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة فهو ما يُعرف عادة بمنهج القراءة أو إعادة القراءة، ومن غايات لسانيات التراث وأهدافها قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة وتأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث والتوفيق بين نتائج الفكر اللغوي القديم والنظريات اللسانية الحديثة، وبالتالي إخراجها في حلة جديدة تبيّن قيمتها التاريخية والحضارية"¹. فالغاية الرئيسة للخطاب التراثي هي إجراء مقارنات بين التراث العربي والدرس اللساني العربي، بهدف الكشف عن نقاط التوافق والاختلاف بينهما، وبالتالي تأكيد أصالة الفكر اللغوي العربي وتمييزه.

ولقد سعى كثير من اللسانيين العرب المتمسكين بأصالة التراث اللغوي العربي، المصرين على ضرورة الرجوع إليه؛ إلى ضرورة حلّ أزمة التراث والحداثة وفي هذا الصدد يقول مازن الوعر: "إنّ حلّ مشكلة أزمة التراث والحداثة، متعلّق بفهمنا للمنهج الفكري والفلسفي اللغوي الذي أخذ به العرب القدامى، في دراساتهم اللغوية، ولا يمكننا فهم ذلك المنهج فهما موضوعيا وعلميا عادلا إلا إذا جنّدنا أنفسنا تجنيد الرهبان،

1 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص92.

لسبر هذا التراث الضخم المبعثر، فإذا استطعنا إعادة صياغة هذا المنهج الفكري الفلسفي اللغوي العربي القديم صياغة علمية مضبوطة، فإنه يمكننا بعدها أن نفتح نوافذ ثقافتنا العربية المعاصرة على المناهج اللسانية الغربية¹، ومن هنا فالإشكال الموجود في التراث العربي هو صعوبة الإحاطة به وتمثله وتصنيفه، بل وفهمه في بعض الأحيان، ولذلك جاء دور لسانيات التراث لتسهيل اتصال العلوم اللغوية الحديثة بالعلوم القديمة عن طريق "مقارنة المناهج اللغوية القديمة بالمناهج اللسانية الحديثة، ثم فهم المشكلة فهما علميا وموضوعيا نستطيع من خلاله أن نكبح جماحها وأن نتغلب عليها ونحولها إلى تحليل لساني وعلمي بين القديم وبين الحديث وذلك من أجل تطوير لساني أفضل وأنجع في الدراسات اللسانية المعاصرة"².

إنّ ما يمكن استخلاصه أنّ لسانيات التراث هي خطاب لساني هدفه إعادة قراءة خطاب قديم من أجل إحيائه، وتمكينه من مواجهة الزخم الكبير الذي تشهده الساحة اللسانية في العصر الحديث.

2- تحليل الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي:

اهتمّ اللسانيون العرب بالتراث اللغوي القديم اهتماما كبيرا والمقصود بالتراث "كلّ ما خلفه الأسلاف من أعمال لغوية، سواء أكانت من صنيع النحاة أنفسهم، أم من صنيع علماء الأصول والفلسفة والكلام فضلا عن مقدّمة ابن خلدون"³، ويعتبر (عبد السلام المسدي) من اللسانيين الذي حاولوا قراءة التراث اللغوي العربي من خلال العديد من المؤلّفات ومن هنا نتساءل: ما المنهج الذي اعتمده في كتاباته؟ وما الغايات المتوخاة منها؟

1- مازن الوعر، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص356.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3 - هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص204.

لقد قام (عبد السلام المسدي) بالتحقيق في التراث اللغوي العربي، حيث فحص واختار أهم المواضيع التي يرى أنه يمكن توفيقها مع اللسانيات الحديثة، ويُعدّ كتاب **التفكير اللساني في الحضارة العربية (1986)** أول عمل تراثي يقدمه (المسدي) حيث عالج من خلاله الكاتب مواضيع عديدة مثل: الإنسان واللغة، المواضعة، مقومات الكلام، ولقد احتوى كل فصل على ست مسائل مهّد لها بفصلين من التراث اللغوي العربي، ولقد استهل (المسدي) مؤلفه بمدخل بين فيه حوافز البحث وغايته، ثم أنهى كتابه بخاتمة وهي عبارة عن خلاصة لما انتهى إليه في بحثه، لقد حاول الكاتب من خلال مؤلفه تمجيد التراث اللغوي العربي وبيان أسبقيته على الدرس اللساني ومكانته المرموقة.

وبعد هذا العمل قدّم (المسدي) مؤلفاً ثانياً يعالج فيه المسألة نفسها، وهو كتاب **مباحث تأسيسية في اللسانيات (2010)** ولقد احتوى العديد من الفصول التي تناول فيها الكاتب مسألة: اللغة والمعرفة العلمية، المعرفة اللغوية والتراث الإنساني، اللسانيات والتراث العربي وغيرها من الفصول.

يشترك المؤلفان في البرهنة على تميز الفكر اللغوي العربي باختلاف توجهاته، وضرورة قراءته وتمجيده.

أ- من حيث الموضوع:

يدور الخطاب اللساني التراثي عند (عبد السلام المسدي) حول فكرة واحدة وتتمثل في الجمع بين التراث اللغوي العربي والتفكير اللساني الغربي الحديث، فقد سعى إلى التوفيق بينهما، وذلك بتقديمه العديد من الأفكار التي تثبت العلاقة الوطيدة بينها بل وأسبقية التراث اللغوي العربي على نظيره الغربي، حيث يقول في هذا الشأن: "وفي مقولة التراث عموماً ينتزّل بحثنا عن النظرية اللغوية عند العرب، لا من حيث هي تقنيات نحوية وصرفية وبلاغية ومعجمية، وإنما من حيث هي تنظير

للمظاهرة اللسانية عموماً¹، يظهر من خلال هذه المقولة وغيرها أنّ موضوع الدراسة التي قدّمها (المسدي) هي التراث اللغويّ العربيّ، حيث تتمحور هذه الدراسة حول تقديم قراءة واعية للتراث اللغويّ العربيّ على ضوء ما جاء في اللسانيات الحديثة، ولقد شاع هذا النوع من الدراسات اللسانية وتتنوع أصنافه حسب غاية اللسانيين العرب، لذلك نجد (مصطفى غلفان) يقسمّ القراءات التراثية إلى ثلاثة أصناف أساسية:

• قراءة شمولية:

تدور حول الموروث اللغويّ العربيّ في كليته وشموليته بافتراضه أفكاراً ومناهج تحليل عامّة في مقارنة اللغة العربية وما يتعلّق بها من مباحث²، أي أنّ القارئ في تناوله للمسائل اللغوية يدرسها بصفة عامّة، من نحو وصرف ودلالة وبلاغة، بل وقد يتعدّها إلى علوم غير لغوية مثل علوم الدين كالفقه وعلم التجويد.

• قراءة قطاعية:

تدور حول ميدان محدّد من التراث اللغويّ العربيّ كأن يدرس المستوى النحوي أو الصرفي أو الدلالي على أنّها مستويات تحليل تكوّن في حدّ ذاتها نظرية واضحة المعالم تتأسس على أسس منهجية خاصّة بها³.

• قراءة النموذج الواحد:

تتمحور حول علم لغويّ قديم بتحليل فكره اللغويّ وطريقة تصوّره وطريقة معالجتها لمباحث اللغة العربية في ميدان من ما يدين البحث اللغوي⁴. وإذا حاولنا تطبيق هذا التقسيم على الأعمال التراثية لعبد السلام المسديّ، فبإمكاننا القول بأنّ

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص33.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص136.

3- المرجع نفسه، ص136.

4- المرجع نفسه، ص137.

الكاتب تطرّق لموضوع أساس وهو القراءة الشمولية للتراث اللغوي العربي، حيث يقول في هذا الصدد: "إنّ فحصنا لمادة التراث العربي قائم على اعتباره كلا لا يتجزأ زمانياً بقدر ما يتجزأ مضموناً وقضايا، فهو بالنسبة إلينا مادة متجمعة متراكمة في لحظة فحصه وكشف خباياه... أما ونحن بصدد إثبات هذه الشرعية باعتزامنا إبراز نصيب الحضارة العربية من إثراء الفكر اللساني عبر الحضارات"¹، وقد أثبت الكاتب نيته في قراءة شمولية للتراث اللغوي العربي بل والتراث الإنساني بصفة عامّة، ويعتقد بأنّ التراث رسالة محقّقة وموجودة بالقوة يجب قراءتها لإثبات ديمومتها فيرى بأنّ قراءة التراث الإنساني طريقة لا ينقصها التأسيس المعرفي في حدّ ذاته، فكلّ قراءة هي تحليل لرسالة قائمة بذاتها، وما التراث إلّا كيان لغوي محقّق بذاته بعده نصاً، وإعادة قراءته تحديث لتحليل رسالته عبر التاريخ، وهي بذلك تحقيق لسيرورة وجوده"².

إنّ هذا المنطلق يدلّ على أنّ (المسدي) يستند في أعماله إلى إخضاع التراث اللغوي العربي بأكمله إلى مقولات اللسانيات الحديثة في شقّها البنويّ أو التوليديّ، أو في طرحها المنهجيّ والفلسفيّ، على شكل مقارنة نظريّة عامّة ونبش في التراث اللغويّ العربيّ لإثبات التكامل والتوافق.

ب- من حيث المنهج:

تعدّ دراسة التراث وربطه بالفكر اللغويّ الحديث مهمّة صعبة ودقيقة، لأنّ التراث العربيّ بصفة عامّة والتراث اللغويّ بصفة خاصّة؛ يتميّز بالضخامة العلميّة وتعدّد التوجّهات، فمهموم الباحث اللغويّ ترتكز على ركيزتين، الركيزة الأولى جمع التراث وتنقيحه وتصنيفه، والركيزة الثانية محاولة تفسيره وإحيائه وربطه باللسانيات الحديثة، ويرى (مصطفى غلفان) أنّ معظم الكتابات اللسانية العربية المهتمّة بقراءة

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص39.

2- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص20.

التراث اللغوي العربي؛ لا تقدّم بوضوح المنهج المتبع في عملية القراءة، وهذا يعتبر قصورا نظريا تعاني منه العديد من الكتابات العربية حيث يقول: "والواقع أنّ الكتابات المندرجة في إطار لسانيات التراث لا تقدّم أي تصوّر للمنهج المتبع في القراءة، بل إنّ لكلّ باحث طريقته وأدواته التي يسير عليها في قراءته للتراث اللغوي العربي القديم في ضوء اللسانيات الحديثة"¹، ولكن ومن خلال تصفّح وقراءة الأعمال اللسانية التراثية يبدو المنهج واضحا حتى وإن حاول الكاتب إخفاءه، فيمكن القول بأنّ القراءة بمعنى مراجعة فكر تراثي بغية فهمه ونقده بطريقة معاصرة قائمة على المقارنة بين الفكر العربي القديم والفكر اللساني المعاصر².

وفي هذا الإطار يشير (بشير إبرير) إلى منهج تبنّاه جمع من اللسانيين العرب "وذلك باستيعاب علوم اللسان لحديثة في الغرب وفهمها وتمثّلها، وسبر أغوار التراث العربي اللسانيّ مثلما يقوم بعض اللسانيين في الوطن العربي منهم: عبد الرحمان حاج صالح من الجزائر، وأحمد المتوكّل وعبد القادر الفاسي الفهري من المغرب، وعبد السلام المسدي من تونس"³، ومن هذا المنطلق نتساءل: ما المنهج الذي اتبعه عبد السلام المسدي في كتاباته التراثية؟

• تبنّي مقولات منهجية اللسانيات الحديثة وبنويّة دي سوسير:

ينطلق (المسدي) من وجهة منهجية واضحة صرّح بها في إحدى مؤلفاته حيث يقول: "فوجّهتنا في البحث وجهة وصفية لأنّ دراسة تطور الظواهر بكشف مراحلها المتعاقبة هو مقصود لذاته في الدّراسة التاريخية"⁴، فههدف المنهج الوصفيّ هو وصف المظاهر اللغوية والفكرية والمنهجية في التراث اللغوي العربي، ومحاولة

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص140.

2- المرجع نفسه، ص139.

3- بشير إبرير، اللساني التربوي في التراث وإشكالات قراءته، مجلة المعرفة، العدد492، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، 2004، ص109.

4- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص39.

تفسيرها والتنظير لها، وبيان علاقتها باللسانيات الحديثة، فلقد وجد (عبد السلام المسدي) في اللسانيات الحديثة ضالته، ذلك أنها وفّرت له جميع الحلول المنهجية، وقد ربط (المسدي) منهجيته بعالمين من أعلام اللسانيات المعاصرة، وهما (دي سوسير ورومان جاكبسون)، فاستعار من الأول مفهومي: البنية والآنية، ومن الثاني مفهوم التواصل اللساني، وبذلك بنى (المسدي) قراءته للتراث على ضوء هذه المفاهيم الثلاثة.

• البنية:

لقد صرح (المسدي) بأهمية اللسانيات البنيوية وقد أفرد لها مؤلفا خاصا لا يندرج ضمن لسانيات التراث، عنوانه: قضية البنيوية -دراسة ونماذج- الذي بين من خلال أهمية الطرح البنيوي في المقاربة التراثية حيث قال: "والمهم في خاتمة مطافنا هو أنّ الرؤية اللسانية البنيوية ذات التحرك الآني قد مكنتنا من النظر بعمق في التراث الفكري العربي بما مكنا من تجاوز إشكالات سطحية، كتقنين النحو وخطر اللحن ومدح الإعجاز، لتنفذ بنا إلى اللغة من هي حدث منجز، فاكتشفنا تخلص الفكر اللغوي في أعماقه من ريقه المكتوب، وسلطان المعيارية، وتبيننا ارتقاءه إلى منزلة الوصف الاختياري يتناول الحدث الكلامي بذاته ولذاته وتلك ذروة الحداثة اللسانية"¹

غير أنّ (المسدي) لم يصرح بمصطلح البنية في مؤلفاته التراثية، ولكن المتبّع لما جاء في كتاباته يجده يوظف هذا المصطلح بطريقة ضمنية من خلال قراءته للتراث اللغوي العربي، ولعلّ الذي يعكس ذلك أنّ (المسدي) يعتبر التراث اللغوي "مادة خامة متجمعة في لحظة البحث، وذلك بغية فك تركيباته، وتحسس أركان منظومته ونسيج علاقته"².

1 - عبد السلام المسدي، قضية البنيوية-دراسة ونماذج- دار الجنوب، تونس، 1995، ص370.

2 - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص38.

وبالرغم من إيمانه بهذا المصطلح وتمثله له في قراءته للتراث اللغوي؛ إلا أن (المسدي) يحاول عدم التعويل على ما هو خارج النص التراثي، لكي لا يبتعد عن الغاية المرجوة من كتاباته وهذا ما يبرر حرصه على الابتعاد عن سوء التحليل والعشوائية في التأويل، فابتعد منطقياً عن كل طرح أو مقارنة تخمينية بين نظريات العرب القدامى ونظريات اللسانيين المعاصرين¹.

• الآنية والزمانية:

إنّ الدليل على اعتماده المنهج الوصفي، توظيفه لثنائية الآنية والزمانية؛ حيث يقول في خاتمة كتابه: "جاء بحثنا عائماً على صفيحة هذا الجدل الثنائي الآنية التي هي قطب الرحي، والزمانية مصباح كاشف بالسلب والإيجاب، ما إن يلتجئ إليه البحث حتى يعود منه إلى مدار الفحص الآني؛ ليرتقي بالاستخلاص إلى مستوى التجرد الكلي"²، ولقد حاول (المسدي) الفصل بين الآنية والزمانية، وذلك باعتماد البعد الآني في مقارنة الظواهر، حيث يفترض (المسدي) أنّ التراث اللغوي الذي يمتد بأكثر من عشرة قرون "مادة متجمعة متراكمة في لحظة فحصه وكشف خباياه"³ وهو في الحقيقة كلا لا يفرق زمانياً بقدر ما يختلف مضموناً ومعرفياً⁴.

كما اتّبع (عبد السلام المسدي) منهج القراءة المجردة، التي تبتعد عن تمجيد الماضي لأته قديم، بل يعتقد بأنّ البحث اللساني العربي الحديث إذا أراد أن يصحّح مساره؛ عليه الانفتاح على الدرس الغربي في مختلف اتجاهاته، دون الغفلة عن التراث العربي، والهدف من كلّ هذا بناء نظرية لسانية عربية معاصرة، حيث يرى أنّ الذي أدّى ببعض اللسانيين المعاصرين للتمسك بمنهج إعادة القراءة؛ إنّما الاعتقاد

1 - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص38.

2 - المرجع نفسه، ص369.

3 - المرجع نفسه، ص38.

4 - المرجع نفسه، ص ن.

الجازم بأنّ إحياء التراث وإغناؤه عن طريق المقولات اللسانية المعاصرة ومتصوراتها الإجرائية كثيرا ما يصحبه إخصاب للفكر اللغوي الحديث نفسه، عن طريق إحياء الرصيد التراثي الموثوق به، وذلك كلما وجد الناقد المتمكن على تحقيق الاستقرار في المعادلة المستعصية بين الحداثة والتراث¹.

إنّ قراءة التراث على نحو ما توصلت إليه الدراسات اللسانية المعاصرة، ومحاولة التوفيق بينه وبين نتاج الفكر اللغوي الحديث، من الفرص الجديدة التي تخلق التفوق والإبداع، وبذلك تصبح قراءة التراث لبنة يؤسس عليها مستقبل البحوث اللسانية، وذلك ما يسمح بإحياء القديم وتطوير الحديث ولعلّ هذا ما يفسّر قوله: "إدخال مفاهيم اللسانيات مع مفاهيم التراث في جدل خصيب، يخرج لنا ثمارا مفهومية جديدة، وحصيلة معرفية متفردة ليست صور مشوهة للتراث ولا هي صورة مسلخة من اللسانيات وإنما هي عطاء نوعي"².

لقد كانت هذه المواقف السابقة سببا أساسيا في حرص (عبد السلام المسدي) على أهمية الربط بين تراثنا اللغوي العربي واللسانيات الحديثة، ومن هنا نستطيع القول بأنّ المؤلّف يتبنّى فكرة الاستمرارية والوصل وينبذ فكرة القطيعة، فهو يتخذ موقعا وسطيا، فلا هو منجذب إلى التراث انجذاب المتعصّب الذي يعزله عن العالم وتطوّراته المتسارعة، ولا هو منبهر ومنجرف وراء مقولات اللسانيات الحديثة وما تحتويه من علم وفلسفة.

ومن خلال ما سبق ذكره نخلص أنّ (عبد السلام المسدي) اتخذ منهاجا صريحا في طرح قضية التراث وعلاقتها باللسانيات الحديثة، كما أنّه ليس من الأهمية اعتماد

1- عبد السلام المسدي، حدّ اللغة في التراث اللساني العربي، مقال منشور في وقائع ندوة جهوية بعنوان: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ابريل، 1987، الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991، ص395.

2- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص28.

منهج واحد ومعيّن، بل حتى التنويع الموصل إلى التقصيّ الدقيق مطلوب في الأعمال العلميّة.

ج- من حيث الغاية (الهدف):

يرى كثير من اللسانيين العرب أنّ المصنّفات التاريخيّة الكبرى للأعمال اللسانية في الفكر الإنسانيّ -بصفة عامّ- ؛ لم تعط التراث اللغويّ العربيّ حقّه من الدّراسة بل حتى من الذّكر في ثنايا كتبها، واعتبر اللسانيون العرب هذا الفعل من قبيل التجاهل لقرون من العطاء اللغويّ العربيّ، لذلك جاءت لسانيات التراث لردّ الاعتبار للتراث اللغويّ العربيّ، فالكتابة اللسانية القرائيّة حسب (مصطفى غلفان) تدخل ضمن الرؤية الفكرية العربيّة التي تهدف إلى إظهار مكانة التراث العربيّ التي يستحقّها ضمن الفكر اللسانيّ الحديث، وتتفق لسانيات التراث حول هذا المبدأ، لكنها تختلف بعد ذلك فيما تخلص إليه من محصلات، أو بمعنى آخر فيما تصبو إليه من وراء إحياء التراث اللغوي¹، وقد قسم (مصطفى غلفان) لسانيات التراث من حيث الغاية إلى ثلاث قراءات أساسية تمثّلت فيما يلي:

قراءة تفاعليّة: تحاول إعطاء النظريّة اللسانية العربيّة القديمة مكانتها اللائقة بها في إطار مراحل الفكر اللغويّ الإنسانيّ لخلق نوع من التفاعل بين الفكر اللغويّ العربيّ القديم والنظريات اللسانية الحديثة القائم على الأخذ والعطاء والقرض والافتراض بينهما.²

قراءة تمجيدية: تتوّه بالتراث اللغويّ وتضفي عليه هالة من العظمة واضعة إياه في درجة علمية أعلى من النظريات اللسانية³.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 137.

2- المرجع نفسه، ص ن.

3- المرجع نفسه، ص 138.

قراءة إصلاحية: تستهدف تخليص النحو العربي من الشوائب والمعوقات العالقة به من تجريد وتعليل وحذف وعامل وتقدير¹. ومن هنا فما غاية عبد السلام المسدي من كتاباته التراثية؟ وهل هي قراءة تمجيدية أم قراءة تفاعلية؟

يظهر (عبد السلام المسدي) في كثير من مواطن في كتاباته ممجدا للتراث اللغوي العربي، واضعا إياه فوق اللسانيات الحديثة حيث يقول: "إن الفكر اللساني العربي أسبق تاريخيا من النظرية اللسانية المعاصرة. إن العرب بحكم مميزات حضارتهم...أفضى بهم النظر إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلا مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان في مطلع القرن العشرين"² كما لا يخفي (المسدي) غايته من خلال كتاباته والتي تعتبر أسمى الغايات وهي الوصول إلى نظرية لغوية عربية حيث يقول: "وفي ضوء مقولة التراث عموما ينتزل بحثنا عن النظرية اللغوية عند العرب، لا من حيث هي تقنيات نحوية وصرفية وبلاغية ومعجمية، وإنما من حيث هي تنظير للظاهرة اللسانية عموما"³، كما أشار (عبد السلام المسدي) إلى غاية أخرى من خلال كتاباته التراثية، تتمثل في الكشف عن الجوانب في اللسانيات العربية التي يرى أنّ اللسانيات العامة في حاجة ماسة إليها، فغاياته أن يخلص به البحث ليس إلى غلق الهوة الاعتباطية في تاريخ الفكر اللغوي البشري فحسب؛ بل يمكنه أيضا أن يفصح عن مباحث مخفيه من لسانيات العرب⁴. ومن خلال ما سبق يمكننا أن نلخص أهم الغايات التي رصدها (عبد السلام المسدي) من خلال كتبه التراثية والتي نجملها فيما يلي:

• محاولة تأصيل التراث اللغوي العربي.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص139.

2- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص26.

3- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، بيروت لبنان، 2009، ص47. (طبعة منقحة ومزودة)

4- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص34.

- إحياء التراث اللغوي العربي والكشف عن معالم نبوغه ووجاهته.
 - الرغبة في مواكبة مقتضيات الحداثة.
 - إبراز مظاهر المعاصرة في التراث اللغوي العربي.
 - التأسيس لحاضر مستقبلي ذي أوصل حضارية منتقاة من الزخم المصدري الثابت في وجدان عالما اللغوي العربي العريق.¹
- إنّ كلّ الغايات السابقة يمكن أن ندرجها تحت غايتين كبيرتين هما الغاية التمجيدية والغاية التفاعلية.

3-بنية الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي:

أ-العنوان:

تناولنا في الفصل السابق العناوين التي قدّمها (مصطفى غلفان)، وبيننا أهميّة العناوين الرئيسة والفرعية، أمّا في هذا الفصل فسنحاول التركيز على فكرة الجمع والتوفيق بين التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة من خلال العناوين التالية:

المؤلف	عنوان الكتاب
01	التفكير اللساني في الحضارة العربية.
02	مباحث تأسيسية في اللسانيات.

إنّ ملاحظة بسيطة لهذه العناوين التي اختارها (عبد السلام المسدي)، تجعلنا نلمح بعدا أصاليا يتجلّى من خلالها، فالعناوين مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتراث اللغوي العربي، فلو لاحظنا العنوان الأول فسنجد أنه يتكوّن من مكونين هامّين هما (التفكير اللساني)، الذي يوحى إلى اللسانيات العامة في بعدها الغربي، ومكوّن ثان هو (الحضارة العربية)، ويمكن أن يُفهم ببساطة لأنّه يوحى إلى التراث العربي، أو البعد

1- سعاد لعربي، منهج عبد السلام المسدي في تأصيله للقضايا اللغوية في ضوء كتابه -التفكير اللساني في الحضارة العربية- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 18، ص 193.

الحضاري للتراث العربي، وكان الكاتب من خلال العنوان يبعث برسالة إلى القارئ مفادها، أنه في عملية بحث عن أصول اللسانيات الممتدة للتراث اللغوي العربي. أما في العنوان الثاني الذي لا يختلف كثيرا عن الأول، غير أنه يحتاج نظرة فاحصة من القارئ، استعمل فيه الكاتب كلمة (مباحث)، التي تدل على البحث والتقصي وأضاف لها كلمة (تأسيسية)، التي ترجع إلى مفهوم الأسس الابدستمولوجية لعملية التأصيل التاريخي، وربط عملية البحث والتأسيس باللسانيات، وهذا يدل على انطلاق لسانيات التراث من مباحث لسانية حديثة، والبحث عنها وإثباتها في التراث العربي، ومحاولة إيجاد لحظة الارتباط الفكري.

يحاول (عبد السلام المسدي) من خلال عناوينه لفت انتباه القارئ إلى أهمية التراث اللغوي العربي في مقابل اللسانيات الحديثة، وهذا ما يؤكد حقيقة مفادها الرغبة الملحة للكاتب في إبراز دور وأهمية التراث اللغوي العربي في الوجود العالمي.

ب- المقدمة:

تعدّ مقدمة كتاب (التفكير اللساني في الحضارة العربية) أول مقدمة يوجّهها (المسدي) إلى القارئ العربي، غير أنّ الغريب في أمر مقدمته أنّها طويلة جدا، والرّاجح أنّ (المسدي) قد مزج بين الإطار العام للبحث والمقدمة، فنجد في أول الأمر تحدّث عن مواضيع عديدة جعلها كمدخل نظري عنونه ب: (مدخل إلى حوافر البحث وغاياته) وقد تناول فيه العديد من المواضيع نذكر منها: اللسانيات والمعرفة المعاصرة، الحداثة والتراث، اللسانيات والتراث، اللسانيات والشمول، اللسانيات والحضارة العربية، النظريّة اللغويّة عند العرب، نعتقد أنّ (عبد السلام المسدي) يريد أن ينور القارئ العربي ويهيئه للأفكار التي يطرحها في كتابه، حتّى لا تبدو غريبة، فقد تطرّق إلى مفهوم الحداثة واللّسانيات والحضارة العربية، وربط كلّ هذه المصطلحات مع مصطلح التراث، ليعطي للقارئ مسوغات القراءة.

غير أن المقدمة الفعلية في نظرنا تأتي تحت مسمى: (مدار البحث ومصادره) حيث بدأها بقوله: "إذا كان من الحقائق التي تواضع الفكر البشري عليها أن يكون لكل تأليف مقدّمة وأن يكون التقديم تبيانا لغاية التأليف بكليته فإن وراء كل تقديم حقيقة أخرى غير ما يصرّح به حسب العرب والمواضعة"¹، وقد ذكر (المسدي) في مقدّمته المصادر التي نهل منها دراسته، ويمكن أن نصلح عليها بالمدونة، فقد انطلق في تتبع مادّة بحثه أخذها من مصادرها العديدة، مذهباً واختصاصاً فركّز أولاً على التراث اللغوي ذاته، بما أنتجته علوم اللسان عامّة، باحثاً وراء تنظيم اللّغة وعلمنة نظامها الربط بين مظان التفكير في مباحثها².

كما حدّد (المسدي) مدونته على مدار ثلاث صفحات متتالية بدأها بالمصنّفات النحوية ثم البلاغية، ثمّ المعاجم، فكُتّب أصول الفقه والتفاسير، وواصل الذّكر حتى وصل مقدّمة (ابن خلدون) التي يراها نهاية التأليف التراثي، حيث يقول: "والرّكن الخامس والأخير من أركان التراث المعتمد تنفرد به مقدّمة ابن خلدون التي مثّلت باباً برأسه لأنّها كانت نمطاً فريداً من التفكير...لهذه البديهيّات وغيرها حدّدنا بحثنا زمانياً بابن خلدون، فهو في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية آخر من حاول تقديم نظرة شمولية في القضية اللّغوية تتسم بالجدة والطرافة"³، ولم يفوت (المسدي) ذكر الغايات المتوخّات من دراسته وقد ذكرنا معظمها في مبحث (الغاية)، و بيّن في مقدّمته بنية كتابه، الذي يعدّ في حقيقة الأمر رسالة لنيل الدكتوراه، حيث يقول: "وقد أفضى بنا النظر في مادة التفكير اللّغوي عند العرب إلى اشتقاق جدلية ثلاثية على صعيد المنهج، فأولّ قضايا التحديد: البعد المنطقي للمصطلح "فكنا نفتق أثر التعريفات المستنبطة في كل محور نثيره سواء التعريفات الكلية المقنّنة أم التعريفات المخزونة

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص33.

2 - المرجع نفسه، ص34.

3 - المرجع نفسه، ص37.

وراء التحليل...¹ والجزء الثاني من أجزاء المنهج المطبق، له علاقة بقضايا الأبنية فحاول أن كشف في سياق تحليل الظواهر اللسانية في التراث العربي؛ نظام البنى التي توصل إليه التراث العربي في سلطته على اللغة²، أما الركن الثالث فيختص بإشكالية التوظيف ويتمحور حول قضايا الدلالة عموماً بوصفها الوظيفة المركزية في كل ما يتصل بالظواهر الإبلاغية³.

وفي مقدّمة كتابه الثاني (مباحث تأسيسية في اللسانيات) حاول الكاتب التواصل مع القارئ ليربطه بمؤلفه وليوضح أنّ الكتاب ما هو إلى تلخيص للكتب التي سبقته حيث يقول: "كتبت فصول هذا الكتاب في أزم متباعدة، فبين أقدمها وأحدثها عقد ونصف من السنين... وإذ نخرجها اليوم مجدداً فلنؤكد أنها كانت نتائج طبيعية لسياقات استثنائية"⁴. ولقد أضاف (المسدي) إلى المقدمة توطئة حاول من خلالها تقديم الكتاب وشرح خطته للقارئ حيث يقول: "أيها القارئ الكريم: هذا كتاب على غير ما عهدته منا: كتبنا فصوله التأسيسية لتكون سياقاً مستجداً أدرجنا فيه فصولاً استلناها مما سبق لك أن قرأته لنا، فعدلنا بعض أجزاءها، وخففنا من صيغها المتخصصة، واقتصدنا في إحالاتها المرجعية"⁵، فهذا الكتاب حسب (المسدي) ما هو إلا تلخيص لكتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية.

ج- لغة الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي:

يعدّ الخطاب الذي تبناه (المسدي) خطاباً لسانياً خالصاً، وذلك باعتبار منهجه ومادته، فخطاب (المسدي) يتخصّص في ميدان اللسانيات العربية، وبالتحديد في لسانيات التراث، الذي ينطلق من مبدأ إعادة القراءة على ضوء اللسانيات الحديثة،

1 - عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 40.

2- المرجع نفسه، ص 41.

3- المرجع نفسه، ص ن.

4- عبد السلام المسدي، مباحث تأسيسية في اللسانيات، ص 5.

5- المرجع نفسه، ص 7.

فالأسلوب الذي اعتمده (المسدي) يجعلنا نجزم بأنّ خطابه يميل إلى التّأحيّة التّأصيليّة بشكل واضح، فالكاتب يقدّم أعماله بتوسّع كبير، فهو يتعمّق في جذور التراث العربيّ بكلّ مشاريعه وخصوصيّاته ودقائقه، والملفت للنظر أنّه لا يكتفي بالإشارة إلى الموضوع فحسب، بل يطرح الفكرة اللسانية الحديثة، ثمّ يبيّن كيفيّة تمثّل العرب لها، وذلك عن طريق مقارنات يعقدها، فهذا الأسلوب الذي انتهجه (المسدي) من شأنه إعادة الحياة إلى التراث اللغويّ العربيّ، ومن هذا المنطلق ينتج الكاتب خطابا تتقارب فيه الدلالات العربية والدلالات الغربيّة لتشكل كلّا متكاملًا.

4- مقومات الخطاب اللساني التراثي عند المسدي:

أ-الوضوح:

إذا سلّمنا أنّ الخطاب الذي يقدّمه (المسدي) خطاب علميّ بالدرجة الأولى؛ فإنّه بالضرورة يميل إلى الوضوح والبساطة وابتعد عن الغموض، فخطاب (المسدي) في عمومه واضح وبسيط لأنّ يخاطب قارئًا ضمنيًا، وقد يكون هذا القارئ من المبتدئين في مجال اللسانيات، فهو يحاول جذب القارئ إلى تفاصيل الموضوع عن طريق مجموعة من المداخل لتسهيل الفهم وتبسيطه، فنجدّه يتحدّث في البداية عن ثنائيات معروفة تشكّل صراعا قديما مثل: الحداثة والتراث أو اللسانيات والتراث، كما يعتمد (المسدي) على طريقة التعريف والاستدلال المكثّف والمفاهيم والمصطلحات؛ فمثلا لما يقوم بشرح مفهوم **المواضعة** الذي يقابل في نظره مفهوم **الاعتباطية**، ينهل من الكتب التراثيّة كلّ ما له علاقة بهذا المصطلح.

غير أنّ الذي يجب أن نشير إليه أنّ (المسدي) يميل في بعض الأحيان إلى اللّغة الأدبية الصعبة التي تستعصي على القراء، ومثال ذلك ما جاء في مقدّمة كتابه "قبسط مدار البحث هو في حدّ ذاته حديث عن موجود، وهو مقتض بذلك خروج الذات القائلة عن مقولها لتصبح من هو خارج عن قولها- وهو القارئ الموجود

بالقوة- إلى صميم قولها، فالتقديم خروج القائل عن قوله ليدخل سواه إلى بؤرته¹، ولعلّ الشيء الذي ينقص من وضوح الطرح استعمال الكاتب للمصطلحات التراثية دون شرح ولا تبرير.

ب-الموضوعية:

يلتزم (المسدي) في كتاباته التراثية مبدأ الموضوعية، فهو لا يقم ذاته ولا يبيدي انحيازاً واضحاً لآراء القدامى، ولا يببالغ في مدحهم ولا الإشادة بهم، فههدف الكاتب من خلال أعماله استخلاص الآراء اللغوية القيمة في التراث اللغوي العربي يقول (عبد السلام المسدي): "وقراءتنا للتراث اللغوي في الحضارة العربية وإن حصلت وتكاملت بفضل مقولات اللسانيات المعاصرة فإننا قد حرصنا- ما وسعنا الحرص- على تحاشي التعسف في الاستنتاج، والاعتباط في التأويل، فأعرضنا جوهرياً عن كل مقارنة صريحة أو تقريب تخميني بين نظريات العرب القدامى ونظريات اللسانيين المحدثين حتى إذا ما قرئ بحثنا...لم يلتبس أمره على قارئه: أهو فكر الحضارة العربية خالصاً أم هو اصطناع لها"²، ومما يؤكد أنّ (المسدي) ينتهج طريق الموضوعية من خلال اعتبار أنّ التراث اللغوي العربي يجب أن يدرس لذاته وبذاته، فهو مدروس لذاته وبذاته حيث من خصائصه أنه يظهر قيمته لمن يحاول فهمه وتمثله³، غير أنّ موضوعية العلوم الإنسانية نسبية، فلا يمكن أن نحكم عليها بالإطلاق؛ فالمسدي تقوده حمية الدفاع عن التراث إلى ذاتية مفرطة في بعض الأحيان، حيث يبيّن أنّ الغرض من دراسته هو الكشف عن جوانب خفية ومجهولة من لسانيات العربية، لأنّ علماء الغرب تجاهلوا مرحلة التفكير اللغوي العربي وهم

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص33.

2- المرجع نفسه، ص38.

3- المرجع نفسه، ص ن.

يؤرخون للفكر اللساني في الحضارة الإنسانية، دون أن يهتموا لقيمة الفكر اللغوي العربي¹.

ج-الانتظام:

يتجلى انتظام العمل القرائي لـ (عبد السلام المسدي) من خلال انتظام كل من التصوّرات والأفكار التراثية واللسانية، فالكاتب يفرق جيّداً بين المصطلحات العربية والمصطلحات اللسانية الغربية، لذلك نجده غالباً ينطلق من مصطلحات غربية حديثة ثم يحاول العودة إلى القديم لإثباتها في التراث اللغوي العربي، وتقوم الفكرة على شكل مقارنات واضحة تنتظم فيها آراء المحدثين وآراء القدامى، غير أنّ (المسدي) يكثر من الآراء التراثية اللغوية وغير اللغوية، ويوردها تباعاً لإثبات القضية بدقة، وتتنظم هذه الآراء اللغوية لتخدم فكرة كبرى يطرحها الكاتب في بادئ الأمر، ولا أدلّ على ذلك من حديث الكاتب عن البنية العميقة في أعمال (تشومسكي) وعلاقتها بالتراث اللغوي العربي، حي تحدث الكاتب مطوّلاً عن علاقة (تشومسكي) بالتراث العربي وبالتّحو بصفة خاصة، واهتدى الكاتب -بشكل موسّع يتعذّر عرضه- إلى وجود مسمى البنية العميقة في مقولات النّحو، حيث يرى أنّ تفسير البنية العميقة من خلال مقولات النحو العربي ولا سيما في ثالوثه: الإعراب فالعمل فالتقدير، تحكمه منهجية جديدة أطلق عليها استقراء المرحلة الجينية لتركيب الكلام، فيكون بذلك النحو العربي ضرباً من إعادة التصوير لعملية إنتاج الكلام²،

كما يتجلى الانتظام عند (المسدي) في طريق عرضه للفصول والمباحث وهذا ما يوضّحه الجدول التالي:

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص34.

2- عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2010، ص141.

الفصول	المباحث	الخاتمة
الفصل الأول: الإنسان واللغة	المسألة الأولى: اختصاص الإنسان بالظاهرة اللغوية. المسألة الثانية: ما قبل اللغة. المسألة الثالثة: التوقيف الإلهي. المسألة الرابعة: التشريع الوضعي. المسألة الخامسة: المحاكاة الطبيعية. المسألة السادسة: نظرية النشوء والتناسل.	خاتمة الفصل الأول

من خلال الجدول يظهر بأنّ (عبد السلام المسدي) يعالج فصوله بانتظام، عن طريق تقسيم الفصل إلى مسائل دقيقة يعطيها حقّها من التحليل والتفسير، وهي طريقة تجعل القارئ يلمّ بكلّ جوانب القضية، ولا يقع في الخلط والالتباس.

5- القضايا اللسانية في كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية:

أ-المواضعة:

لقد عالج (المسدي) هذه المسألة اللغوية وأوضح أنّ مسألة الدال والمدول قد تمت مناقشتها في التراث اللغوي العربي، بالإضافة إلى أنّها عُولجت في إطار المنهج القرائي المجرد أو المعروف بمنهج إعادة قراءة التراث، وقد عرّف (المسدي) المواضعة قائلاً: "المواضعة تقوم مع الوضاع مصدراً لصيغة المشاركة في الوضع، وتبرز في تحديدها دقائق معنوية من التناظر والاتّفاق، ولكنّ أبرزها هو معنى المراهنة، وفي هذا العنصر الدلالي تتجلى بدقّة شحنة المصادرة... في كلّ عملية تخاطب لساني، وبديهي أنّ يقترن المجال الدلالي بمفهوم التواطؤ باعتباره خاصية

ملازمة للحدث اللسانيّ منهجه، ومنافية للاقتران من جهة أخرى¹، فهذا المفهوم يقود مباشرة إلى أنّ (المسدي) يشير إلى مفهوم المواضعة ويجعله مرادفاً لمفهوم (الاصطلاح والتواطؤ)، وكأثبات لمقولته، يرجع (المسدي) إلى ابن جني حيث يقول: "ويزوج ابن جني بين عبارتي التواضع والاصطلاح مقابلاً بها لفظي الوحي والتوقيف، على أنّه يفكّك مفهوم المواضعة بصفة استقرائية إلى مكوناته الدلالية جاعلاً منه قطب الرّحى في عمليّة التّوالد اللّغويّ المضفي رأساً إلى تعاقد أفراد المجموعة اللّسانية الواحدة عليه"²،

ويخلص الكاتب إلى استنتاج شامل لنظريّة المواضعة وجدواها في التراث اللّغويّ العربيّ، ومدى التجريد الكبير الذي تضمّنته فيرى أنّ: "نظريّة المواضعة نموذج من نماذج النّظر الفكريّ الخالص الذي تبوأ بتجرده الموضوعيّ مرتبة العلمانيّة في تاريخ الحضارة العربيّة، وهي على صعيد المناهج نموذج للمواضعة لم ينفك يتجاذب البحث بين منزلة الكشف اللّسانيّ الخالص ومنزلة التعليل الأصولي(الإبستمولوجي) ممّا يغلف الاستنتاج اللّغويّ بغشاء التجريد فتتكاثف التعليل البرهانيّة المفضية إلى قمّة طبقات النّظر الخصيب على الحدث اللّسانيّ الخالص"³.

ويرى (المسدي) وجود القصد ضروريّاً لأغراض المواضعة؛ حيث يجب أن يتمّ بناء التواصل على فهم تعاقدّي يدعم التواصل اللّغويّ بالكامل، وهناك مستويان محدّدان للتواصل وفقاً لتصنيف (الجرجاني)، أحدهما يتعلّق بالمعنى المشتق من الكلمات المجرّدة، ويعرف أيضاً بمحور الاختيار الاستبدالي، أمّا الآخر فيتعلّق بنظم الكلمات إثر دخولها حيّز التّركيب، ويعرف أيضاً بمحور التوزيع التّركيب، حيث

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة، ص 117.

2- المرجع نفسه، ص 119.

3- المرجع نفسه، ص 143.

يعتبره المسدي قانونا صارما ومطلقا وفيه يقول: "وتعرف اللّغة بكونها عقدا مبدؤه صريح في التراث العربيّ، متبلور على المستوى النظريّ تماما، غير أنّ المصطلح الذي تشكّل به لا يتطابق مع متصوّر العقد إلّا في مستوى المدلول إذ إنّ لفظ العقد بالمفهوم الذي تكرّسه له العربية المعاصرة لا سيما في لغة المعاملات قد كانت تتجاوزه مجالات دلالية مختلفة"¹.

ب- اكتساب المواضعة:

عرّج (المسدي) على قضية هامّة بين الفكر العربيّ القديم والفكر اللساني الحديث وهي اكتساب المواضعة، حيث يقول: "وموضوع الاكتساب والتحصيل من المواضيع المبدئية في الدّراسات الإنسانيّة قاطبة، وهو من القضايا المعرفيّة ذات الطابع الشموليّ سواء في توفير نموذج تقاطع الاختصاصات واشتراك المعارف، أو في اتصاله بقضايا التّنظير التّأسيسيّ والمواصفة التّطبيقية في آن معا"² وقد حاول (المسدي) بيان أصل اكتساب المواضعة وعرض آراء بعض مفكّري اللّغة العرب القدامى واستنتج ما يلي:

- ففي نظر ابن جنّي إلى اللّغة رأى بأنّها ظاهرة إنسانيّة "تمارس بالطبع الذي يغدو في الممارسة اللّسانيّة أداة توثّب وهجوم على اللّغة، وهو ما يعزل احتمال قيام الأصول الواعية أو القوانين المدركة بالفعل لدى الإنسان في تعامله مع الظاهرة اللّغويّة"³.

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 186.

2- المرجع نفسه، ص 249.

3- المرجع نفسه، ص 256.

- أمّا أبو حيّان التوحيدي فيرجع اكتساب اللّغة إلى عامل الغريزة "معتبراً أنّ ممارسة الإنسان للحدث الكلامي لا بد أن تستند إلى بناء وترتيب قائمين في غرائز أهل اللّغة المقصودة بالذّات"¹.
- أمّا (ابن وهب) فردّ اكتساب المواضعة إلى العادة لأنّها لها تأثيراً قديماً في حياة الإنسان كلّها.

غير أنّ هذه الخاصيّة أرجعها (المسدي) إلى أعماق من ذلك وقد اتفق مع ابن خلدون في ذلك، خاصة في مفهوم الملكة والفطرة، حيث يرى أنّ "هذه الملكة تحصل بممارسة الكلام وتكرّره على السّمع والتفطن لخواص تراكيبه"²، أي أنّ عمليّة الاكتساب تشترك فيها القدرة والفطرة والممارسة الفعلية للكلام، والتمرن على فنون القول من نحو وبلاغة وبيان.

ج- مقومات الكلام:

يُعرّف على (سوسير) تقسيمة الحدث اللّسانيّ إلى: لغة ولسان وكلام، هذا الأخير الكلام (parole) هو كلّ ما يلفظه أفراد المجتمع المعين بصفة فردانية؛ أي ما يختارونه من مفردات وتراكيب ناتجة عمّا تقوم به أعضاء النّطق³، وهو الإنجاز الفعليّ لملكة اللّغة وقواعد اللّسان، فلقد سعى (المسدي) من خلال هذا العنصر إلى "تحسّس مواطن النّظرية في التراث العربيّ لا بالتركيز على البناء النّظريّ القائم في مخزون الفكر المعقّل للظاهرة اللّسانية وإنّما بالاعتماد على حدث الإنجاز اللّغويّ... أمّا مرامنا الذي نرسمه في هذا الفصل فيتمثّل في استكناه حقيقة اللّغة

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللّسانيّ في الحضارة العربية، ص 256.

2- ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت، لبنان، (د، ت) ص562.

3- محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، طبعة جديدة، جامعة القاهرة، 1991، ص200.

والكلام كليهما من خلال متصوّر العبارة"¹، ومن أهمّ المسائل التي عالجها (المسدي) في هذا العنصر:

• الكلام والمكان:

يعدّ الكلام فعلاً يستلزم الحدوث، ولعلّ الصّفة المميّزة للأحداث ارتباطها بالزّمان والمكان، ولقد رأى (المسدي) أنّ لهذه النّقطة أهميّة بالغة، فلقد انتبه "منظّرو الفكر اللّغويّ في تاريخ الحضارة العربيّة إلى هذا الإشكال الاختياري فطرقوه بمنظار المكاشفة المباشرة أولاً ثم استكنهوا أسرارها بعدسة الفحص الأصوليّ المجرد"²، فالكلام في اعتقاد علماء اللّغة الأوائل له مرجعيّة مكانيّة، وهذا ما قصده الخفاجي في كتابه سر الفصاحة بقوله: "يجري الكلام في وجوده في الأماكن الكثيرة مجرى الأجسام، ويزيد على الأجسام بأنّه يوجد في الأماكن الكثيرة في الوقت الواحد، والأجسام إنّما توجد في الأماكن على البديل"³.

لقد عرض (المسدي) العديد من الأقوال التراثيّة التي تساند قضية ضرورة المكان لفعل الكلام، فخلص إلى أنّ الكلام من الطاقات المنتشرة والواسعة، التي لا يمكن اختزالها ولا احتضانها في مكان ضيق، بل تستوجب الاستعمال الواسع المطلق، كما أنّ الكلام بصفته الإنجازية "يخترق أبعاد المكان"⁴ كدليل واضح على وجوب المكان لحدوث الكلام.

• الكلام والزمان:

يعتبر الزمن البعد الثاني بعد المكان الذي يحدّد التواجد الفعليّ للأحداث، حيث يرى اللّغويّون الأوائل بأنّ الحدث اللّسانيّ يستمدّه وجوده من البعد الزمنيّ، وفي هذا

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة، ص246.

2- المرجع نفسه، ص248.

3- ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، تح علي فودة، ط1، القاهرة، 1932، ص41.

4- عبد السلام المسدي، التفكير اللّسانيّ في الحضارة العربيّة، ص297.

الصدد يقول (عبد الجبار): "الكلام في حدّ ذاته يتحدّد بداهة بأته حروف منظومة وأصوات متقطّعة"¹، ففضيئة الحيز الزماني من القضايا المطروحة في اللسانيات المعاصرة والتي يطرحها الفكر الجديد من المنظور الفزيائي، فدخل الكلام في صلب الزمن، طرحها (سوسير) في ثنائية الخطيئة والزمانية، وهذا ما أشار إليه (المسدي) عن طريق (ابن سينا) الذي يرى أنّ "سببه القريب تموج الهواء دفعة وبقوة وسرعة، وأنّه في الأمرين يلزم المتباعد من الهواء أن ينقاد للشكل والموج الواقع هناك، وإن كان القرعي أشدّ انبساطاً من القلعي، ثمّ ذلك الموج يؤدّي إلى الهواء الراكد في الصماخ"²،

وبيّن (المسدي) أنّ العرب قد اهتموا إلى العديد من الخصائص اللسانية، على غرار خاصية الخطيئة وفي هذا السياق يقول: "ومن أهمّ ما تولّد عن فكرة الانتظام هذه في تحليلات المنظرين من رواد التراث العربيّ تكشف ركن آخر من أركان الظاهرة اللغوية في حقيقتها العضوية وسماتها التركيبية وهذا الركن التعريفي هو اتصاف الكلام ضرورة بالتسلسل التعاقبيّ بحكم اندراجه -خلال عملية إنجازهِ- في عامل الزمن الطبيعي، وهو ما يضيف عليه مبدأ الخطيئة الزمنية حتى أنّها تصبح الخاصية المميزة للكلام عن سائر الأنظمة العلامية في الإبلاغ والتواصل، فتقيّد الظاهرة اللغوية بعامل الزمن إبان عملية الأداء الكلامي ليس مجرد تفاعل خارجي بين ظاهرتين تتماسكان عرضاً ثم تتفكّ إحداها عن الأخرى، وإنّما هو ارتهان مداره الاقتضاء الداخلي"³، ومن خلال هذا يثبت (المسدي) وجود خاصية الخطيئة الزمانية عن طريق أقوال علماء العرب القدماء، فعند (فخر الدين الرازي) أنّ الكلمة لا تكون كلمة إلاّ إذا كانت حروفها متواليّة، أمّا (الخفاجي) فقد جعل الانتظام من شروط

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص250.

2- ربيعة بريق، علم الأصوات، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة الجزائر، ط1، 2016، ص16.

3- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص267.

الكلام، وغيرها من الآراء التي تثبت أسبقية العرب في الإشارة إلى هذه الخاصية اللسانية للكلام.

ثالثاً: نقد وتقييم الخطاب اللساني عند عبد السلام المسدي:

حاولنا في هذا الفصل تقديم أهم خصائص الخطاب اللساني التراثي عند (عبد السلام المسدي)، فعلى صعيد تحقيق الأهداف نرى بأن (المسدي) حقق هدفه الأسمى وهو محاولة إبزار التراث اللغوي العربي في مسيرة التأريخ للسانيات، فلقد برهن (المسدي) في كتاباته، أن التراث اللغوي العربي يستحق الدراسة والإشادة نظراً لشموليته وتفوّده وأسبقيته على العديد من الجهود الأخرى، كما أن (المسدي) فتح الباب واسعاً أمام القراء المحدثين، لاكتشاف التراث العربي، ومنحهم الفرصة لإحياء تراثهم والتفاعل معه وتجديده، وعلى الرغم من الإيجابيات الكثيرة والمتعددة للمشروع القرائي للمسدي، إلا أننا سجّلنا العديد من النقاط التي يجب مناقشتها في آرائه اللسانية والتراثية.

أ- حول مقولة تجانس التراث:

عرفنا سابقاً أن (المسدي) ينطلق من فكرة أن التراث اللغوي العربي "كلاً لا يتجزأ ومادة متجمعة في لحظة فحصه وكشف خباياه"¹، ولكن الإشكال الذي يصادف قارئ التراث هو شساعة المدونة وكبرها، حيث تصبح أضخم لأنها تضم كل الكتابات الثقافية العربية القديمة وهي خمسة أصناف: "الأعمال اللغوية والأعمال الأدبية والأعمال الفقهية والأعمال الفلسفية ومقدمة ابن خلدون"²، والسؤال المطروح: كيف استطاع المسدي تغطية كل هذا الزخم المعرفي المتنوع؟ وكيف تجاوز الاختلاف الحاصل بين هذه المصادر؟ فالحقيقة أنه لا يمكن -منطقياً- تغطية كل القضايا

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص39.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص160.

التراثية والتمحيص والتدقيق فيها، لذلك نرى أنّ (عبد السلام المسدي) دخل فيما يسمّى بالعمومية (التعميم) بل والسطحية في بعض الأحيان، ولا شك أنّ هذه السمة بارزة في الكتابات القرائية حيث يبدو أنّ كثيرا من الأعمال التراثية تلغي مفاصل الأمور وجزئياتها، بالرغم من تحليلاتها المختلفة، بحثا عن الشمولية المستهدفة في مثل هذه الأعمال... فإنّ الشمولية تغدو نوعا من الخيال الذي يتحوّر تلقائيا إلى عقبة تسمح باستخلاص نتائج غير منبثقة من الموضوع المدروس¹، والإشكال الآخر الذي وقع فيه (المسدي) من خلال مقولة التجانس؛ أنه يلغي حقيقة بارزة مفادها أنّ المقولات التراثية في كثير من الأحيان تتناقض، والدليل على ذلك المدارس النحوية، فالمسدي لا يلقي الضوء على هذا التناقض والاختلاف، بل يصوّر التراث كأنه نظرية واحدة، تتبع من أصل واحد.

ب- التعصّب للتراث اللغوي:

ينطلق (المسدي) في كتاباته التراثية من فكرة موضوعية، مفادها عدم التعصّب لا إلى التراث اللغوي العربي، ولا إلى اللسانيات الحديثة، ولقد أثبتنا هذا في جزئية (الموضوعية) كخاصية علمية من خصائص الكتابة التراثية عند (المسدي)، لكن الحقيقة تثبت عدم قدرة الكاتب على التحكم في ذاتيته، فوجدناه في الكثير من المواضيع يمجّد التراث اللغوي العربي بصفة واضحة، فابن جني في نظره قد أفضى إلى تقرير طريف هو غاية من بعد النظر ودقة الفحص، فقد صاغ قانونا نظريا يتصل بما يندرج اليوم ضمن المعرفة اللسانية العامة²، كما أنّ التراث اللغوي العربي قد حوى من "اللّمع ما تظللّ مقولاتنا اللسانية المعاصرة-إلى حدّ ما هي عليه الآن-

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص162.

2 - عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة، ص119-120.

عاجزة عن استيعابه، وذلك ما تبنيه بالمكاشفة لمنطوق النص راغبين في كل ما فعلناه عن اغتصاب مضمون التراث أو التعسف في استنطاقه¹.

إنّ تمسك (المسدي) بهذه الفكرة في كتاباته، يقوده إلى تنزيل التراث منزلة العلم المطلق الذي يحتوي جميع النظريات اللسانية، فكأما ظهرت نظرية لسانية جديدة إلا ويتهافت لسانيو التراث إلى إثبات أصلها في التراث اللغوي العربي، "يستفاد من الكلام السابق أنّ ما يتوصّل إليه العلم اليوم من نتائج نظرية ومنهجية، أمور في حقيقتها تمّ الكشف عنها في عصور سالفة، ذلك ما تقوله بعض الكتابات اللسانية القرائية عن التراث اللغوي العربي قياساً لما تتوصّل إلى النظريات اللسانية الحديثة"².

إنّ الدافع الحضاري الذي يخفيه (المسدي)، وهو محاولة إحياء التراث؛ جعل جزءاً كبيراً من خطابات تتسم بالذاتية المفرطة، ومما يضاف إلى ما سبق عدم مناقشة (المسدي) للآراء اللغوية التراثية، بل نراه يثبتها كأنها مسلمة لا تقبل الدحض ولا المناقشة، إنّ السبيل المفضي إلى قراءة علمية للتراث اللغوي العربي هي القراءة التي تنظر إليه في مرجعيته الفكرية الخاصة به وبذلك "يجب أن لا نبحت عن تماثلات بين نظريات اللسانيين العرب القدامى واللسانيين المعاصرين، لنقول في النهاية لقد سبقناهم إلى كذا وكذا في مجال اللسانيات، هذا ليس تطويراً ولا أعدّه إنجازاً؛ بل هو إفساد للروح العليمة وللفضول العلمي"³، فالتراث اللغوي العربي في حقيقته ملك مشاع للبشرية، ولو تمثّل (المسدي) هذه المقولة لجنب نفسه الوقوع في التعصب المفرط له.

1 - عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص 237.

2 - مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص 153.

3- محمد عابد الجابري، مداخلة البحث اللساني والسيميائي، الرباط 1984. ص 186.

ج- عدم ذكر المصادر:

من الأمور التي يجب مراعاتها في البحوث العلميّة ذكر المصادر، ولعلّ من المآخذ التي سجّلناها على (المسدي) عدم ذكره للمصادر اللسانية ولا التقدّية، وهذا الأمر يجعل القارئ في إشكال كبير، فلا يدري إن كانت الأقوال للكاتب أم لغيره، وهذه الملاحظة سارية على كلّ كتاباته اللسانية والتراثية بصفة خاصّة، فنجد الكاتب في مؤلّفه (التفكير اللساني في الحضارة العربيّة)، قليل الإشارة إلى المصادر ومن ذلك حديثه عن اعتباطية الدليل اللسانيّ دون الإشارة إلى (سوسير) أو إلى أي من اللسانيين المحدثين حيث يقول: "وطبيعي أن ينطلق التفكير في اعتباطية اللّغة من تقييم نقدي لنظريّة المحاكاة ضمن المواقف المختلفة في شكل أصل اللّغة"¹، إنّ الملاحظ على (المسدي) اهتمامه بالمدوّنة التراثية، فهو يكثر الاقتباس منها، لغرض الإثبات والمقارنة.

د- البعد عن موضوع اللسانيات:

ممّا لا شكّ فيه أنّ الموضوع الأول والأخير للسانيات هو دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها، غير أنّ المتصفّح لكتابات (المسدي) يجده مبتعداً عن الموضوع الأصليّ للسانيات، إنّ غوص (المسدي) في التراث العربيّ باختلاف مواضيعه يجعل عمله يقترب من العمل (الفيلولوجي) الذي يهتمّ بالتأريخ وتقديم الشروح لا غير، وقد اثبت (سوسير) عدم جدى هذه الدّراسة، وتكاد جميع الكتابات اللسانية القرائية أن تكون أقرب "إلى العمل الفيلولوجي من حيث إنها تضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة، إنّ القارئ في مجال التراث العربيّ ليس إلّا شارحاً وفيلولوجياً، إنّّه يحاول أن يضع الشروح المساعدة على فهم النصوص القديمة فيجد نفسه من أجل تقريب فك قديم من معاصريه... يلجأ إلى استعمال ألفاظ وتعابير حديثة"²، فالمسدي

1- عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص107.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص156.

في دراسات التراثية يبتعد كثيرا عن الموضوع الفعلي لها، فهو لا يصف ولا يفسر الظواهر اللغوية شأنه شأن جلّ الدراسات التراثية؛ التي لا تدرس اللغة العربية بعدها نظاما مشكلا من مستويات متباينة، إنّ هدف الخطاب اللسانية القرائي هو الجمع بين الأفكار اللغوية القديمة ومحتويات اللسانيات الحديثة، إنّها تبتعد عن موضوعها الأساس¹، إنّ ابتعاد (المسدي) عن موضوع الدراسة اللغوية جعل دراساته في معظمها يغلب عليها الطابع السردى للأقوال اللغوية التراثية.

هـ-المقارنة المجحفة:

تسمندّ لسانيات التراث شرعيّتها من مقارنة الموروث اللغويّ العربيّ بنظيره اللسانيّ الحديث، لكن ما مبررات هذه المقارنة؟ لماذا يقارن القديم بالجديد؟ من الناحية الإبستمولوجية لا جدوى من هذه المقارنة؛ إذ تثبت العلوم في نشوء النظريات العلمية أنّ لها سياقاً تاريخياً ومنطلقات وأسس، فهل منطلقات اللسانيات الحديثة هي نفسها منطلقات التراث اللغويّ العربيّ؟ طبعا يختلف الأمر كثيرا بين الأول والثاني، يعتمد (المسدي) على مظاهر التشابه بين الثقافتين، وهو منطلق غريب، فالواقع أنّ المعرفة الإنسانية تراكم، وقد يحتوي التراكم على تشابه، إمّا مصادفة أو عن طريق الاحتكاك، إنّ الثقافة العربية الإسلامية لها خصوصية من حيث علاقتها بحيز حضاريّ محدّد له ضوابط معينة لم تعهدها أيّ ثقافة أخرى، بالدرجة ذاتها يتمّ التشديد على تفرّد الفكر اللسانيّ الغربيّ الحديث في المجال الفكريّ الذي ابتكر فيه²، لقد كان الأولى قراءة التراث قراءة علمية بعيدة عن كلّ مقارنة مجحفة، تحمّل كلّاً من التراث اللغويّ العربيّ واللّسانيّ الحديث ما لا يطيقانه.

1- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص155.

2- المرجع نفسه، ص162.

الفصل الثالث: الخطاب اللسانيّ عند صالح بلعيد.

توطئة:

أولاً: الخطاب اللسانيّ التمهيديّ عند صالح بلعيد.

ثانياً: الخطاب اللسانيّ التراثيّ عند صالح بلعيد.

ثالثاً: نقد وتقييم الخطاب اللسانيّ عند صالح بلعيد.

توطئة:

إنّ المتأمل في الأعمال والخطابات اللسانية العربية المعاصرة، يواجه تنوعاً شاسعاً وكبيراً، يصعب في كثير من الأحيان على الباحثين دراسته ومناقشته، لأنّه يتوزع بين "الترجمات المباشرة، والتأليف والإبداع الجديد، والموازات بين ما توصل إليه الغرب حديثاً وما اكتشفه العرب قديماً، وبين إحياء التراث العربي ومحاولة إعادة بعثه من جديد، بغية عرض أفكاره القيّمة... وقد مسّت هذه الأعمال اللّغة العربيّة من جوانبها المختلفة، فدرست المستويات اللّغويّة على تنوّعها من صوتي وصرفي وتركيبية ودلالي، وألقت الأضواء على المجالات المختلفة في اللسانيات، من تعليمية اللّغات والصنّاعة المعجمية والترجمة الآلية وأمراض الكلام"¹، ولقد تمكنت المكتبة العربيّة من تسجيل العديد من المؤلّفات والأسماء البارزة على الساحة اللسانية العربية والمغربية، أمثال (عبد الرحمن حاج صالح، والفهري، وتمام حسّان وأحمد المتوكّل)، ومن المعاصرين (عبد السلام المسدي ومصطفى غلفان وصالح بلعيد)، هذا الأخير الذي برز اسمه في ميدان اللسانيات وتطبيقاتها، وفي مجال المناقشة عن اللّغة العربية، فصالح بلعيد هو واحد من الجزائريين والعرب المحدثين الذين أفنوا أعمارهم في البحث اللساني والتعليمي، ويعدّ أيضاً من أبرز المدافعين عن قضايا الهوية الوطنية والمواطنة اللّغوية، وقد ألّف الباحث مجموعة كبيرة من المؤلّفات والإصدارات العلميّة التي تزيد عن أربعين مؤلّفاً، و تدور موضوعاتها حول الشقّ اللساني، والتربوي والتعليمي والتراثي وغيرها... وإذا أردنا تلخيص ما قام به صالح بلعيد، فيمكن القول بأنّ الرجل كتب في العديد من مجالات اللّغة ولم يتخصّص في مجال معيّن، لأنّ هدفه من التأليف هو خدمة اللّغة العربيّة، ومحاولة إشاعتها وتيسيرها.

¹ - هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص 41.

أولاً: الخطاب اللساني التمهيدي عند صالح بلعيد:

ذكرنا في الفصول السابقة أنّ المكتبة العربية اللسانية تزخر بالكثير من المؤلفات التي تهدف إلى تبسيط وتيسير اللسانيات للقارئ العربي، وذلك بسبب التسابق الرهيب من طرف اللسانيين العرب إلى نقل هذا العلم للقارئ العربي، وعلى الرغم من كثرة المؤلفات والتأليف ضمن هذا المجال؛ إلا أنّ (صالح بلعيد) لم يؤلف -لم نجد مؤلفاً في حدود ما بحثنا- في هذا المجال النظري البحت، الذي يركز على تعريف اللسانيات ومدارسها وأعلامها ومنهجها، بل نجده ركّز على الجانب التطبيقي للسانيات، ويقوم عملنا في هذا المبحث على دراسة وتحليل الخطاب اللساني في أعمال ومؤلفات (صالح بلعيد) التمهيديّة، الذي خاض تجربة الكتابة اللسانية كغيره من اللسانيين العرب، وقدم مجموعة من المؤلفات الهامّة، سنحاول في هذا المبحث تحليلها والإبانة عن خصائصها.

يعدّ كتاب: **دروس في اللسانيات التطبيقية (ط 2000)**¹ من أهمّ المؤلفات التمهيديّة التي قدّمها (صالح بلعيد) حيث حاول من خلاله إعطاء نظرة شاملة حول اللسانيات التطبيقية، ذكراً تعريفها ومجالاتها وكلّ ما تعلّق بها.

وثاني كتاب في سياق التأليف التمهيدي كتاب: **علم اللّغة النفسي (ط 2008)** حيث يعتبر من أهمّ المؤلفات في هذا المجال؛ وذلك لحدّثة هذا العلم وافتقار المكتبات العربيّة لمثل هذه المؤلفات، حيث جاء هذا الكتاب ليعرّف علم اللّغة النفسي ويشير إلى أهمّ مصطلحاته ونظرياته وعلاقته باللسانيات التطبيقية.

يشكّل هذان المؤلفان أهمّ ما ألف (صالح بلعيد) في مجال اللسانيات التمهيديّة وفيما يلي تحليل لأهمّ ما جاء فيهما من خصائص:

¹ - إنّ متأمل في العناوين للوهلة الأولى قد يتبادر إلى ذهنه أنّ هذه المؤلفات تصنّف في ما يسمّى (لسانيات التخصّص) هذا ما يبدو عليه ظاهراً؛ لكن بعد تصفّحها نجد بأنّها تنتمي إلى اللسانيات التمهيديّة، لأنّ الغرض منها تبسيط المعلومة للقارئ، سنفصل أكثر في المباحث القادمة.

أ- من حيث الموضوع:

بيننا فيما سبق ذكر في الفصول السابقة أنّ تحديد موضوع أيّ عمل أو مؤلّف يكتسي أهمية بالغة، ذلك أنّه من شروط العلميّة التي تعارف عليها المتخصّصون في مجال النّقد والفلسفة، وإذا كان الأمر كذلك فمن البديهيّ أنّ موضوع الكتابة اللسانية التمهيدية هو اللسانيات وكل ما يتعلّق بها من مبادئ ومناهج ونظريات وأعلام ومدارس، ومن هذا المنطلق نتساءل: هل التزم صالح بلعيد بالإشارة إلى موضوع مؤلفاته التمهيدية وتحديده بوضوح؟

نقف عند أول مؤلّف تمهيدي الذي عنونه الباحث ب: دروس في اللسانيات التطبيقية، فلقد احتوى هذا المؤلّف على مدخل ومجموعة من الفصول والمباحث، حيث أشار المؤلّف في مقدّمة كتابه إلى تبنّيه التّأليف في موضوع اللسانيات التطبيقية، وذلك لأهميّة الكبيرة في الجامعات ومراكز البحث حيث يقول: "إنّ اللسانيات التطبيقية موضوع حديث وطريف لم تظهر فيه مؤلّفات كثيرة باللّغة العربيّة، اللهمّ تلك المترجمة، في الوقت الذي أصبح علم اللّغة التطبيقي قي أوربا من التخصّصات المهمّة في الجامعات ومراكز البحوث والمؤسّسات المعنية باللّغات الحديثة تدريسا وبحثاً"¹.

فقد أشار الكاتب إشارة واضحة إلى علم اللّغة التطبيقي، وبين أهمية التّأليف فيه، ويصرّح (صالح بلعيد) في مقدّمة كتابه بالشّح والنقص الكبير في الكتابات التي تشرح وتيسّر اللسانيات التطبيقية للقارئ المبتدئ حيث يرى بأنّه موضوع حديث وطريف لم تكتب فيه كتب كثيرة باللّغة العربيّة، إلّا بعض الترجمات²، كما تحدّث المؤلّف عن المفاهيم العامّة في اللسانيات التطبيقية والفرق بين علم اللّغة العام وعلم اللّغة التطبيقي الذي يعرفه بقوله: "أو ما يسمّى باللّسانيات التطبيقية، وهو حقل من

¹ - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر العاصمة، 2000، ص4.

² - المرجع نفسه، ص4.

حقول اللسانيات، ظهر سنة 1946م في الوقت الذي ظهر في الاهتمام بمشاكل تعليم اللغات الحيّة للأجانب، إلى جانب ازدهار الدراسات التطبيقية... يدرس اللّغة بغرض الحصول على طبيعتها في ذاتها ومن أجل ذاتها... لأنّ موضوعه هو الإفادة من مناهج علم اللّغة ونتائج الدّراسات في هذا المجال ومن ثمّ تطبيق ذلك في مواقف التعلّم اللّغوي¹.

وبعدّ الإلمام بالتعاريف دليل واضح على تركيز (صالح بلعيد) على الموضوع دون أن يحيد عنه، ويقابل هذا التعريف تعريف آخر لبيان الفرق بين علم اللّغة التطبيقي وعلم اللّغة العام الذي يعرّفه بقوله: "هو ذلك العلم الذي يدرس اللّغة على نحو علمي، من حيث أصواتها وتركيبها ودلالاتها، دون الاهتمام بالسياقات الاجتماعية... ويضم كلّ فروع البحث اللّغوي المتعلّقة بالمفاهيم والنظريات والمناهج والمقارنة واللّهجات والتطبيق، وموضوع دراسة اللّغة كوسيلة اجتماعيّة²"، من خلال ما سبق يبدو بأنّ المؤلّف يصرّح بموضوع كتابته التمهيدية في مقدّمة كتابه، فهو يحاول تبسيط اللسانيات التطبيقية للقارئ العربي المبتدئ، وقد أشرنا في البداية إلى أهمية تحديد الموضوع وعدم الخروج عنه، ومن هنا نرى بأنّ الكاتب وّفق منهجيا في تحديد الموضوع والإشارة إليه انطلاقا من العنوان إلى فهرس الكتاب، لذلك يندرج طرحه ضمن الطرح العام، حيث قام بتقديم اللسانيات بصفة عامّة.

أمّا مؤلّفه الموسوم بـ: **علم اللّغة النفسي**، الذي هو في حقيقته مجموعة محاضرات ألقاها (صالح بلعيد) على طلبة الماجستير قسم علم النّفس في جامعة مولود معمري بتيزي- وزو، ويظهر من عنوان المؤلّف أنّ موضوعه هو علم اللّغة العام في شقّه النّفسيّ وفي هذا يقول المؤلّف: "هي محاضرات في علم اللّغة النفسيّ وقد تقدّم مصطلح اللّغة على مصطلح النّفس، وتعطى الأهميّة للفظ المتقدّم، فعلم اللّغة النّفسيّ معنى أنّ

¹ - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص11.

² - المرجع نفسه، ص16.

القسم الأكبر في جانب علم اللغة، عكس قولنا علم النفس اللغوي... كما يقع التركيز في هذا العمل على البحث في اكتساب اللغة الأم، وما لها من علاقة بتعلم اللغة الأولى والثانية، دون الحديث عن مسائل عضوية فسيولوجية وعصبية... وأستهدف أن يكون مدخلا لعلم اللغة النفسي¹، ومن هنا يتبدى لنا الموضوع الذي ركز عليه (بلعيد) في مقدّمة كتابه، وهو علم اللغة على اعتباره المقصود بالدراسة والتحليل، وقد حرص المؤلف على تقديم موادّ هذا الكتاب مبسّطة وسهلة للقارئ المبتدئ، وذلك يثبت بأنّها تنتمي إلى اللسانيات التمهيديّة، حيث سعى لجمع المادة العلمية، وحاول تقديمها بطريقة موجزة، مقلّلا متنها، ومحلّلا مبسّطا، ذلك أنّ الأفكار المطلوبة موجودة في المصادر والمراجع وعلى الطلبة الرجوع إليها²، وفي هذا الإطار عالج المؤلف مجموعة من الأفكار والجزئيات لخصّها ضمن الفصول التالية: ما هو علم اللغة النفسي؟ مدخل عام في اللغة، تحديد مصطلحات علم اللغة، فروع علم النفس، نظريات التعلم عند علماء النفس، علم التربية، مناهج البحث التربوي، نظرية التعلم اللسانية.

من خلال الاطلاع على الكتاب والعناوين السابقة يبدو أنّ (صالح بلعيد) أراد تقريب علم اللغة النفسي من القارئ العربي بطريقة سهلة ومبسّطة، ليضمن بذلك اطلاعه على كل مستجدات النظرية اللغوية النفسية دون خلط، وذلك عن طريق تراتبية واضحة ومنطقية تعكسها عناوين المباحث المقدّمة، إنّ دقّة (صالح بلعيد) في تحديد موضوع اللسانيات في مؤلفاته ليست حكرا على مؤلف بعينه؛ بل هي علامة بارزة في كلّ أعماله، فالمطلّع على مؤلفات لا يشعر بخروج الكاتب عن موضوعه، أو تحدّثه عن مواضيع قريبة، وهذا يدلّ على سلامة الطرح ودقّة الموضوع.

1- صالح بلعيد، في علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008، ص7.

2- المرجع نفسه، ص7.

ب- من حيث المنهج:

لقد أشرنا في الفصول السابقة أنّ الكتابة اللسانية التمهيدية تعتمد المنهج التعليمي، الذي يهدف إلى إيصال وتقديم المعارف اللسانية للقارئ المبتدئ بأسلوب مبسّط، وفي هذا الصدد يقول مصطفى غلفان: "تعتمد اللسانيات التمهيدية المنهج التعليمي القائم على الوضوح والتبيان والشرح وما يتطلبه كل ذلك من وسائل مساعدة من أمثلة ورسوم بيانية"¹ ويقنضي الطرح المنهجي السليم الإشارة إلى المنهج المتبع في المقدمة، حتى يسهل على القراء والمتخصصين والنقاد فهم الطريقة التي بها تناول المؤلف موضوعه.

وإذا تتبّعنا مقدّمة المؤلف الأول والثاني؛ نجد أنّ الباحث لم يشر إشارة واضحة إلى المنهج الذي تبناه في المؤلفين، وهي تعدّ من السلبيات التي كان عليه التأليف فيما مضى، ولا أحسب المؤلف ممّن يتساهلون في هذا الشأن، كونه يؤكّد على ضرورة التصريح بمنهج البحث، ولكن من خلال النظر الفاحص يمكننا أن نفهم أنّ المنهج المشترك بين المؤلفين هو المنهج التعليمي؛ وذلك بسبب أنّ كليهما موجّه لطلبة الجامعة، فهي إذا مجموعة محاضرات كانت تدرّس للطلبة؛ وأفكار مبنوثة في وريقات، فرأى الكاتب أهمية جمعها وترتيبها وتقديمها للقارئ المبتدئ أولاً، وللقارئ المتخصّص عامة، لتكون مرجعا مفيدا له في بعض دروسه، ولكن ما يجمع بينها أنّها تتبع منهجية لسانية عامة²، وعلى الرّغم من إشارة المؤلف إلى منهجية اللسانيات العامة، إلاّ أنّه لم يوضّح أي منهجية طبّق، هل هي المنهجية الوصفية النّابعة من أعمال سوسير؟ أم هي منهجية المقارنة أو التاريخية مثلما كانت في عهد الفيلولوجيا أو الفيلولوجيا المقارنة؟، ونراه يقصد بالمنهجية اللسانية العامة، اعتماد العلميّة والدقّة في الطرح

1- مصطفى غلفان، أسئلة المنهج، ص 62.

2- صالح بلعيد، في علم اللّغة النفسي، ص 3.

والمعالجة، ومهما يكن فالظاهر أنّ المنهج التعليمي هو المسيطر، لأنّ المؤلف يعتمد كثيراً على التعريفات (كتعريف علم اللغة التطبيقي وتعريف علم اللغة النفسي) كما يركّز على اللغة البسيطة السهلة، ويبتعد عن اللغة العلميّة الصعبة، إضافة إلى اعتماده بين الحين والآخر على المقارنة، وهي آلية تعليمية تبسيطية لتسهيل فهم الطلاب، والإكثار من الشروحات والمداخل (مدخل عام في اللغة) وذلك كلّه لتحقيق الغاية التعليميّة والتربوية من خلال مؤلفاته.

ج- من حيث الغاية (الهدف):

تتشترك الكتابات اللسانية التمهيدية في غاية موحّدة هي الغاية التعليمية، ونعني بها محاولة إفادة القارئ المبتدئ، ومن هنا فهل ركّز صالح بلعيد على هذه الغاية؟ أم له غايات مضمرة؟

لقد انطلق (صالح بلعيد) في مقدمة كتابه: دروس في اللسانيات التطبيقية، من غاية بارزة تتمثّل في محاولة إفادة طلبة الجامعات، حيث يقول: "وهكذا جاء هذا الكتاب من أجل إعطاء نظرة جديدة تعمل على صقل مهارات الطلبة وتطوّر ممارساتهم التربوية على مستوى تقويم حصيلة التدريس الجامعيّ في جانبه النظريّ، إضافة إلى تصوّر حاجات المتعلمين في هذا الميدان...ولأسدّ النقص الذي تعانيه المادة في توفير المرجع المبسّط لها"¹، فليس المشكل في كثرة الكتابات التي تقدم اللسانيات التطبيقية للقارئ؛ بل في مستوى بعض الكتابات التي لا يستطيع الطالب الجامعي المبتدئ فهمها، وبخاصّة بعض المراجع المترجمة التي لم يستطع أصحابها تبسيطها بالشكل الذي يفيد الطلبة المبتدئين.

ولا تتوقّف غاية (بلعيد) عند هذا الحدّ؛ بل يصرّ على غاية نعتبرها مضمرة وتتمثّل في الغاية الإصلاحية، فلا يخفى على أحد الأزمة التي تعاني منها مناهج

¹ - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص8.

التعليم في الدول العربيّة بصفة عامّة وفي الجزائر بصفة خاصة، حيث يعتبر (صالح بلعيد) من الباحثين الذي يحاولون إصلاح البرامج الدّراسية وطرق التدريس ومناهجه، ونراه يشير إلى ذلك في قوله: "تشخيص المشاكل وتجاوزها، أي تشخيص الداء لتجرّع الدواء بغية الحلّ، إعداد طالب مواطن فاعل قادر على خدمة الوطن المتلزم بقضائيه، طرح آراء ومواقف للنّقاش والنقد والمقارنة من خلال المنهاج الوزاري المراد تطبيقه، ومن أجل ذلك جاء تأليف هذا الكتاب"¹.

ولا يختلف المؤلّف الثاني عن الأوّل؛ حيث يصرّح (بلعيد) في مقدّمته كتابه (علم اللّغة النفسي) بغاية ذاتيّة تتمثّل في الرغبة التّأليفية، وتتمثّل في الطّموح إلى تحقيق مكاسب علميّة جديدة فيقول: "لقد جمعت مادة هذا الاختصاص من مظان متعدّدة، وربطت ذلك موضوعات علم اللّغة النفسي، بغية الكشف عن خصائص هذا العلم، وعلاته بعلم اللّغة العام، وعلم النفس العام، وعام اللّغة التطبيقي، والنظر إلى ما يقدمه علم اللّغة النفسي من نظريات وأفكار وحلول إلى المتعلّم"².

كما أشار إلى الغاية التّعليميّة بوضوح في هذا الكتاب، وركّز عليها بوضوح كبير، لأنّها مجموعة محاضرات موجّهة لطلبة علم النّفس، الذين يجهلون بعض المباحث المتعلّقة باللّسانيات واللّغة، لذا نجد (بلعيد) صاغها على شكل نقاط جاءت كالتالي:

- "التركيز على مشكلة ضعف الأداء لدى طّلاب علم النّفس، ومن ذلك سعيت من خلال المحاضرات الاعتماد على مشافهة الطّلاب وإشراكهم في الدرس.
- تمكين طلبة علم النّفس من المادة اللّغويّة وبكلّ ما يحيط جوانبها اللّغوية.
- تعريف الطّلبة على العموم بمستجدات علم اللّغة.

1- صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التطبيقية، ص 7.

2- صالح بلعيد، في علم اللّغة النفسي، ص 3.

- تمكين الطلبة من التعلق بمادة علم اللغة النفسي لما يطرحه من قضايا معاصرة...¹ هذه أهمّ الغايات التي أشار إليها المؤلف.

من خلال ما سبق نخلص إلى أنّ (صالح بلعيد) يركّز في كتاباته التمهيديّة على الغاية التعليميّة، لكونها أسمى الغايات في اللسانيّات التمهيديّة، لكنّه يركّز على غايات أخرى، مثل الغاية التأليفية، كلّ هذه الغايات وُظّفت لغاية واحدة وهي تبسيط المعرفة اللسانية للقراء والمبتدئين والطلبة.

2-بنية الخطاب اللساني التمهيديّ عند صالح بلعيد:

إذا نظرنا إلى أيّ خطاب سواء كان علميا أو أدبيا أو لسانيا، سنجدّه يرتكز على ثلاثة جوانب رئيسة، يمكن من خلالها الوصول إلى فهم عميق للمضمون والغرض من الخطاب، وتلك الجوانب هي: العنوان، المقدمة، ولغة الخطاب، ولكلّ من هذه العناصر دور مهمّ في تحديد موضوع الخطاب وتأثيره على المتلقي، ولكن من الواضح أنّ التركيز سيقع على تأثير هذه العناصر في الخطاب، ومن هنا فالخطاب اللسانيّ عند (صالح بلعيد) يكون عادة بنية لسانية متكاملة تحكمها عملية الانسجام بن عناصره المختلفة، سواء كانت الفكرة، الأسلوب أو اللّغة، أو التنظيم العام، ومن هنا نتساءل: كيف وظّف (بلعيد) العناوين والمقدّمات في التأثير على انسجام النصّ؟

أ-العنوان:

لقد أوضحنا فيما سبق أنّ للعنوان أهميّة بالغة في كلّ الأعمال العلميّة؛ ذلك لأنّه نقطة الالتقاء الأولى بين الكتاب والقارئ، ومن المؤكّد أنّ (صالح بلعيد) مدرك لأهميّة العناوين في توجيه القارئ المبتدئ إلى التّواصل الأمثل مع محتويات الكتاب، لذلك نراه حريصا على انتقاء العناوين السّهلة والمبسّطة وهذا ما أكده بقوله: "جاء تأليف هذا الكتاب...في مادة اللسانيّات التطبيقية، والذي عنونته بـ (دروس في اللسانيّات

1- صالح بلعيد، في علم اللّغة النفسي، ص4-5.

التطبيقية). ولقد تحرّزت كثيرا من العنوان حيث إنّه لا يجسد كلّ أغراض اللسانيات التطبيقية¹ ومن الملاحظ أنّ اللسانيين يختلفون في انتقاء العناوين، فمنهم من يستعمل العناوين الرئيسية فقط، ومنهم من يضيف دوال جزئية شارحة للعنوان، فبلعيد يوظّف عناوين رئيسية، والجدول التالي يوضح ذلك:

المؤلف	العنوان الرئيس	العنوان الفرعي
01	دروس في اللسانيات التطبيقية	/
02	علم اللّغة النّفسي	/

نلاحظ على هذين العناوين أنّهما يشتركان في ميلهما إلى الاختصار، كما أنّهما واضحا لا يحتاجان إلى دوال شارحة، فبساطة العناوين واختصارها يتناسب مع الهدف الذي من أجله وجدت الكتابة اللسانية التمهيديّة، فهذه الخصائص تبيّن حرص الكاتب على الوظيفية التواصلية بينه وبين القارئ، لأنّه يستعمل مصطلحات سهلة مثل: (دروس) فهذه الكلمة توحى بالسهولة والبساطة التي يبحث عنها الطالب المبتدئ وهنا تظهر الغاية التعليميّة، أمّا في العنوان الثاني فنجد الكاتب يركّز على مصطلح (علم اللّغة)، الذي يُعدّ من المصطلحات الأولى التي تُرجمت إليها كلمة (linguistique)، ولأنّ هذا الكتاب مجموعة محاضرات موجّهة لطلبة علم النّفس؛ الذين يصعب عليهم التفريق بين الزخم المصطلحي، مثل: علم اللّغة، اللسانيات، الألسنية... فالكاتب وظّف ركّز على الوظيفية المرجعية، ليشير بها إلى مضمون الكتاب، فعادة ما ترمز كلمة (علم) إلى شيء ذا أهميّة، أو إشكالية فلسفيّة، قد تحمل الكثير من الصّعوبة والتشعب، ومن هنا فالكاتب استعمل الوظيفية التأثيرية ليثير فضول القارئ ويجذبه إلى محتوى الكتاب.

¹ - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص 7-8.

من خلال ما سبق طرحه نخلص أنّ (صالح بلعيد)¹ وفق إلى حدّ كبير في اختياره لعناوين دراساته التمهيدية، إضافة إلى أنّ العناوين تحيل إلى الموضوع بدقّة متناهية، وقد أسهمت بشكل كبير في انسجام مضامين كتبه والعناوين.

ب- المقدّمة:

بدأ (صالح بلعيد) كتابه: دروس في اللسانيات التطبيقية، بمقدّمة موسّعة اشتملت على العديد من الجزئيات الهامة، منها بيان توجّهه العقليّ الموضوعي، بعيدا عن الانتماءات الشخصية فيقول: "أنطلق في تدوين مادة اللسانيات التطبيقية من خاتمة قول عبد الله بن المقفع الذي يعزم على أنّ أمانة العقل تكون باختيار الأمور بالبصر، وتنفيذ الاختيار بالعزيمة، ولذا تراني أستعمل كثيرا العقل قبل النقل، لكون العقل أقرب إلى الموضوعية والتعليل"² كما ذكر في مقدّمة خلو المكتبة العربية من التأليف في مجال اللسانيات التطبيقية، على عكس ما يحدث في الثقافة الأوروبية التي تقبل بشكل كبير على هذا العلم لأهميته، فهو يرى أنّ اللسانيات التطبيقية "موضوع حديث طريف لم تظهر فيه مؤلفات كثيرة باللّغة العربية... في الوقت الذي أصبح علم اللّغة التطبيقي في أوربا من التخصصات المهمة في الجامعات... وتصدر فيه مؤلفات كثيرة تطبيقية"³ كما أشار الكاتب إلى أهمية اللسانيات التطبيقية في النهوض بقطاع التعليم، وبيّن أهميته للخوض في غمار العولمة والتطوّر، ومن أجل ذلك جاء تأليف هذا الكتاب الذي وجّهه الكاتب لطلبة السنة الأولى الجامعية في مادة اللسانيات التطبيقية، كما أبان (صالح بلعيد) عن تواضع كبير في تقييم عمله، لأنّه يرحب بكل نقد بناء أو اقتراح لتحسين هذا العمل حيث يقول: "وتراني أمام هذا النقص الخاص في المفردات

¹ - الملاحظ أنّ صالح بلعيد وعبد السلام المسدي، يشتركان بشكل واضح في صياغة عناوين الأعمال اللسانية التمهيدية، ويعتمدان طريقة الصياغة نفسها، ولعلّ ذلك راجع إلى اطلاع صالح بلعيد على أعمال عبد السلام المسدي وقد أشار إلى ذلك في مقدّمة مؤلّفه.

² - صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص4.

³ - المرجع نفسه، ص4.

أدفع بهذا العمل الذي لا يخلو من الشوائب والهفات إلى المدرّسين والطلبة... وأرجو من خلال ملاحظات المعنيين أن تجتمع لدي اقتراحات للتطوير... ويعني هذا أنني أرحب بكل نقد ولود للأفكار الجديدة¹، لأنّ نقد المعرفة يمكن من تحسين جودتها، ممّا يسهم في التطور والابتكار وتعزيز الحوار والتفاعل، ويشجّع على البحث عن حلول جديدة وطرق تفكير مبتكرة في شتى المجالات.

أمّا في مقدّمة كتابه (علم اللّغة النّفسي) فاستهلّها الكاتب بتبيين الفئة المستهدفة وهم طلبة الدّراسات العليا (ماجستير) قسم علم النّفس، وقد بيّن بأنّها "محاضرات كانت محلّ التدريس طوال العام الدراسي... ويلاحظ القارئ بعض التكرار وعدم الترتيب المنطقي في تلاحق المحاضرات وهذا من طبيعة الدرس... ولكن ما يوحدّها أنّها تتبع منهجيّة لسانية عامة وتسعى إلى تقديم الزاد المعرفي في الاختصاص"²، ما يمكن تسجيله على هذا القول أنّ الكاتب صرّح فيه بالمنهج اللّساني المتّبع، وبالغاية من وراء إنجازها والفئة المستهدفة، كما أشار إلى بعد ذلك السلبيات الموجودة في عمله وهو التكرار، وقد أكّد الكاتب على أهميّة اللّسانيات؛ لأنّها تحقّق وباستمرار إيجابيات عديدة ونوعية في كثير من المجالات، ونراها تطوّر أفكارا جديدة ومعارف غريبة، فلا بد من الإطلاّع على مستجداتها³.

إنّ الكاتب يحاول جذب القارئ إلى أهميّة الخوض في ميدان اللّسانيات من خلال إظهار قيمتها وأهميّتها، فكما قلنا سابقا الكتاب موجّه لطلبة علم النّفس، الذين لم يسبق لهم الاطلاّع على اللّسانيات ولا يملكون فكرة عنه، وقد أبدى الكاتب عدم رضاه عن العمل الذي قدّمه لأنّه يفتقر إلى التعمّق ويجنح كثيرا إلى البساطة، حيث يقول: "كما لا أنكر أنني بعد نهاية جمع المادة لم أكن راضيا كل الرضا عن العمل، فهو يفتقر

1- صالح بلعيد، دروس في اللّسانيات التطبيقية، ص 8.

2- صالح بلعيد، في علم اللّغة النّفسي، ص 3.

3- المرجع نفسه، ص 5.

إلى كثير من القضايا التي تجعله أحسن ممّا هو عليه وأراه بسيطاً شحيحاً يحتاج إلى تطوير آخر¹، وهذا دليل آخر على التواضع العلمي الذي يميّز به الكاتب، بل نراه يدعو إلى نقد عمله وإلى توجيهه وعدم السكوت عن الأخطاء بل ويرجو من النقاد إليّ أن يقوموه، لأنّه في حاجة إلى التنبيه والتوجيه، فالبعد عن الحوار والسكوت عن الزلات يؤدّي عدم تطوّر البحوث والدراسات².

ونخلص أنّ (صالح بلعيد) في المقدّمة الأولى والثانية استطاع التأثير في المتلقّي وجذبه إلى قراءة مؤلّفه، فأسلوبه في هيكلة المقدّمة مألوف لدى القارئ، ولكن الخل الذي سجّناه يكمن في طول المقدّمتين، فالقارئ قد يشعر بالملل وينفر من قراءة الكتاب.

ج- لغة الخطاب اللساني التمهيدي عند صالح بلعيد:

أشرنا سابقاً أنّ الهدف من اللسانيات التمهيدية تيسير المادة العلمية للطلبة والمبتدئين وتبسيطها لهم، ولا شك أنّ من أدوات التبسيط استعمال لغة مناسبة وسلسة تجتمع فيها كلّ مقومات الايضاح والشرح: فهل توفّرت لغة (صالح بلعيد) على هذه الخصائص؟

أ-الوضوح:

بعد تتبعنا للخطاب اللساني التمهيدي عند (صالح بلعيد) وجدناه يبتعد كثيراً عن الغموض والصعوبة؛ كونه موجّه لطلبة اللسانيات، وخطاب الكاتب في مجمله يتّسم بالوضوح والسهولة، ودليل ذلك استخدامه للكثير من وسائل الشرح والتفسير والإيضاح ومنها التعاريف؛ حيث يوظّفها في المؤلّف الأول بصفة واضحة وجليّة تحت عنوان (المفاهيم العامة في اللسانيات التطبيقية) وذلك من خلال تعريف علم اللغة التطبيقي والتخطيط اللغوي، ولغة الإعلام وغيرها من التعاريف، أمّا في المؤلّف الثاني فنجدّه

1- صالح بلعيد، في علم اللّغة النفسي، ص7.

2- المرجع نفسه، ص8.

ينتهج الطريقة نفسها؛ بتعريفه لعلم اللّغة النفسي، وبيان خصائصه، وعلاقته بعلم النفس اللّغويّ، واستخدامه العديد من المداخل مثل: مدخل عام في اللّغة، وتحديد مصطلحات علم اللّغة، ونجده يعتمد هذه الطريقة بداية كلّ مدخل أو مبحث، إضافة إلى استخدام الجمل القصيرة المختصرة، ومثال ذلك تعريفه للكلام حيث يقول: "الكلام parole بمعنى الكلام؛ أي ممارسة فردية منطوقة، أي إظهار الفرد للغة، ويعني تحقيق الفرد للغة عن طريق الأصوات الملفوظة أو عن طريق العلامات المكتوبة"¹، كما يتميّز أسلوب الكاتب بوجود مقومات تجذب انتباه القارئ، ممّا يزد فعالية التواصل بين القارئ والكاتب الذي يحافظ على الوضوح من خلال عدم الانحراف عن الموضوع إلى مواضيع أخرى قد تشتت ذهن القارئ.

ب-الموضوعيّة:

ظهر (صالح بلعيد) في كتاباته التمهيدية على قدر كبير من الموضوعية وبخاصّة عندما أبدى رأيه في مسألة التراث والحداثة، حيث نراه يدفع الطلبة إلى التجديد لمعرفة أسرار الحضارات الأخرى والانفتاح عليها وفي هذا يقول: "إني مهتم بمعرفة الآخر وعلوم الآخر وبمعرفة أفكاره للتواصل معه من موقع العالم بأسراره، بدل أن نبقى قابعين في تراثنا نكرّره، تراثنا ذو عمق إنساني قديم انبنى على استيعاب الروافد السابقة...ولكنّه يحتاج الآن أن يُحيّن ضمن أفكار الدراسات اللّغويّة المعاصرة"². فالكاتب يراهن على مسألة التطوّر والتجديد دون نسيان الأصول التراثية، كما وجدناه يبتعد عن فكرة الانتقال من أعمال اللّسانيين الذين يشاطرونه الميدان نفسه، ولا يصدر أحكاماً دون دليل، ولا شك أنّ هذه الأمور عكست موضوعيته بشكل واضح وجليّ، وهذا دليل على أنّه يسعى لتحليل الأفكار بشكل موضوعي وعلمي.

1- صالح بلعيد، في علم اللّغة النفسي، ص61.

2- المرجع نفسه، ص6.

ج-الانتظام:

يتميّز الخطاب العلمي عن غيره من الخطابات بمميّزات عديدة، فهو قائم على انتظام الأفكار وترتيبها والتخطيط لها مسبقاً، ومنهجية (صالح بلعيد) يظهر فيها التخطيط المسبق جلياً، فهو يقدّم مادة كتبه بشكل منتظم ومرتبّ، ففي كتابه: علم اللّغة النفسي؛ نلاحظ أنّ عناوين المباحث متقاربة ومتسلسلة، ومثال ذلك: (ما هو علم اللّغة النفسي/ مدخل عام في اللّغة/ تحديد مصطلحات علم اللّغة/ فروع علم النفس/ نظريات التعلّم عند علماء النفس/ علم التربية...) وهذا مثال آخر من كتابه: دروس في اللّسانيات التطبيقية (طرائق التبليغ، الطريقة الإلقائية/ الطريقة التكاملية/ الطريقة التلقينية/ الطريقة الحوارية/ الطريقة الاستقرائية) فالانتظام والتماسك من خلال ماسبق ذكره نابع من تقسيم (بلعيد) الموضوع العام إلى مواضيع جزئية مترابطة، فالأفكار الجزئية تخدم الأفكار العامة، وهذا ما يتيح للقارئ فرص الفهم بسهولة.

4-القضايا اللسانية في مؤلفاته التمهيديّة:

أ-آراؤه في اللّسانيات واللّسانيات التطبيقية:

تتمثّل علاقة اللّسانيات باللّسانيات التطبيقية في استخدام النظريات اللّسانية في حلّ المشكلات العلميّة والتعلّميّة، وتطبيقها على الواقع العلمي؛ فاللّسانيات التطبيقية تعتمد الأسس والمفاهيم النّظريّة التي تأتي من مختلف تخصصات اللّسانيات مثل: علم الصوتيات والصرف والدلالة، وتطبّقها على مجالات التعليم، وبالنسبة لصالح بلعيد فهو لا ينكر فكرة التكامل بين اللّسانيات العامة واللّسانيات التطبيقية، ومع ذلك فإنّه يرى بأنّ بينهما عدّة فروقات وهذه أهمّها:

- "علم اللّغة العام هو النّظرية، وعلم اللّغة التطبيقي تطبيق للنّظرية.

- علم اللّغة العام أعمّ وأسبق، وعلم اللّغة التطبيقي خاص، ويأتي تجسيدا

لنصوص علم اللّغة العام.

- علم اللّغة يقترح موضوعات، وعلم اللّغة التطبيقي يجري عليها الدراسات التطبيقية.

- علم اللّغة العام يقترح حلولاً، ولا ينظر في إمكانية تطبيقها، وعلم اللّغة التطبيقي يدرس تلك الحلول، وكيفية تجسيدها أو عدم تجسيدها.

- علم اللّغة ينظر في عمليات التلقي والاكْتساب اللّغوي، وعلم اللّغة التطبيقي ينظر في ممارسة اللّغة¹.

ومن هنا فالكاتب يرى بأنّ العلاقة بينهما علاقة الأصل بالفرع، إذ لا يمكن الخلط بينهما نظرياً، بل يجب التفريق بينهما إجرائياً، فهي علاقة تأثير وتأثر وأخذ وعطاء.

ب- التداخل العلمي بين اللسانيات وعلم النفس:

لم تجتمع اللسانيات الحديثة مع علم النفس إلا في العصر الحديث، وهي ضرورة أملت الظروف والتغيرات الإنسانيّة، وقد نتج عن العلاقة علم آخر عرف بعلم اللّغة النفسي، حيث يقول (صالح بلعيد): "إنّ ذلك العلم الذي يجمع بين إشكالات وتعقيدات كلّ من اللّغة وعلم النفس، ممّا يجعله فائق التعقيد والصعوبة، وممّا يزيد في احتمالات الشّطط فهو فرع يسهّل عملية الاتّصال الإنسانيّ في المجموعة اللّغويّة الواحدة"²، كما أنّ هذا التفاعل يعزّز الروابط بين اللّغة والفكر، وينتج عنه نظريات جديدة حول التعليم والتعلّم، واكتساب لغات جديدة، وعلاج لبعض أمراض الكلام المستعصية، فهو حسب رأيه يسهّل لنا معرفة وظيفة اللّغة في المعرفة الإنسانيّة، ويعكس تطوّرات لغة الطّفل في تعلّم فكّ قوانينها، وينكبّ على دراسة اللّغة الإنسانيّة الطبيعيّة وبحث آليات فهمها وتعلّمها وإنتاجها، كما يهتمّ بمختلف المباحث اللّغويّة؛ سواء كانت من وجهة نفسيّة أو اجتماعية³.

¹- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، ص 20.

²- صالح بلعيد، في علم اللّغة النفسي، ص 9.

³- المرجع نفسه، ص ن.

ومن هنا يتعاون علم النفس واللسانيات في فهم مختلف جوانب اللغة والتواصل البشري، ويساهم كلّ منهما في إثراء فهمنا للعقل البشري وطرق تفاعله مع العالم حوله.

ج- علاقة اللسانيات النفسية باللسانيات التطبيقية:

اللسانيات النفسية علم يدرس الظواهر اللغوية من الجانب النفسي، ويستخدم في ذلك ما توصل إليه علم النفس من مناهج وأفكار، حيث يرى (بلعيد) أنّ علم اللغة النفسي لم يتطور بقوة في الثقافة العربية بعد، سواء بالفعل أو بالقوة يتكون من: علم اللغة وعلم النفس، يبحث الترابطات بين النفس البشرية والظواهر اللغوية، والتي هي المباحث التي تربط بين الظواهر اللغوية والظواهر النفسية¹، أمّا اللسانيات التطبيقية فيعتبره الكاتب مستقلا عن مجالات البحث الأخرى حيث يقول: "إنّ علم اللغة التطبيقي يعتبر مجالا مستقلا من مجالات البحث نقطة انطلاقها الوعي بالمشاكل التطبيقية في ميدان تدريس اللغات وتحليل هذه المشاكل ثمّ العمل على إيجاد الحلول التربوية الملائمة لها، وعلم اللغة هو الينبوع الذي يمدّ علم اللغة التطبيقي بالمعارف اللسانية، وبطرق البحث ومناهجه قصد تحديد الحلول الممكنة"².

ومن هنا يظهر جليا أنّ اللسانيات النفسية تابعة لعلم اللغة التطبيقي وفرع من فروعها؛ فالكاتب يرى بأنّها "تبحث في موضوعات نفسية لسانية كالتفكير والخيال والتذكّر والوجدان بالنظر إلى تأثير كلّ طائفة في الأخرى؛ أي إنّها تدرس مختلف الأساليب التي تقيّمها اللغة مع النظم النفسية والطبيعية؛ باعتبارها ظواهر اجتماعية مؤسّسها الإنسان من مثل العادات، التقاليد، الأمور الثقافية"³، فالفرق واضح وجلي بين اللسانيات النفسية والتطبيقية، فاللسانيات النفسية أكثر دقة وتخصّصا، أمّا التطبيقية فهي أكثر انفتاحا على العلوم والنظريات.

1-صالح بلعيد، في علم اللغة النفسي، ص9.

2- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1995، ص 100

3- صالح بلعيد، في علم اللغة النفسي، ص79.

د- تعليم اللغات وتعلمها:

يعدّ تعليم اللغات من المجالات التي شهدت تنوعا كبيرا من حيث النظريات والنتائج والممارسات، فلقد تطوّرت النظريات حول كيفية تعليم وتدرّس اللغات، وكان للسياق الثقافي والتكنولوجي والاجتماعي دور كبير في تشكيل هذه النظريات، ومن هنا يدعو (صالح بلعيد) إلى التأكيد على استثمار ما توصلت إليه اللسانيات من نتائج لتطوير هذا المجال وبعثه من جديد "ولا مرأى في أنك تحتاج إلى التزام وانغماس تامين، واستجابة عضوية وعقلية وعاطفية كاملة، كي تتجح في استعمال لغة ما استعمالا صحيحا، ذلك أنّ تعلم لغة ليس مجرد مجموعة خطوات سهلة يكفي أن تبرمجها ثم تؤديها بنفسك"¹، فقضية تعليمية اللغات من أهم القضايا التي تطرق إليها (صالح بلعيد) كما أنّه في هذا الصدد يوجّه انتقادات لاذعة للطرق التقليدية التي تركز على مبدأ التلقين، ويكون فيها المعلم الطرف الفعّال حيث وجّهت لها أسهم الانتقادات لأنّها جعلت المتعلم طرفا سلبيا في عملية التعلم، وهذا ما ينقص من اكتساب الكفاءات، كذلك جعلت المتعلم لا يستطيع التحليل والتركيز لمدة طويلة في موضوع واحد² كما أنّه انتقد الطرق التي لا تقيم للمتعم أهمية كبيرة.

ولقد تناول الكاتب عدّة قضايا أخرى مختلفة "كفنيات التدريس واللسانيات التربوية والوسائل التعليمية على اختلافها، حديثة وقديمة وطريقة استعمالها لإنجاح العملية التعليمية، والعوامل اللغوية وغير اللغوية في تعليم اللغات، بالإضافة إلى قضية التداخل اللغوي بين اللغات (الدخيل والمعرب) أو بين الفصحى والعامية أو بين اللهجات

1- دوجلاس بروان، أسس تعلم اللغة وتعلمها، تر: عبد الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، ص19.

2- دروس في اللسانيات التطبيقية، ص59.

واللغات¹، ومما سبق ذكر نخلص أنّ (صالح بلعيد) استطاع أن يرتحل بين مختلف مجالات اللسانيات، ويقدم للقارئ أهم ما يمكن تحصيله في مجاله.

ثانيا: الخطاب اللساني التراثي عند صالح بلعيد:

اهتمّ كثير من اللسانيين العرب في العصر الحديث بموضوع التراث اللغويّ العربيّ والمقصود به كلّ ما تركه القدماء من بحوث لغويّة، سواء أكانت من أعمال النحاة أنفسهم، أم من أعمال علماء الأصول والفلسفة والكلام²، محاولين إعادة قراءة النصّ التراثي وإقامة جسور بينه وبين الدرس اللسانيّ الحديث، أو تمجيده وإظهار مواطن القوّة والفرادة في تمثله لقضايا اللّغة والنحو والبلاغة وغيرها، وقد كتب في مجال لسانيات التراث * العديد من اللسانيين المشاركة والمغاربة ونخص بالذكر (صالح بلعيد) الذي حاول سبر أغوار تراثنا العربيّ، وألّف في ذلك كثيرا من المؤلّفات والكتب، حيث تندرج معظم مؤلّفاته تحت ما يسمى بالقراءة القطاعيّة**.

ويعدّ كتاب: (الإحاطة في النحو 1994) أوّل عمل تراثيّ يقدمه الكاتب، حيث عالج من خلاله أهمّ الأفكار المرتبطة بالنحو والصرف مثل: (المشتقات والجموع والتغيرات الصرفيّة وأنواع الجمل و النواسخ والتوابع، وشواهد النحو) وما نشير إليه بالنسبة لهذا المؤلّف أنّه مجموعة من المحاضرات الموجّهة لطلبة الجامعة.

بعد هذا المؤلّف، قدّم الكاتب مؤلّفا آخر عنوانه: (مصادر اللّغة 1994) حيث قدّم فيه للطلبة أهمّ المصادر التراثية في اللّغة وفقه اللّغة والمعاجم.

1 - حياة بناجي، جهود الأستاذ صالح بلعيد في مجال اللسانيات التطبيقية وتعليميّة اللغات، (صالح بلعيد شخصية وطنية عاشت لخدمة العربية وغرس مبادئ المواطنة اللغوية)، منشورات دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2023، ص318.

2- هبة خيار، خصائص الخطاب اللساني، ص204.

* لقد سبق التطرّق لتعريف لسانيات التراث في المباحث السابقة، وأفضل تعريف في هذا المجال ما قدّمه مصطفى غلفان.

** سبق أيضا تعريف هذا النوع من قراءات التراث في الفصل السابق.

وبعد ألف كتابا آخر يحمل عنوان: (في قضايا فقه اللغة العربيّة) تناول فيه مجموعة من المقالات المتنوعة حول (فقه اللغة والنحو وأصول النحو والمدارس النحوية) وقد اندرج هذا المؤلف تحت ما يسمى بالقراءة الشمولية؛ لأنّ لم يركّز على ميدان معيّن؛ بل طرح عدّة ميادين في اللغة.

بعد هذا العمل، يقدّم المؤلف مجموعة من البحوث والمقالات، تحدث من خلالها عن جوانب عديدة من التراث اللغوي العربيّ واللسانيات الحديثة، وقد عنوانه ب: (مقالات لغوية 2004).

لقد شكّلت الأعمال السابقة الخطاب التراثيّ عند (صالح بلعيد)، فمن خلالها حاول الكاتب إرساء دعائم التراث اللغويّ العربيّ في فكر الطلبة والمبتدئين، وإظهار تميّزه وفرادته باختلاف توجّهاته ومباحثه، وسنحاول في المبحث الموالي بيان أهمّ خصائص الخطاب التراثي عنده.

1- تحليل الخطاب التراثيّ عند صالح بلعيد:

أ- من حيث الموضوع:

يدور الخطاب التراثيّ عند (صالح بلعيد) حول شكل من أشكال التفكير اللغويّ القديم، والتفكير اللغويّ الحديث، ولا نجد الكاتب في محاولة للجمع بين التفكيرين إلا في مواطن قليلة، لأنّه في بداية تأليفه كان يؤمن بفكرة تميّز التراث اللغويّ العربيّ القديم، فهو لا يحاول قراءته وتفحصه-على الرغم من أنه يدعو إلى ذلك في الكثير من الأحيان- بقدر ما يحاول تيسيره وإيصاله إلى فكر الطلبة، فقد جاء في مقدّمة كتابه (الإحاطة في النحو) أنّ موضوع كتابه هو النحو والصرف، حيث يقول: "هذه المطبوعة موجّهة لطلاب السنة الثانية الجامعية (أقسام اللغة والأدب والعربي) وهي عبارة عن محاضرات في المادة (النحو والصرف) كنت ألقياها على طلاب هذه المرحلة على مرّ السنوات الماضية، وقد أتيت لي فرصة طبعها، وها أنا أقدمها عوناً للطلاب

في تحصيلهم لمادة الصرف والنحو العربي"¹، فما يبدو من خلال مقدّمة الكتاب أنّه لا يركّز على فكرة لسانيات التراث، بقدر ما يركّز على التراث نفسه، كما أنّه يراعي مسألة التعليم والتبسيط مثلما رأينا في مبحث اللسانيات التمهيدية، لذلك يقول: "فقد حاولت جمع المادّة الخاصّة بكل درس وأحطته من جميع جوانبه، مستكفياً الطالب عناء البحث في المصادر والمراجع التي تخدم موضوعاً من المواضيع"².

أمّا في مؤلّف آخر فنجد (صالح بلعيد) أكثر وضوحاً في تحديد موضوع كتابه، حيث يرى أنّ مؤلّفه جاء للإجابة عن إشكالات عالقة في قضايا فقه اللّغة العربية رغم ما بُحث فيها، بل إنّ كثيراً منها نال قدراً وافراً من البحث في كلّ زمان ومكان، لكن تلك الدّراسات بدورها بحاجة بح إلى نقد³، فموضوع فقه اللّغة تراثيّ بامتياز حاول فيه الكاتب إعادة القراءة للوصول إلى جوانبه الهامّة والمميّزة، حيث يرى أنّه حاول "التنبية على بعض الأمور اللّغوية؛ التي أراها جديرة بالدراسة في فقه اللّغة، وربما هذا هو الجديد في الكتاب؛ أيّ النظر إلى الموضوع بالعودة إلى أصله، مع محاولات الاستنارة بالآراء الحديثة"⁴، يقصد بالآراء الحديثة ما تحمله النظريات اللّسانية من أفكار وفلسفات جديدة، يكون الهدف إعادة الطرح والفهم، ومن بين القضايا العديدة الطرحها الكاتب في هذا المؤلّف:

- " علاقة المنقول بالمعقول في النحو العربي.

- العناية بقراءة التراث قراءة جديدة لتحديد المواقع التي يسمح بها بمس القوانين

الصارمة.

1- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1994، ص5.

2- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ص2.

3- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربية، ص3.

4- المرجع نفسه، ص4.

- الأصالة أن تفيد من الماضي ولا تنتقل منه، وأن تتعلم ولا تقلد وأن تبتكر ولا تقتبس.

- التركيز على الحداثة والتجديد، وأعني بالحداثة والتجديد إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر¹. فالكاتب من خلال تحديده للموضوعات يدعو صراحة إلى إعادة قراءة التراث اللغوي العربي وعدم تقديسه، كما يدعو إلى الانفتاح على الحداثة التي تمكّن من إعطاء تفسيرات واضحة للتراث بما يتماشى والعصر والحديث.

كما نجد الكاتب في مؤلف آخر (مقالات لغوية) يحاول طرح جملة من الأفكار حول التراث اللغوي العربي، وقد انضوت تحت موضوع واحد هو إعادة قراءة التراث حيث يرى أنّ هذا العلم الواسع يجمعه مجال تطوير اللغة العربية في شكله المعاصر على ضوء ما تناولته من موضوعات، تناقش مجموعة من المباحث اللغوية التي تعانيها اللغة العربية في العصر الحديث، فرأى نقلها للقارئ وللمختصين عسى يستفيدون منها بعد القراءة المعاصرة التي حملتها، والمحتوى المتطور الذي يحمله متنها².

من خلال ما سبق نخلص أنّ (صالح بلعيد) حاول تقديم التراث اللغوي العربي كما هو للقراء، دون أن يعمل النظر فيه، وهذا ما جاء في جلّ مؤلفاته، حيث تنتمي هذه المجموعة إلى ما يسمى بالقراءات التمجيدية؛ التي تهدف إلى إبراز أوجه التميز والكمال في التراث العربي، وقد نجده في بعضها مناقشة لمسائل تراثية هامة، منوهاً بدور الحداثة في فهمها، غير أنّنا نقرّ في بعض المواضع لم نفهم التوجّه الفكري لصالح بلعيد، لأنّه لم يحدّد الموضوع بدقة، بل ترك للقارئ مهمة اكتشاف توجّهه.

1- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص4.

2- صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2004، ص2.

ب- من حيث المنهج:

أشرنا في مبحث سابق أنّ التراث اللغويّ العربيّ يتميّز بالضخامة والتنوع، حيث من الصعب على اللسانيّ الواحد تغطيته لوحده، والإحاطة به وقراءته، وللوصول إلى تمثّله وفهمه؛ يجب أن يخضع القارئ مدوّنته لمنهج صارم وواضح، يصل به إلى النتائج المرجوة؛ وفي هذا الصدد يقول ميشال زكرياء: "إنّ عملاً ضخماً كهذا، يستدعي جهداً لا يمكن أن تغطيه تلك الجهود الفردية المبذولة من قبل بعض اللسانيين، ولبلوغ ذلك يجب...تضافر مجهودات اللسانيين العرب لتغطية أكبر عدد ممكن من اللغويين العرب، ودراسة أهمّ القضايا المتطورة التي احتوتها أعمالهم، ومن ثمّة ربطها بالتراث اللغويّ العالمي"¹، ولقد شاع في لسانيات التراث مناهج عدّة منها: منهج القراءة، ومنهج إعادة القراءة، وعلى الرغم من ذلك فإنّ العديد من الدراسات التراثية لا تراعي أهميّة التصريح بمنهجها، فالواقع يثبت أنّ الخطابات المندرجة في مجال لسانيات التراث لا تقدّم أيّ فكرة عن المنهج المتبع في خطابها؛ بل إنّ لكلّ لساميّ منهجه وأدواته التي يستعملها في نقده للتراث اللغويّ العربيّ القديم على منهج اللسانيات الحديثة². ومن هنا فما المنهج المتبع في كتابات (صالح بلعيد)؟

إنّ المنتبّع لمؤلفات (صالح بلعيد) التراثية؛ يجد منهج الدراسة فيها غير محدّد بدقّة، وذاك عكس ما تملّيه منهجيات البحوث الحديثة، فالكاتب لا يصرّح بمنهجه بل يكتفي بإشارات تقرب القارئ منه، حيث نجد (صالح بلعيد) يشير في مقدّمة كتابه (الإحاطة في النحو) يكتفي بقوله: "والجديد يتمثّل في تبليغ المعلومات بمنهج حديث، وبأساليب مفهومة، وبأمثلة يعيشها الطالب، والذي أطمح إليه هو التغيير في المنهج،

1- ميشال زكريا، الملكة اللسانية في مقدّمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1986، ص9.

2- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة، ص140.

أقدمه بشيء من اليسر وتقريب النحو من روح العصر، والاستغناء عن التأويل والتقدير¹.

ما يلاحظ على هذا القول عدم الدقة في تحديد المنهج، فمصطلح (منهج حديث) قد يفهم من وجهات نظر عديدة ومختلفة، فالمناهج الحديثة كثيرة، ولعلّ الذي يقصده الكاتب هو **المنهج التعليمي**، الذي هدفه التيسير والتبسيط، فهو يعرض المادة النحوية كما هي دون نقد أو مراجعة أو مقارنة، على اعتبار أنّ المنهج المقارن هو الشائع في لسانيات التراث، كما أنّه إذا رجعنا إلى متن الكتاب نجده يعتمد **المنهج التاريخي** ليقدم الغرض التعليمي، ومثال ذلك قوله: "كان العرب قبل الإسلام ينطقون العربية سليقة؛ حيث لم تكن مدونة ولما سُمع اللحن في قراءة القرآن الكريم، فكّر أولو الأمر في وضع قواعد تصونه من الزيغ الذي بدأ يلحق به"².

أمّا في كتاب (في قضايا فقه اللغة العربية) فلم يختلف الكاتب عن سابقه، كما أنّه لم يصرّح بالمنهج الدراسة، ولكن أشار في مقدّمته إلى مصطلحات تقرّنا من فهم منهجه حيث يقول: "واجتهادنا في هذه اللغة يكون بالعودة إلى فهم الأصول وهو باب الولوج في كلّ العلوم، فلكي نقرّر قاعدة يجب أن نكون على معرفة نشوء القاعدة؛ أي معرفة علم الأصول اللغوية"³، قد يتبادر إلى الذهن أنّ الكاتب يقصد الأصول الإبستمولوجية التي تُبنى عليها المعرفة، فقد يحتاج الباحث إلى مساءلة تلك الأصول لفهم الفلسفة والمنطلقات الفكرية التي انطلق منها، فهذا ما يحدث في العلوم، وبذلك تحدث الإستمرارية أو القطيعة، إذن ليس هذا ما قصده الكاتب؛ الذي قصده ببساطة هو **المنهج التاريخي** لأنّه يكتفي بعرض الأفكار التراثية في الكثير من المواطن دون مساءلتها أو نقدها.

1- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ص6.

2- المرجع نفسه، ص60.

3- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص2.

مما سبق نستنتج أنّ (صالح بلعيد) حاول التحدّث عن التراث اللغويّ العربيّ، وتبليغه إلى القارئ باستعمال المنهج التاريخيّ والمنهج التعليميّ، كما أنّه اكتفى بعرض التراث دون مقارنته باللّسانيات الحديثة.

ج- من حيث الغاية (الهدف):

يصرّح الكاتب بغايات متعدّدة من خلال مؤلّفاته منها الغاية الإصلاحية حيث يقول: "أردت في هذا العمل أن نبرهن على كيفية وجودنا الذي لا يتحقّق إلاّ بثقافة هذه اللّغة، والثقافة في بعدها هي التخلّي عن الفهم السّابق إلى فهم جديد أفضل من القديم وأكثر تجاوبا مع مقتضيات العقل والواقع، وهذا ما أعني به التطوّر التحسّن نحو الأفضل"¹، فهو يطمح إلى محاولة تغيير طريقة التفكير من الطريقة القديمة إلى طريقة أكثر حداثة وتطوّرا، ولا شكّ أنّ هذه الغاية تصبو إليها كثير من الكتابات الإصلاحية المتأثّرة بفلسفات حداثة، هدفها التغيير والتطوير والتخلّص من التاريخيّة كما يقول الكاتب.

كما أنّه يصرّح بغايات أخرى تتمثّل في الكشف عن الحقائق التي يحتويها النّحو العربيّ حيث يقول: "ولقد كان غرضي من هذه الدراسات، كشف الحقائق العلميّة التي يحويها النّحو العربيّ، وما له من بقايا الإنحطاط، هذا الأخير هو الذي أريد لفت انتباه طلبة الدّراسات العليا إلى البحث فيها"²، وقد يكون هدف هذا الكشف تعليميّ لأنّه يقصد به فئة معيّنة من المتلقّين، بغرض تشجيعهم على خوض المسائل التراثيّة، وهذا ما وجدنا الكاتب يشير إليه أيضا في مؤلّف آخر محاولا الإلمام بجزئيّات الموضوع لتبليغه إلى القارئ بسهولة³.

1- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربيّة، ص2.

2- المرجع نفسه، ص5.

3- صالح بلعيد، الإحاطة في النّحو، ص60.

ومن هنا نخلص أنّ الكاتب هدفه العام من خلال كتاباته هو الرجوع إلى التراث وإصلاحه وتنقيحها، وتشجيع المتعلمين على قراءة وتمثّل أفكاره، ومناقشتها وفق مقتضيات العصر.

2-بنية الخطاب اللساني التراثي عند صالح بلعيد:

أ-العنوان:

أوضحنا أنّ للعناوين أهمية كبيرة في بناء جسر تواصل يربط بين القارئ والكتاب والمؤلف، فقد يلجأ كثير من الكتاب لإغراء القارئ باقتناء الكتاب وقراءته إلى الاستعانة بوسائل متعدّدة؛ كالألوان ونوع الخطّ، واستعمال صور جذّابة وغيرها، غير أنّ للعنوان أهمية في التأثير، ومن هنا نلاحظ أنّ (صالح بلعيد) وظّف ثلاثة عناوين سنوضحها في الجدول التالي:

المؤلف	العنوان الرئيس	العنوان الفرعي
01	الإحاطة في النحو	/
02	في قضايا فقه اللغة العربية	/
03	مقالات لغوية	/

إنّ ملاحظة أولية على هذه العناوين تجعلنا نعتقد أنّها تحمل أصالة واضحة، ولها علاقة مباشرة بالتراث اللغوي العربي، لأنّ الكاتب وظّف مصطلحات تراثية مثل: (النحو) و(فقه اللغة العربية) وهي إشارة واضحة للقارئ على أنّ محتويات الكتاب تصنّف ضمن التراث العربي، أمّا عنوان (مقالات لغوية)؛ فنجدّه أكثر عمقا وتعقيدا، ومن وجهة نظرنا أنّ القارئ لا يستطيع فهم مدلوله إلا إذا رجع إلى الكتاب وتصفّحه، فعنوان (مقالات لغوية)؛ قد يوحي بالجديد الحدائث وقد يوحي بالقديم التراثي، ومن الأشياء المستحسنة أنّ الكاتب قد قام بشرح عنوان كتابه قائلا: "وسأكون عند وعدي بتقديم لك هذه الإحاطة...استكمالا لبرنامج الصرف والنحو في معاهد اللغة العربية

وآدابها، كلمة الإحاطة تعني: حاط الشيء (حفظه وتعهّده بجلب ما ينفعه ودفع ما يضره) وأحطت بالأمر (أدركته من كلّ الجوانب)¹.

فقد حمل العنوان وظيفة تواصلية بين الكاتب والقارئ تحفيزا له لقراءة الكتاب وفهمه. ونجد الكاتب يحثّ القراء على عدم الاستعجال في الحكم على الكتاب دون الإلمام به كاملا، وذلك تجنباً للبس الذي قد يقع فيه القراء جراء الفهم الخاطئ للعنوان حيث يقول: "وأود تنبيه القارئ أنّ الكتاب قطعة كاملة رغم تعدّد المواضيع فيه وعدم تسلسلها، فلا يستعجلن بالحكم على الموضوع، دون أن يلمّ بالكتاب كاملا فربّما يجد الجواب عن سؤاله"²، كما قام الكاتب بتوضيح مدلول عنوانه في كتاب: (مقالات لغوية)، فكما ذكرنا سابقا لا يمكن فهم هذا العنوان ببسر وسهولة، بل يحتاج إلى شرح حيث هي مقاربات لغوية، لم يدخل فيها الكاتب التحسينات التي تتطلبها الأرضية المعرفية التي تتغيّر كلّ يوم، وما يتطلبها التراكم المعرفي من تطوّر يستدعي التجديد³. وما نستنتجه من خلال ما سبق أنّ الكاتب حاول جعل عناوين كتبه أكثر وضوحا، وابتعد عن العناوين الغامضة والصعبة، تحقيقا لمبدأ الإفادة ونشر المعلومة، كما أنّ عناوين كتبه لها علاقة وطيدة بالمتن، وهذا ما يجعلها أكثر اتساقا مع مضمون الكتاب، إذ نراها توحى إليه بكلّ سهوله وبسر.

ب- المقدمة:

ينطلق (صالح بلعيد) في مقدّمة كتاب (الإحاطة في النحو) من محاولة مخاطبة القارئ مباشرة، لأنّ جلّ كتاباته تتمحور حوله فيقول: "أيها الطالب الكريم، طالب معاهد اللّغة العربية وآدابها"⁴، فهو يريد منذ البداية التواصل مع الطالب، لينجذب إلى مادّة

1- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ص2.

2- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربية، ص7.

3- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص2.

4- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ص2.

الكتاب، وما يلفت النظر أنّ الكاتب استعجل بعض القضايا الهامة في النحو كعصر الاحتجاج، وأهمية القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر الجاهلي في هذه المرحلة، كما أنّه وضّح للقارئ سبب تركيزه على الشواهد القديمة حيث يقول: "وتركيزي على الشواهد القديمة من باب الحرص على العودة بالطالب إلى الينابيع الأولى للغة العربيّة الصافية، وأخذها المنوال الذي يمكن بها نسج التعابير الحديثة، لأنّ الشاهد النحويّ هو ذلك الدليل من كلام العربيّ الفصيح الذي يساق لإثبات قاعدة نحوية"¹، ولم تخل مقدّمة مؤلّفه من الإشارة إلى الغاية من تأليف الكتاب، لكنّها لم توضّح المنهج المعتمد في الكتابة، إضافة إلى أنّها اتّسمت بالطول، وهذا ما يجعل القارئ ينفّر منها.

أمّا مقدّمة المؤلّف الثاني (في قضايا فقه اللّغة العربيّة) فنجدها أكثر تفصيلاً ودقّة، فقد أشار فيها الكاتب إلى أهمّ ما يميّز عمله، حيث يرى أنّه لم يكن معيذا لما قيل، بل هو استدعاء للتراث من أجل الحاضر والمستقبل، فنحن في حاجة إلى الخروج عن التقريبيّة إلى الضديّة، حيث تطلب الشيء ونظيره في آن واحد²، كما بيّن الكاتب من خلالها أهمّ الغايات التي دفعته لتأليف هذا الكتاب، ومختلف المواضيع التي ناقشها وعالجها في متنته، ولكنّها لم تحتوي على المنهج الذي اعتمده المؤلّف.

أمّا بالنسبة لمقدّمة كتاب (مقالات لغوية) فالكاتب جعلها في منتهى القصر ولم يتوسع فيها كثيراً، فقد اكتفى بأنّها موجّهة للقارئ، حيث بيّن للقارئ أنّها مجموعة مقالات في ميدان البحث اللّغويّ العلميّ، وبيّن أهميّتها لما قال: "ومن فوائد هذا الجمع تسهيل عملية وصول القارئ إلى المادة اللّغوية، وتقديم الصورة الشاملة للفكر الذي يدور فيها

1- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ص4.

2- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربيّة، ص1.

مجال البحث اللغويّ في الجزائر، إضافة إلى تمكين الباحثين اللغويين من مقارنة الموضوعات الواردة في الكتاب في صورها المختلفة¹، كما ألحّ على فكرة التجديد. إننا نخلص ممّا سبق إلى أنّ (صالح بلعيد) اعتمد في بنائه لمقدماته على عنصر التأثير في القارئ، وقد استغلّ الوظيفة التواصلية بنجاح، كما استطاع إثارة انفعال القارئ من أجل التجديد والنقد، وما يعاب عليه في مقدماته؛ طولها زيادة عن اللزوم في بعض الأحيان، وإسقاطه لأهمّ جزئياتها، مثل الإشكالية وتحديد المنهج المتّبع.

3- لغة الخطاب اللساني التراثي عند صالح بلعيد:

يختلف اللسانيون في طريقة الطرح ومناقشة الأفكار، والسبب في ذلك التباين الموجود على مستوى الأسلوب، فكلّ كاتب بصمته التي تميّزه عن غيره، وإذا تأملنا في لغة وأسلوب (صالح بلعيد) وجدناه يميل إلى الناحية التربوية والتعليمية بشكل جليّ وواضح، لأنّ خطاباته التراثية موجّهة للقراء المبتدئين، فالكاتب يقدّم أبحاثه باقتضاب، ولا يخصص كثيرا في حيثيات ودقائق المواضيع، إنّما يقتصر بحثه على رسم أطر الموضوع²، إضافة إلى البساطة واستعمال اللغة المباشرة، ومن هنا نتساءل: ما الخصائص التي جعلت أسلوبه ولغته قريبان من القارئ؟

أ-الوضوح:

يُعدّ الوضوح أمرا حيويا لنقل المعرفة والفهم بشكل فعّال، وإذا رجعنا إلى الخطاب اللسانيّ التراثيّ عند (صالح بلعيد) وجدناه خطابا يبتعد عن الغموض والصعوبة، لأنّ غرضه إيصال المعلومة للقارئ، وقد استعمل (بلعيد) طرقا كثيرة لتحقيق هذا المبدأ منها الشرح المباشر والمفصّل للمفاهيم العلمية، مع توضيح الأفكار والمفاهيم بشكل دقيق وواف؛ ومثال ذلك قوله: "ظهر النحو القرآني حديثا مع ظهور المؤسسات الجمعية، تحت بند النحو التربوي، في الوقت الذي بدأت الأبحاث تتجه إلى التيسير

1- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص2.

2- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص238.

النحوي... نحو تربوي مستلهم من القرآن الكريم بمختلف قراءاته والسعي نحو التيسير، والمقصود بالتيسير أنه لا حرج في قراءته بما هو في لغات العرب من حيث أن الله أذن لهم في ذلك"¹ وقد صرح الكاتب بلزوم التبسيط والسهولة في لغة الشرح فيقول: "لا أدعي أنني أتيت بالجديد في هذا العمل المتواضع، بل أعدت ما قاله النحاة قبلي وشرحت ما استعصى شرحه بلغة سليمة قريبة إلى فهم الطالب، وركّزت على أهم ما يجب التركيز عليه، كما حاولت الإلمام بأطراف الموضوع لأبلغه للقارئ ببسر"²، إضافة إلى أن الكاتب يكثر من الشواهد النحوية والأمثلة التي من شأنها إفادة القارئ.

ب- الموضوعية:

تعدّ الموضوعية أحد القيم الأساسية التي يجب أن تتميز بها البحوث والدراسات والتحليلات، وإذا رجعنا إلى كتابات (صالح بلعيد) التراثية؛ فإننا نجد الكاتب فيها موضوعيا إلى حدّ كبير، ذلك أنه لا يقم ذاته ولا انتماءاته الشخصية والحضارية في طرحه إلى نادرا، ومن المسائل التي كثر فيها الجدل مسألة قداسة التراث، فالكاتب يبدي رأيه بكلّ موضوعية، بعيدا عن المبالغة في الإشادة بها؛ بل يدعو إلى إعادة النظر فيها، حيث يرى أن الدراسات العلمية الموضوعية مطلبها في هذا الوقت إعادة قراءة الموروث، وقبل قراءة التراث ينبغي فحصه وفهمه جيّدا، بعد ذلك يمكن أن مراجعة عدم قبول الحديث على أن حديث، وقبول التراثي على أنه تراثي، والإبعاد عن أذهان كثير منا أن ما جاء في التراث يتلاءم مع اللسانيات فهو مقبول، وما لا يتلاءم معها غير مقبول³، وقد يجنح الكاتب في بعض الأحيان إلى تقديس النحو العربي، لإظهار تميّزه عن اللسانيات الحديثة فيقول: "كثير من المفاهيم والتصوّرات التي تتضمنها المصطلحات انفرد بها النحو العربي الأصيل، ولا نجد له أثرا في اللسانيات الغربية،

1- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص26.

2- صالح بلعيد، الإحاطة في النحو، ص6.

3- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص38.

باستثناء الأصل والفرع الذي نجده عند تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية؛ إلا أنّ التحويل في هذه النظرية يقتصر على نوع واحد وهو الذي يربط بين البنية السطحية والبنية العميقة للجملة، وهذا ليس إلا نوع من التحويل في النظرية العربية¹. وما سوى ذلك لم نجد (صالح بلعيد) ينسب أي رأي من الآراء اللسانية الحديثة إلى أعلام التراث اللغوي العربي، ولم نره يصرح بريادة العرب في مجال اللسانيات، بل جعل لكل زمن خصوصيته التي تميّزه عن غيره.

ج- الترتيب المنطقي:

يحتاج الكاتب في عرض أفكاره ومناقشتها إلى ترتيب منطقي يجعل أفكاره غير متداخلة ولا متعارضة، وهو آلية تنظّم المعلومات بطريقة تسهل فهمها وتتبعها بشكل متسلسل ومنطقي، وهو أحد العناصر الأساسية لضمان وضوح الفكرة وفهمها بطريقة صحيحة، حيث يستعين الكاتب في معالجة أفكاره التراثية بنظام استدلالّي، يبدأ فيه من المحاور الخاصة، حتى يصل إلى العامة، فهو يعالج القضايا بطريقة تدرجية²، ففي حديثه عن علم اللغة؛ نجد الكاتب يتبع طريقة تدرجية يبدأ من علم اللغة عند العرب، ثم يتحدث عن علم اللسان، ثم يتحدث عن علم اللغة العام عند الغربيين ويعرّج على مناهج علم اللغة³، فالترتيب المنطقي للأفكار والمباحث يجعل القارئ في وضعية تمكّنه من فهم الموضوع العام الذي يطرحه الكاتب كما تمكّنه من نقده.

د- المفاهيم والتعريفات:

تساعد المفاهيم والتعريفات في تحديد نطاق الموضوع والبحث، كما أنّها تضمن الدقّة والوضوح، حيث تعمل على تحديد المصطلحات وتوضيح معانيها بشكل صحيح، إضافة إلى أنّها أداة تعليمية فعّالة تسهل عملية التعلّم والتدريس وإيصال المعلومة بشكل

1- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص 51.

2- هبة خياري، خصائص الخطاب اللساني، ص 247.

3- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص 94-95-98-99.

يفيد القارئ، وإذا أحصينا المفاهيم التي اعتمدها (صالح بلعيد) فنجد بأنها تتراوح بين المفاهيم اللسانية والمفاهيم التراثية، مع محاولة عدم الخلط بينها، فمثلا فقه اللغة تعني التفقه في معرفة خصائص اللغة العربية ومميزاتها الدقيقة، وينحصر قديما في الفهم الجيد للنصوص القديمة أثناء تحليلها... أما الدراسات الحديثة فقد استعملت هذا المصطلح ترجمة لـ philologie منذ عام 1926 وقد استعمله المستشرق الإيطالي جويدي ولم يعن ما قصده القدامى بل قصد به: العلم الذي يضع بين أيدينا القوانين العامة التي تجري عليها اللغات أي علم اللغة العام¹، فمن الواضح أن الكاتب يفرق بوضوح بين استعمال العرب لمصطلح فقه اللغة واستعمال الغرب له.

كما نجد أنه استخدم المصطلحات لغرض الشرح والتعليم في مواطن كثيرة منها تعريفه لـ مبدأ الأصل والفرع حيث يقول: "إن النحو العربي في أصله بُني على هذا المفهوم، إذ يعتمد فيه على تشخيص الوحدات بإدراجها في أجناس متداخلة، ومن هنا فقد ميّز النحاة العرب الأصول عن الفروع، فحدّدوا الأصل بأنّه العنصر الثابت أو النواة، أمّا الفرع هو الأصل بزيادة إيجابية أو سلبية"²، والأمثلة كثيرة، فالذي يهّمنا أن الكاتب يهتم كثيرا بالمفاهيم والمصطلحات لأن لها أهمية بالغة في توجيه البحث إلى الوجهة الصحيحة.

4- القضايا اللسانية والتراثية في كتابات صالح بلعيد:

أ- نقائص النظرية اللغوية القديمة:

إن فكرة نقد التراث اللغوي العربي استهوت الكثير من اللسانيين العرب ومن بينهم (صالح بلعيد) ولقد انبثقت هذه الفكرة من أعمال اللسانيين العرب أمثال: (كمال بشر، وتمام حسان، وعبد الرحمن أيوب...) فبعد انبهارهم باللسانيات الحديثة، حاولوا المقارنة

1- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص14.

2- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص45.

بينها وبين التراث، وهدف المقارنة الانتقاص من طريقة تفكير اللغويين العرب، ولا شك أنّ الكاتب يؤكد هذا الطرح، فنراه يتحدث عن النظرية اللغوية العربية واصفا إياها بالمثيرة للجدل، فلقد أسس علماء التراث النظرية اللغوية العربية، وخاصة النحوية منها على أسس مثيرة للجدل، رغم التقعيد الذي جعل منها نظرية قائمة بذاتها ومتطورة وعلمية دقيقة، إذ وضعت في قوالب نظرية جاهزة، ممّا جعل بعضا منهم ينتقد تلك القواعد والقوالب والأشكال المحصورة... إضافة إلى وجوب الاحتذاء بطرق مغلقة في منطلق نظرية كان غايتها التصنيف¹، ومن المسوّغات التي يراها الكاتب تسمح بنقد النظرية اللغوية القديمة وإستبدالها بأخرى حديثة، ذات نظرة إصلاحية وحدائية ثائرة على القديمة، أنّه لا يمكن العودة كلّ مرة إلى التراث لعلاج الواقع اللغويّ الذي يخصّ المستعمل الحاليّ، فهذا فعل خاطئ، ومن ذلك تطرح النظرية المعاصرة حقّ المحدثين في الواقع اللغويّ، وأن يظلّ باب القياس متاحا للمعاصرين فوق ما توارثوه، ويطلق باب القياس في الفصحى ليضمّ ما لم يقس قديما، وكذا تحرير السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل أهل الحرف²، إنّ هذه التّزعة التي يتبناها الكاتب ليس وليدة اليوم؛ بل هي قديمة قدم إشكالية الأصالة والمعاصرة، والحدائثة والتراث، فالمسألة شائكة ولا يمكن البتّ فيها لأنّها مستمرة وتغذيها الفلسفات والعقليات.

ب- الدعوة إلى نظرية لغوية حديثة:

بنيت هذه الفكرة على أنقاض النظرية اللغوية القديمة، ويعود تاريخها إلى عودة البعثات الطلابية من الخارج، حيث سجّل الكاتب بروز مجموعة من المدارس والأفكار، كما اطلع على نظريات لغوية ودعوات إلى إنشاء مذاهب لغوية حديثة، خاصة بعد رجوع طلبة الإرساليات من الخارج، وهنا طفقت صور النظرية الجديدة تظهر بوضوح،

1- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص33.

2- المرجع نفسه، ص34.

ومن بين تلك النظريات الحديثة نظرية المورفيم التي لم تعرف انتشارا واسعا¹، كما أكد الكاتب على انبهار العديد من اللسانيين العرب الكبار باللسانيات أمثال (تمام حسان) فيقول: "وهكذا انبهر تمام حسان من فكرة النظرية الوصفية الغربية، ومن منهج أستاذه فيرث، فدعا في (اللغة العربية معناها ومبناها) إلى بناء تصوّر جديد يلغي التصوّر النحوي الذي قام في اللغة العربيّة منذ القرن الثاني للهجرة. ولقد نسي عيد والبكوش وتمام وإبراهيم أنيس وغيرهم أنّ لا فائدة وراء كل هذا التملّ، ثمّ ما النتيجة من وراء ذلك؟...أرى من العسير أن يطبق منهج وضع مناسباً للغة، لها سمات خاصّة على لغة امتلكت في ذاتها قوّة خلودها وبقائها راسخة على خصائصها"².

نخلص أنّ الكاتب يقف موقفاً وسطاً لا هو إلى جانب أقوال القدماء المعياريين ولا إلى جانب اللسانيين المحدثين، فهو يستثمر من هذا وذاك من أجل نظريّة عربيّة مهمّتها خدمة اللّغة العربيّة.

ج-الثابت والمتحول في النحو العربيّ:

يرى (صالح بلعيد) أنّ النحو العربيّ كغيره من العلوم التراثيّة؛ يحتمل جانبيين هامّين، الثوابت التي لا يجب أن تمسّ، والأفكار المتحوّلة التي يجب تغييرها والبتّ فيها، لذلك يرى بأنّ النحو العربيّ لا ينبغي أن يكون العقبة الذي تمنع اللّغة من التطوّر، لأنّ المعنى أساس، والنحو عرض وقواعد دائمة ومتغيّرة ومصطلح التطوّر إشارة إلى الحركيّة، ولا يعني التطوّر الانتقاد من حيث المثالية أو القبح³، كما أنّ الاختلاف الذي وقع في العصور الأولى بيّن أئمّة النحو، ومدارسه العتيّدة خير دليل على وجوب التطوّر، فالاختلاف جوهر التطور، لذلك يعتقد أنّ الخلاف قد تجدد في العصر الحديث "وبالخصوص في الأربعينيات من هذا العصر بفضل دراسات إبراهيم

1- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص36.

2- المرجع نفسه، ص33.

3- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربيّة، ص124.

أنيس، وإبراهيم مصطفى، وغيرهم من المعجميين الذين مازالوا يبحثون في أمر هذه المادة الحيوية التي تقبل التطور¹.

ولقد تساءل الكاتب عن جدوى النحو العربي، وهل النحو العربي أدى غرضه الذي وضع من أجله وهو صون اللسان من الخطأ؟ فإن كان ذلك كذلك، لماذا وجدت كتب اللحن؟ ولماذا أثرت الشكاوي تدعو إلى تيسير²، ومن هنا يدعو الكاتب إلى الاجتهاد في فهم النصوص، واعتماد الآليات المناسبة لعلمية التطور اللغوي، كما يدعو إلى استعمال الحديث اليومي، أي التركيز على الجانب التطبيقي، لا التركيز على الجانب المعياري فقط، فيرى أنه من الضرورة نشر الأفكار العلمية، واستخدام الحديث اليومي، ومحاولة تنظيم لغة الشارع والبيت، ومساعدة المتلاغي من تقدير أعماله، والدراية بأهميتها والتعامل بها³.

ولم يكن الكاتب وحده من تبني هذه النظرة تجاه النحو العربي القديم والتراث، بل يرى أحد الباحثين أن درس اللساني العربي لم يتوقف عن نقده للتراث، فقد كاد يتفق مراجعو التراث على أن بالنحو العربي شوائب تجعل نقد وإعادة النظر فيه حتمية ملحة ومهمة أساسية من متطلبات زماننا ومستلزمات حضارتنا، وذهبوا في هذا التقويم مذاهب شتى مما يجعل الناظر يتساءل عن قيمة المبادئ التي اعتمدها ومدى صحتها⁴، وخير دليل على هذا الكلام ما قاله (مهدي المخزومي) الذي دعا إلى تطوير مناهج البحث وتيسير النحو "أخذ النحو ينحرف عن طريقه، وبدأ يتحول شيئاً فشيئاً إلى درس ملفق غريب، ليس فيه من سمات الدرس اللغوي إلا مظهرة وشكله، ودب إلى هذا الدرس جذب أودى بحيويته وقدرته على تأدية وظيفته، وصار درسا في الجدل يعرض

1- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص126.

2- المرجع نفسه، ص127.

3- المرجع نفسه، ص129.

4- عز الدين المجذوب، المنوال النحوي العربي، دار محمد الحامي، ط1، تونس، 1998، ص11-12.

النحاة فيه عن قدرتهم على التحليل العقلي بما كانوا يفترضون من مشكلات وما يقترحون من حلول"¹، ومع هذا لم يسلم الفكر العربي من التأثر بالفكر اللغوي الغربي وخصوصا انتقال المنهج التاريخي المقارن إلى الدراسات اللغوية العربية، فخلط الباحثون بين النزعة الفيلولوجية الغربية وبين التراث اللغوي العربي، وفي هذا الوقت اتجه بعض الباحثين إلى محاولة ربط اللغة العربية باللغات السامية.²

من خلال ما سبق يظهر أنّ صالح بلعيد حاول نقد التراث برؤية لسانيّة، ونعتقد أنّ هدفه لم يكن الانتقاص من التراث، بل خدمة اللغة العربية وتطويرها.

د- جهود صالح بلعيد في تيسير النحو العربي:

تيسير النحو هو مصطلح يستخدم في دراسة اللغة العربيّة، ويشير إلى تبسيط وتشهيل قواعد النحو العربي لفهمها واستيعابها بشكل أفضل، ويخصّ الطلاب المبتدئين في دراسة اللغة العربيّة، سواء كانوا ناطقين بها، أو غير الناطقين بها، ولقد اهتم بتيسير النحو العربي جمهور غفير من علماء اللغة، فلم يكن (صالح بلعيد) ببعيد عن واقع تعليم النحو في المؤسّسات التربوية، وهو الذي أشرف عن قرب على التيسيرات التي اقترحها المجمعيون من أجل الارتقاء بالدّرس النحوي وتيسيره لدى المتعلّمين، فقبل بعضها منها، ورفض منها التي كانت بعيدة عن اللغة الوظيفية، وكان من المطالبين بتيسير النحو من حيث مناهج تدريسه ومن حيث التسلسل في محتوياته³، ولقد أسالت هذه القضية حبر كثير من العلماء والدّارسين، ونظّمت لها العديد من المؤتمرات والندوات، وفي هذا الصّدّد يقول الكاتب: "وفي مسألة تيسير النحو العربي ماذا عساني أقول في هذا الموضوع الذي نال كفاية علميّة، وأكثر من جهد ودراسات وملتقيات

1- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، 1986، ص14-15.

2- جلول تهامي، التراث النحوي واللسانيات، مجلة الباحث، الجزائر، مج:11، العدد 01، 2019، ص105.

3- مليكة صالح وحبيب بوزوادة، إسهامات الدكتور صالح بلعيد في تيسير الدرس النحوي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمغست الجزائر، مج: 9، عدد5، 2020، ص736.

وندوات، ونصبت له لجان متخصصة وورشات عمل تحت سلطة جمعية تشريعية، بله الحديث عن تلك المؤتمرات التربوية والجامعية التي أقيمت في أكثر من بلد عربي، إلا أنه يراوح مكانه، ولم تسكت الشكاوى من المناداة بالتيسير، أو التجديد، أو إعادة النظر في طرائق تلقينه¹،

ومن الأسباب الداعية إلى تيسير النحو التي يراها الكاتب مقنعة فوضى واختلاط الشواهد أثناء جمع اللغة، حيث بعض علماء اللغة يدونون كل ما يتلقونه من أفواه العرب، أي ما استحسنوه فقط، كما أن جزءا منهم كان يدون كل الذي سمعه... اكتفاء اللغويين على قبائل دون أخرى، ولعل هذا القصر جعل معاييرهم محدودة... والاكتفاء في جمع اللغة على وقت محدد؛ وهو منتصف القرن الثاني الهجري في الأمصار، ونهاية القرن الرابع الهجري في البادية.² وقد اقترح (صالح بلعيد) العديد من المقترحات والحلول للخروج بالنحو من أزمته حيث يقول: وبحكم التجربة البسيطة تحدت الأولويات التي ينظر فيها كما يلي:

- تجريد النحو من المنطق.
- التركيز على النصوص القديمة.
- الإكثار من التطبيقات.
- دراسة احتياجات المتلقي.
- بناء مفردات النحو تدريجيا.
- إعادة النظر في الشاهد النحوي³.

وقد أكد (صالح بلعيد) أن التيسير لا يمس أصول اللغة العربية، وإنما بتجديد طرقها ومناهجها، إضافة إلى مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين.

1- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص173.

2- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللغة العربية، ص190-191.

3- صالح بلعيد، مقالات لغوية، ص251-254. (بتصرف)

ثالثا: نقد وتقييم الجهود اللسانية والتراثية لصالح بلعيد:

عرضنا في هذا الفصل الجهود العلمية المتمثلة في الدراسات اللسانية الحديثة والتراثية، لعلم من أعلام اللسانيات واللغة العربية على المستوى العربي والمحلي، الذي لمع نجمه في سماء النحو واللسانيات ومختلف علوم اللغة، ويمكن أن نقول بعد اطلاعا على بعض أعماله اللسانية والتراثية؛ أنّ (صالح بلعيد) حقق معظم الغايات والأهداف التي رسدها من خلال أعماله، التي تهدف في عمومها إلى إفادة اللغة العربية والقارئ المبتدئ بصفة خاصة، إضافة إلى حسن انتقائه لمواضيع حساسة ذات صلة بالتراث اللغوي العربي، كما ننوّه بموضوعيته التي من خلالها جنّب نفسه الوقوع في الذاتية المفرطة التي قد تنقص قيمة أعماله اللغوية، ولقد برز الكاتب في مجالات كثيرة مثل: اللسانيات الحاسوبية؛ فقد عهدناه كثيرا -لما كنا طلبة عنده- يهتم كثيرا بمسألة تطوير النظم اللسانية والتطبيقية في مجال الحاسوب، فهم الأكبر أن تشيع اللغة العربية وتنافس اللغات العالمية ويكون لها الغلبة والتميز، إضافة إلى إحاطته بميدان التيسير النحوي، الذي يراه مدخلا لإتقان وعصرنة اللغة العربية، ولا يخفى على أحد اهتمام الكاتب بالمواضيع ذات الصلة بالهوية اللغوية والتخطيط والسياسات اللغوية وقد أبدع فيها الكاتب نظرا لضرورتها.

ما يسجل على (صالح بلعيد) أنه يكتب في كلّ المجالات اللغوية واللسانية والبلاغية وفقه اللغة، فالتخصص عنده لا يهم، لذلك نعرفه بغزارة إنتاجه الذي فاق الثلاثين مؤلفا، حرصا منها على خدمة اللغة العربية وحبها لها.

وما يلاحظ عليه أيضا ميله لجهة التعليميّة، فخطابه البسيط موجّه للقارئ البسيط فيمكن تمثله دون صعوبة، وهذا ما لاحظناه في كتاباته التمهيدية.

وعلى الرغم من الإيجابيات العديدة التي لمسناها في أعمال (بلعيد) اللسانية والتراثية إلا أنّ الضرورة المنهجية تقتضي التعرّيج على بعض النقاط التي نراها تستدعي

المناقشة وتسليط الضوء عليها، كونها من أساسيات البحث العلمي، أو بالأحرى الخطاب العلمي الهادف.

1- نقد المواضيع التي تطرق إليها الكاتب:

أ- البعد عن موضوع اللسانيات:

تأخذ الخطابات العلمية أهميتها من خلال انتقائها للمواضيع بطريقة دقيقة، والتركيز عليها وعدم الخروج عليها، فإذا لاحظنا الخطاب اللساني العام وجدنا أن الذي ميّزه عن بقية الخطابات الأخرى؛ دقة التحديد وصفاء الفكرة، لذلك المعيار المعتمد في نجاعة الخطابات تحديد الموضوع، فهل التزم صالح بلعيد بذلك؟

للإجابة عن هذا التساؤل يجب التذكير بأن الموضوع الأول والأخير للسانيات هو دراسة اللسان البشري دراسة علمية، فالكاتب لا يصرّح في مقدمات كتبه بالموضوع بصفة مباشرة، ولا يركّز على موضوع بعينه، لأنّ معظم كتاباته يغلب عليها طابع الشمولية والتعميم، فلا يستطيع القارئ تمثّل الموضوع بسهولة، حيث تعدّ الشمولية في معالجة المواضيع من السلبيات التي وقع فيها الوصفيون العرب، الذين عُرفوا ابتعادهم عن الموضوع الأسمى للسانيات وهو دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها، ومن هنا فهل صالح بلعيد لسانيّ بأتمّ معنى الكلمة؟ من الناحية المنهجية ومن خلال المواضيع المطروحة لا يمكن اعتباره كذلك، لأنّ مواضيعه المطروحة في أعماله لا توحى بأصالة أعماله اللسانية فهو إلى التراث أقرب، وهذا ما جاء به قوله: "لست من دعاة دين جديد في اللسانيات بل هنا نظرية جربت مرحليا في المدرسة الجزائرية وأنت أكلها..."¹، إضافة إلى معالجته مواضيع ذات صلة بفقّه اللّغة والتيسير النحويّ والدّفاع عن اللّغة العربية، وهذه مواضيع بعيدة عن صميم البحث اللسانيّ الذي يدعو إلى نبذ المفاضلة بين اللّغات، إنّ اللسانيات قامت أساساً على دراسة الواقع كما هو لا كما ينبغي أن

1- صالح بلعيد، مقاربات منهجية، دار هومة، ط1، الجزائر، 2010، ص63.

يكون، غير أنّ (صالح بلعيد) قد غيّب الواقع اللغويّ العربيّ كظاهرة تمثّل موضوع الدّراسة، كما أنّه في كثير من الأحيان لا يتعامل مع الواقع كما هو؛ بل كما هو متصوّر في واقعنا الافتراضيّ.

ب- النظرة غير الموضوعية للغة العربيّة:

يعرف على (صالح بلعيد) تركيزه على المواضيع ذات الصلة باللّغة العربيّة، كالاعتزاز اللّغويّ، والهويّة اللّغوية، والنخبة والمشاريع، وهو ينظر إلى العربية نظرة قداسة وعظمة، فهي التي تتميّز بنظامها الخاص، وقواعدها أفضل القواعد، كما أنّها لغة عريقة، لها صفات الخلود، وتستجيب لكلّ الظروف، وتتسم بالمرونة وكثرة المعاني والألفاظ¹، فالمتعارف عليه في من أسس ومبادئ اللسانيات، أنّ اللّغات البشرية لا تتفاضل في ما بينها، لأنّها تشترك في غاية واحدة هي التواصل بين البشر فكلّ اللّغات متساوية، لكن الملاحظ أنّ الكثير من الباحثين اللغويين العرب يعتبرون اللّغة العربية فوق اللّغات الطبيعية الأخرى، ويواصلون حمايتها، وهذا ما يبعدهم عن صميم البحث اللّسانيّ.

ج- عدم التصريح بالمنهج المتّبع:

يعدّ التصريح بالمنهج في البحث العلميّ أو في الخطابات العلميّة أمراً بالغ الأهميّة، لأنّه يساعد على إرساء مبدا الشفافية والنزاهة في البحث العلميّ، ذلك لأنّه يتيح للباحث طريقة تنفيذ ومعالجة الأعمال البحثيّة، إضافة إلى أنّ غيابه وعدم التصريح به من شأنه أن يؤثّر سلباً على جودة البحث وصدق النتائج، وقد ذكرنا فيما سبق أنّ من خصائص الكتابات التمهيدية اللسانية العربيّة؛ عدم تصريحها بمنهج الدّراسة، حيث يُعدّ هذا الأمر منقصة كبيرة وخلل في التمثّل العلميّ الصحيح، وإذا تأملنا أعمال (بلعيد) اللسانية أو التراثيّة نجده يتجنّب ذكر المنهج المتّبع أو المقاربة

1- صالح بلعيد، في قضايا فقه اللّغة العربية، ص23.

التي استعان بها في موضوعاته اللسانية، حيث يجد القارئ حرجا في فهم المنطلقات الفكرية للكاتب، وهذا ما يكلفه عناء البحث في المتن لاكتشاف المنهج المتبع، وهذا ما حصل مع كتابات (صالح بلعيد) حيث وجدناه يلمح إلى المنهج التعليمي في العديد من الكتابات، بل يركّز عليه خدمة لغاية بارزة وهي إفادة القارئ المبتدئ، فهي محاضرات ألفها الكاتب "لتكون مرجعا تفيده في بعض دروسه...ولكن ما يوحد بينها أنها تتبع منهجية لسانية عامة"¹.

ولكنّ الكاتب لم يصرح أيّ منهجية يقصد؛ هل المنهج الوصفي أو التاريخي أو المقارن، لم يبد ذلك واضحا في كتاباته، والسبب في نظرنا أنّ الكاتب لم يتخصّص في موضوع اللسانيات، على الرغم من كتاباته في ميدان اللسانيات التطبيقية وعلم اللغة النفسي، إلا أنّ كتاباته تتسم بالشمولية والاستطراد والتبسيطية المفرطة.

د- عدم مواكبة تطوّر النظريات اللسانية:

تتسم الكتابات اللسانية التمهيدية بسمة تكاد تكون مشتركة بينها، وتتمثّل في عدم الاطلاع على جديد النظريات اللسانية الكبرى، إذ تكرر الكتابات اللسانية الأسئلة نفسها والأجوبة نفسها، وهذا ما لاحظناه على كتابات (صالح بلعيد)، فحديثه عن علم اللغة النفسي تحسّ بأنه يكرّر معلومات قديمة ومستهلكة في هذا المجال، فلم نلاحظ إشارة الكاتب إلى أعمال (تشومسكي) في ميدان اللسانيات العصبية، ولا الإشارة إلى ما يسمى باللسانيات العرفانية، ويمكن أن يكون السبب في ذلك عدم الإطلاع الكافي من الكاتب على الجديد في هذه المجالات، فقد ركّز على علاقة علم اللغة النفسي باللسانيات التطبيقية وبالضبط ميدان التعليميّة، حيث تجنّب الكاتب التفصيل في هذا الميدان، وركّز على الجانب النظري فقط "على اعتبار أنّ المحاضرات في العادة

1- صالح بلعيد، علم اللغة النفسي، ص3.

عموميات، وتخلو من التطبيق إلى حدّ ما¹. هذا ما يجعل المعلومات داخل الكتاب غير محيية.

ه- التبسيطية المفرطة:

يلاحظ على أعمال صالح بلعيد جنوحها إلى التبسيطية المفرطة، لدرجة اعتقاد القارئ أنّ اللسانيات علم بسيط يمكن تمثله بسهولة، وهذه الفكرة تجانب الصواب، لأنّ المتأمل في الأصول النظرية والفلسفية للسانيات؛ يجد بأنّ لها بعدا فلسفيا معقدا يحتاج إلى تفسير وشرح، فعلى الرغم من أهمية الرجوع إلى الأصول والأسس المعرفية للسانيات، إلّا أنّ الكاتب لم نسجّل له مؤلّفاً -في حدود بحثنا- يتحدّث فيه عن التأسيس الفكريّ للنظريات اللسانية، بل لم يتحدّث فعلا عن اللسانيات العامّة، حيث نجد بأنّ خاض مباشرة غمار اللسانيات التطبيقية، دون التأليف في مجال اللسانيات العامّة، حتّى وإن كانت الغاية الكبرى لكتابات اللسانية إفادة القارئ المبتدئ، ولكن لا يجب ان يكون التّيسيط على حساب العلم.

و- التكرار المخلّ بانسجام العمل اللساني:

الانسجام النصّي والفكري يعدّ من أبرز خصائص الدرس اللسانيّ المعاصر، بل هو من أبر خصائص التفكير السليم، فهو يؤدّي إلى عدم التناقض والتفكك الفكريّ، فالنظريات اللسانية تشكّل كلاً متكاملًا وتتضمّن سيرورة منطقيّة وتلاحما بين أجزائها؛ أي بين الطرح المنهجيّ والتطبيق والنتائج المتوصّل إليها، وإذا غاب عنصر الانسجام تنقص قيمة الأفكار والأعمال اللسانية، والدليل على أهمية هذا الملمح الطّرح المنطقيّ الذي قدّمه (سوسير وتشومسكي) وغيرهم من اللسانيين الكبار، وممّا يخلّ بسلامة وانسجام الأفكار كثرة التكرار، ولعلّه سمة بارزة في كتابات (صالح بلعيد) نجد الكاتب يقول بتكرار أفكار عديدة في مؤلّفات مختلفة، فمثلا يتحدّث عن قضية التّيسير النحويّ

1- صالح بلعيد، علم اللّغة النفسي، ص4.

في كتاب (مقالات لغوية) ونجد يكرّر المعلومات نفسها في كتاب (في قضايا فقه اللغة العربية) وليس ذلك فقط؛ بل يعتمد في العديد من الأحيان إلى تغيير العناوين والمحتوى نفسه، ففي مؤلف يتحدّث عن قضية (المؤسّسات العلميّة ووضع المصطلح) ويكرّر المعلومات نفسها في كتاب (مقالا لغوية) تحت عنوان (جهود المؤسّسات العلميّة والثقافية في وضع المصطلح اللغوي) وما يلاحظ على كتاباته، إيمانه على رصف المقالات الكثيرة في مؤلف واحد، على الرّغم من اختلافها عن بعضها، وهذا يؤدّي بالضرورة إلى وجود عقبات تحوّل وانسجام هذه الأفكار المختلفة.

خاتمة

خاتمة:

تناولنا في هذه الأطروحة موضوعا من المواضيع الهامة في الثقافة اللسانية العربية والعالمية؛ لأنه يهتم بمراجعة وتقويم الجهود اللسانية من كتابات وبحوث، حيث تعرّضنا من خلاله إلى الحفريات التاريخية للخطاب اللساني المغربي، وبيان أعلامه وخصائصه واتجاهاته، وقد تركّز بحثنا على دراسة الجهود اللسانية لبعض اللسانيين المغاربة في العصر الحديث، ويتعلّق الأمر بالدكتور (مصطفى غلفان وعبد السلام المسدي وصالح بلعيد) ومن أهمّ النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث:

1- تعدّ اللسانيات الحديثة والمعاصرة من العلوم الهامة، ذلك لأنها تساهم في حلّ العديد من الإشكالات اللغوية والاجتماعية والمرضية؛ بل هي من العلوم التي استثمر الغرب نتائجها لبعث التطور والرقي في شتى المجالات، لذلك دعى عديد من المفكرين العرب والعرب إلى ضرورة العناية بهذا العلم، وإيلائه الأولوية الكافية لتطويره ودعم انتشاره.

2- يعدّ انتقال الفكر اللساني الغربي إلى الثقافة العربية المغربية مواجهة حقيقية بين التراث اللغوي العربي القديم وبين الوافد الجديد، حيث لاقت اللسانيات في أول ردودا عنيفة من قبل المحافظين (الأصوليين) الذين أسأوا الانتفاع بها في كثير من الأحيان.

3- ضيّع المهتمون باللغة من العرب فرصا كثيرة من أجل الإفادة من اللسانيات في عصر النهضة، حيث تمّ التعرف على اللسانيات مبكرا، لكنّ العقبات حالت دون الاستفادة منه ونشره، وذلك بسبب اعتباره امتدادا لحركة المستشرقين الذي اعتبروا دعاة تغريب.

4- أزمة اللسانيات العربية ليست أزمة تطوّر بالمفهوم الإستمولوجي، إنّما هي أزمة أسس ومناهج؛ فاللسانيات في الثقافة العربية لم تكن وليدة جهد عربيّ بحت، بل هي

علم تمّ استيراده جاهزا من الغرب، لذلك نجده عانى من عقبات متعدّدة في الثقافة اللّغويّة العربيّة أهمّها صعوبة تطبيقه وتلقيه، وذلك أدّى إلى وقوعه في أزمة جعلته حبيس الكتب فقط.

5- تأخّر اللّسانيين المغاربة في تلقّي اللّسانيات مقارنة بالمشرق العربيّ، وسبب ذلك معاناة المغرب العربيّ من الاستعمار، لكن بعد دخولها لهذه المنطقة شهدت تطوّرا كبيرا وفي فترة وجيزة، جعل اللّسانيات المغاربيّة ذات تأثير عربيّ وعالميّ، وبخاصّة البحوث التي قدّمها الفهري والمتوكّل وعبد الرحمن الحاج صالح.

6- بروز كتابة لسانیة نقدية حديثة، أدت إلى توجّه كثير من اللّسانيين إلى نقد وتقويم حصيلة البحث اللّسانيّ العربيّ والمغاربيّ، بغية إعادته إلى المنهج العلميّ القويم، غير أنّ جهودهم لم تستطع سدّ الفجوة بين اللّسانيين العرب، ولم ترق إلى المستوى المطلوب، إلّا بعض المحاولات الجادة كمحاولة مصطفى غلفان.

7- تميّز الإنتاج اللّسانيّ في المغرب العربيّ بالغزارة والكثرة: حيث استطاع اللّسانيون الكتابة في كلّ أنواع الخطابات اللّسانيّة، كما استطاعوا مسايرة تطوّرات اللّسانيات في العالم، غير أنّ جهودهم يعوزها التنسيق وتوحيد الرؤى، فما يلاحظ على الجهود المغاربيّة تخبّطها في مسألة المصطلح والمنهج والغاية، وميلها لخدمة المصالح الشخصية، وهذا ما أبعداها في كثير من الأحيان عن أهدافها العلميّة.

8- الخطاب اللّسانيّ عند مصطفى غلفان متميّز بعلميّته ودقّته، فالكاتب متشبع باللّسانيات النّظرية، متابع لتطوّرات البحث اللّسانيّ العامّ، إضافة إلى أنّه يحمل مشروعا لسانيا ونقديا واضح الأبعاد والمعالم، وهذا ما لمحناه من خلال كتبه المتنوعة، إضافة إلى أنّ لا يخلط بين التراث واللّسانيات الحديثة، لما في ذلك من سوء فهم وتمثّل للّسانيات والتراث.

9- الخطاب اللّسانيّ عند المسدي تميّز بأصالته وحدائته في الوقت نفسه، فالكاتب متشبع بالثقافتين العربيّة والغربيّة، لكنّه في مشروعه اللّسانيّ يهدف لربط التراث

باللّسانيّات الحديثة، كما أنّه لم يتابع ما يحدث في اللّسانيّات الحديثة من تطوّر في النماذج والنّظريات.

10- الخطاب اللّسانيّ عند صالح بلعيد تميّز بالتركيز على الجانب التطبيقي مع إهمال الجانب النّظري رغم أهمّيته، كما أنّ الكاتب عرف بميله للتراث مع محاولة قراءته قراءة حدائثة على ضوء اللّسانيّات، غير أنّه من النّاحية العلميّة لا يمك مشروعاً لسانيا واضحاً، بل يركّز في أعماله على اللّغة العربيّة والمناهج التربويّة وتعلميّة اللّغات.

11- هناك اتّفاق واضح بين توجّه المسدي وصالح بلعيد فيما يخصّ القراءة التراثيّة، لكنّهما يختلفان في المنهج، وفي طرق الإيضاح والاستدلال.

12- يجب تكثيف الجهود وتوحيدها للرفع من مستوى البحث اللّسانيّ المغاربيّ واستحداث هيئات ومنظّمات تسعى إلى توحيد التجارب اللّسانيّة المغاربيّة، وتأطيرها مادياً ومعنوياً، ومحاولة التنسيق بين مختلف اللّسانيّين والتوجّهات.

13- ضرورة استشراق مستقبل البحث اللّسانيّ المغاربيّ، ووضع استراتيجيات لتطويره، وتجسده على أرض الواقع لحلّ المشكلات اللّغويّة العالقة بين الدّول العربيّة، ومواجهة التحدّيات الجديدة التي تفرضها مجريات الأحداث الراهنة.

14- ينبغي توجيه العمل واستحداث فرق بحث تطوّر اللّسانيّات على ضوء التطوّرات الحاصلة في الذكاء الاصطناعيّ، على غرار ما يحدث في المجتمعات والدّول الأخرى، التي استثمرت نتائج الأبحاث المتقدّمة في فهم اللّغات رياضياً، مثل ميدان اللّسانيّات العرفنيّة والنّفسية المتطوّرة.

15- أطمح مستقبلاً بحول الله إلى مواصلة البحث في هذا الميدان، وتعميم الدّراسة التقويميّة لكافة الجهود اللّسانيّة العربيّة، بغية الوصول إلى تصوّر شامل لتطوّرها ومعيقاتها وآفاقها.

كما أثنى مرّة أخرى وأشكر كلّ من ساندني في إنجاز هذه الأطروحة من قريب أو بعيد، وأخصّ بالذّكر السيّد المشرف، على تعبته معي في قراءتها وفي بناء أفكارها وتوصّراتها وتذليل صعوباتها، وأسأل الله العظيم أن يحفظه ويوفّقه لكلّ خير.

قائمة المصادر

والمراجع

1- قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

- 1- بلعيد صالح، الإحاطة في النحو، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1994.
- 2- بلعيد صالح، اللغة العلميّة، دار هومة للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2003.
- 3- بلعيد صالح، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر العاصمة، 2000.
- 4- بلعيد صالح، في علم اللغة النفسي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2008.
- 5- بلعيد صالح، في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1995.
- 6- بلعيد صالح، مقاربات منهجية، دار هومة، ط1، الجزائر، 2010.
- 7- بلعيد صالح، مقالات لغوية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2004.
- 8- علوة جمعة محمد وآخرون، دراسات نظرية وتطبيقية في اللغة العربية، ط1، الأردن، دت.
- 9- غلفان مصطفى، اللسانيات البنوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2013،
- 10- غلفان مصطفى، اللسانيات التوليدية من النموذج المعياري ما قبل المعياري إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم و أمثله، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2010.
- 11- غلفان مصطفى، اللسانيات العربية أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013.

- 12- غلفان مصطفى، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة حفريات النشأة والتكوين، شركة النشر والتوزيع المدارس ط1، الدار البيضاء، 2006.
- 13- غلفان مصطفى، اللّغة واللّسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2017.
- 14- غلفان مصطفى، في اللسانيات العامة، تاريخها طبيعتها موضوعها مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2010.
- 15- المتوكّل أحمد، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1985.
- 16- المسدي عبد السلام، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، 1986.
- 17- المسدي عبد السلام، التفكير اللّساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط3، بيروت لبنان، 2009، (طبعة منقّحة ومزيدة).
- 18- المسدي عبد السلام، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2010.
- 19- المسدي عبد السلام، الفكر العربي والألسنية، ندوة اللسانيات واللغة العربية، تونس، 13-19، سلسلة اللسانيات 4، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والابحاث الأكاديمية، تونس، ديسمبر 1978.
- 20- المسدي عبد السلام، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، دط. تونس، 1986.
- 21- المسدي عبد السلام، المصطلح النقدي، منشورات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، دط، تونس، 1994.

- 22- المسدي عبد السلام، حدّ اللغة في التراث اللّساني العربي، مقال منشور في وقائع ندوة جهوية بعنوان: تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ابريل، 1987، الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991.
- 23- المسدي عبد السلام، قضية البنية دراسة ومناهج، المطبعة العربية دار أمية، ط1، تونس، 1991.
- 24- المسدي عبد السلام، قضية البنية-دراسة ونماذج- دار الجنوب، تونس، 1995.
- 25- المسدي عبد السلام، ما وراء اللّغة - بحث في الخلفيات المعرفية-، مؤسّسة بن عبد الله للنشر، دط، تونس، 1994.

ب-المراجع:

- 1- ابن أبي بكر (محمد بن عبد القادر الرازي)، مختار الصحاح، مكتبة لبنان ،دط. بيروت، 1986.
- 2- ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن)، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، ط4، بيروت، لبنان، (د، ت).
- 3- ابن سنان (الخفاجي)، سرّ الفصاحة، تح علي فودة، ط1، القاهرة، 1932.
- 4- ابن منظور (جمال الدين الأنصاري)، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414.
- 5- ابن يعقوب الفيروز آبادي (مجد الدين محمد)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط6. دمشق، 1998.
- 6- أحرشاو الغالي، العلم والثقافة والتربية: رهانات استراتيجية للتنمية، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- 7- الأخضر الصبيحي محمد، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008.

- 8-الأخضر الصبيحي محمد، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الجزائر، 2008.
- 9-أدهم سامي، فلسفة اللّغة تفكيك العقلي اللّغوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط01، بيروت، لبنان، 1993.
- 10- أدونيس، الثابت والمتحول، بحث في الإبداع والإتباع عند العرب، دار الساقي، ط9، ج1، بيروت، 2006.
- 11- إسماعيلي علوي حافظ و العناتي وليد، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون ومنشورات الاختلاف ودار الأمان، ط1. الجزائر، 2009.
- 12- إسماعيلي علوي حافظ و الملاخ امحمد، قضايا إستمولوجية في اللسانيات، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2009.
- 13- إسماعيلي علوي حافظ، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت 2009.
- 14- الأوراعي محمد، نظرية اللّسانيات النسبية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2010.
- 15- أيوب عبد الرحمن، العربية ولهجاتها، مكتبة الشباب، ط1، 1998.
- 16- أيوب عبد الرحمن، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلومصرية، ط1، القاهرة، 1957.
- 17- برباق ربيعة، علم الأصوات، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة الجزائر، ط1، 2016.
- 18- بركة فاطمة الطبال، النظرية الألسنية عند رومان ياكبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1993.
- 19- البكوش فاطمة الهاشمي، نشأة درس اللّسانيّ العربيّ الحديث، إيتراك للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 2004.

- 20- البهنساوي حسام، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، 1994.
- 21- تزيني طيب، إشكالية الأصالة والمعاصرة في الوطن العربي أعمال ندوة: التراث وتحديات العصر في الوطن العربي دط. بيروت، 1985.
- 22- التتوخي محمد، معجم علوم العربية؛ تخصص شمولية الإعلام، دط، دار الجيل، بيروت لبنان، 1999.
- 23- الجابري عابد، مدخل إلى فلسفة العلوم، ط6. الرباط، دت، مطبعة دار النشر المغربية، دت.
- 24- الجابري محمد عابد، مداخلة البحث اللساني والسيميائي، الرباط 1984.
- 25- حامد هلال عبد الغفار، علم اللغة بين القديم والحديث، جامعة الأزهر، ط2، مصر، 1986.
- 26- حسن عبد العزيز محمد، مدخل إلى علم اللغة، كلية دار العلوم، طبعة جديدة، جامعة القاهرة، 1991.
- 27- حنا ترزي فؤاد، في أصول اللغة والنحو، مطبعة دار الكتب، دط. بيروت، 1969.
- 28- خيارى هبة، خصائص الخطاب اللساني -أعمال ميشال زكريا أنموذجا، منشورات زين، ط1، بيروت-لبنان، 2011.
- 29- داود محمد محمد، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، دط، القاهرة، 2001.
- 30- داوود حامد حنفي، تاريخ الأدب الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1993.
- 31- دراج أحمد عبد العزيز، الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، مكتبة الرشد ناشرون، دط، الرياض، 2003.

- 32- راتب الحلاق محمد، ممانعة النص لذة النص، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد 329، 1998.
- 33- الرويلي بن لهول، الأزمت تعريفها أبعادها أسبابها، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، دط، الرياض، 2011.
- 34- زكريا ميشال، الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1983.
- 35- زكريا ميشال، الملكة اللسانية في مقدّمة ابن خلدون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1986.
- 36- زوين علي، منهج البحث بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1986.
- 37- السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 1997.
- 38- سرحان هيثم وآخرون، آفاق اللسانيات دراسات مراجعات شهادات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2011.
- 39- السعران محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت.
- 40- سعيد عبد الوارث مبروك، في إصلاح النحو العربي، دار القلم للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1985.
- 41- شاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية -تأسيس نحو النص، ج1، المؤسسة العربية للتوزيع، ط1، تونس، 2001.
- 42- الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ليبيا، 2004.

- 43- طاهر حامد، منهج البحث بين التنظير والتطبيق، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، مصر، 2008.
- 44- العارف عبد الرحمن حسن، اتجاهات الدراسات اللسانية المعاصرة في مصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، 2013.
- 45- عبد القادر محمد علي ماهر، فلسفة العلوم المشكلات المعرفية، ج2، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1984.
- 46- عشاري محمود أحمد، أزمة اللسانيات في العالم العربي، بحث القي في ندوة اللسانيات وتطورها في الوطن العربية، الرباط، 1983.
- 47- العمري محمد محمد، الأسس الإستمولوجية للنظرية اللسانية "البنوية والتوليدية"، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن عمان، 2012.
- 48- عياشي منذر، قضايا لسانية وحضارية، دار طلاس، ط1، دمشق، 1990.
- 49- الفهري عبد القادر الفاسي وآخرون، تقدّم اللسانيات في الأقطار العربية: وقائع ندوة جهوية، ط1، الرباط، منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم يونيسكو، 1987.
- 50- الفهري عبد القادر الفاسي، ملاحظات أولى عن تطور البحث اللساني بالمغرب، أعمال ندوة اللغة العربية والنظريات اللسانية، كلية الآداب فاس، الرباط، 2007.
- 51- الفهري عبد القادر الفاسي، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، الكتاب الأول، دار توبقال للنشر، ط1، الرباط، 1982.
- 52- الفهري عبد القادر الفاسي، المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1986.
- 53- الفهري عبد القادر الفاسي، حوار اللّغة، إعداد حافظ إسماعيلي علوي، منشورات زواية، ط1، الرباط، 2007.

- 54- الفهري عبد القادر الفاسي، عن أساسيات الخطاب العلمي والخطاب اللساني، (المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية)، دار توبقال للنشر، ط3، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
- 55- قصبي حنان و الهلالي محمد، في المنهج، دار توبقال، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2015.
- 56- لورسي عبد القادر، الدليل في الإبستمولوجيا وتدرّس العلوم، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2017.
- 57- المتوكّل أحمد، الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان، ط1، الرباط، 2003.
- 58- المجذوب عز الدين المجذوب، المنوال النحوي العربي، دار محمد الحامي، ط1، تونس، 1998.
- 59- محمد بشر كمال، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، ط9، القاهرة، 1986.
- 60- محمد قدور أحمد، اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، ط1، لبنان- دمشق سوريا، 2001.
- 61- محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز) المركز الثقافي العربي، ط2، بيروت، لبنان، 1990.
- 62- محمود زكي نجيب، تجديد الفكر العربي، دارالشروق، ط7، بيروت، القاهرة، 1982.
- 63- المخزومي مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، 1986.
- 64- المزيني حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية، النادي الأدبي بالرياض، مطابع دار الهلال، الأوكست، ط1، 1990.
- 65- المزيني حمزة بن قبلان، مراجعات لسانية، كتاب الرياض، المملكة العربية السعودية، رقم 79، يونيو 2000.

66- مصلوح سعد محمد، دراسات نقدية في اللسانيات العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1. القاهرة، 1989.

67- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصول ومباحث في التراث العربي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دط، دمشق، 2001.

68- الهلالي محمد و بيقى حسن، معايير العلمية، دار توبقال للنشر، دط، المغرب، 2015.

69- الوعر مازن، أزمة اللسانيات واللسانيين في الوطن العربي، ضمن كتاب: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1988.

70- الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، دط، دمشق، 1988.

71- يحياتن محمد، دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دط، الجزائر، 2005.

72- يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، 1997.

73- يونس علي محمد ، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1. بيروت، 2004.

2-الكتب المترجمة والمعرّبة:

1-توماس كون، بنية الثورات العلمية، تر: حيدر حاج اسماعيل، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ط1، بيروت، 2007.

2-جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، تر وتع: حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، ط1، الاسكندرية، 1985.

3-دوجلاس بروان، أسس تعلم اللّغة وتعلمها، تر: عبد الراجحي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت.

- 4-روبار بلانشيه، الأكسيومية أو منظومة الأوليات، تعر: محمد بن جماعة، دار محمد علي للنشر،(د.ط) تونس، 2004.
- 5-روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 1988.
- 6-سارة ميلز، الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة والأدب واللسانيات، جامعة منتوري-قسنطينة-الجزائر، دت.
- 7-فردينان دي سوسير، محاضرات في علم اللغة العام، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، دط، الرباط، 2008.
- 8-فوكو ميشال، حفريات المعرفة، تر: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، دط، الدار البيضاء، 1986.
- 9-كاترين فوك و بيارلي قوفيك، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة، تعر: المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، 1984.
- 10-ميشال أريفيه، البحث عن فرديناند دي سوسير، تر:محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة ط1، بيروت، دت.
- 11-نوام تشومسكي، اللسانيات التوليدية؛ من التفسير إلى ما وراء التفسير. تر: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بن غازي ليبيا، 2013.

3-المجلات والدوريات:

- 1-إبرير خولة ولعبيدي فريدة، وظائف الخطاب في اللسانيات التمهيديّة، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، مج 18، العدد 1-2، السداسي الأول والثاني، 2021.
- 2-إبرير بشير، الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة، مجلة الرافد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، يوليو 2001.
- 3-إبرير بشير، اللساني التربوي في التراث وإشكالات قراءته، مجلة المعرفة، العدد492، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، 2004.

- 4-إبرير بشير، بنية الخطاب العلمي في كتاب "سيبويه" مخارج الحروف عيّنة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 07، 2010.
- 5-إسماعيلي علوي حافظ، نحن واللّسانيات: مقارنة لبعض إشكالات التلقي في الثقافات العربية، مجلة الكلمة، لبنان، 2008.
- 6-أغا ياسر، الخطاب اللّساني في الجامعة الجزائرية: اللّسانيات التمهيديّة نموذجاً، نتائج الفكر مجلة المركز الجامعي الصالحي أحمد النعامة الجزائر، العددان 3-4، جوان 2018.
- 7-بركات مبروك، نحو نقد لساني عربي مؤسس، مجلة الأثر، الجزائر، العدد 25، جوان 2016.
- 8-بناجي حياة، جهود الأستاذ صالح بلعيد في مجال اللّسانيات التطبيقية وتعليميّة اللّغات، (صالح بلعيد شخصية وطنية عاشت لخدمة العربية وغرس مبادئ المواطنة اللغوية)، منشورات دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2023.
- 9-بوشارب إيمان و شقروش عبد السلام، كتاب "اللّسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات" مصطفى غلفان -قراءة نقدية تقييمية في الموضوع والمنهج والغاية- مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد 7، جانفي 2021.
- 10-بوشحдан الشريف، واقع الخطاب العلمي في التعليم الجامعي -الخطاب اللساني نموذجاً-، مجلة اللغة العربية، العدد 06، الجزائر، 2002.
- 11-بوعياذ نورة، مفهوم الخطاب التعليمي والعلمي الجامعي، مجلة التبیین، الجزائر، عدد: 17، 2001.
- 12-تهامي جلول، التراث النحوي واللّسانيات، مجلة الباحث، الجزائر، مج: 11، العدد 01، 2019.
- 13-جمعه خالد محمود، اللّسانيات ولغة الأدب، مجلة علامات في النقد الأدبي، دط، جدة، ديسمبر 1994.

- 14- حبيطة أم هاني، محمد مدو، أهم ما طرحه اللسانيات التمهيدية، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، المجلد4، العدد7، جانفي 2021.
- 15- حسين محمد محمد، فقه اللغة بين الأصالة والتغريب، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض، العدد20، 1981م.
- 16- خلف محمد، الخطاب الإقناعي، الإشهار أنموذجا، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، العدد:9، 1987.
- 17- سبيعي حكيمة وهولي بوزياني خولة، المرجعيات الثقافية بين المفهوم والتوظيف، مجلة البحوث والدراسات، الجزائر، مج 16، العدد 2، صيف 2019.
- 18- شقروش عبد السلام، اللسانيات التوليدية التحويلة والصورنة، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد، 12، العدد1، مارس2021.
- 19- صالح مليكة و بوزوادة حبيب، إسهامات الدكتور صالح بلعيد في تيسير الدرس النحوي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمغست الجزائر، مج: 9، عدد5، 2020.
- 20- العبد محمد، حيك النص، منظورات من التراث العربي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، العدد:39، 2002.
- 21- عروة فتيحة و بوحساين نصر الدين، خصائص الخطاب اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات، المجلد27، العدد 01،
- 22- علي نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات (رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي)، سلسلة عالم المعرفة الكويت، العدد265، 2001.
- 23- فخري ماجد، إشكالية المنهج منهج أم مناهج عدة، مجلة الفكر العربي، بيروت، ع65، 2001.
- 24- القاسمي علي، ثراء التراث المصطلحي القديم، مجلة المناظرة المعاهد، الرباط، السنة الرابعة، العدد6، ديسمبر 1993.

- 25- لعريبي سعاد، منهج عبد السلام المسدي في تأصيله للقضايا اللغوية في ضوء كتابه -التفكير اللساني في الحضارة العربية- مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد18، دت.
- 26- المتوكل أحمد، استثمار المصطلح التراثي في اللسانيات الحديثة: اللسانيات الوظيفية أنموذجاً، مجلة المناظرة، المعاهد، الرباط، السنة الرابعة، العدد6، ديسمبر 1993.
- 27- معهد العلوم اللسانية والصوتية، مجلة اللسانيات، الجزائر، المجلد الأول، ج1، العدد01، 1971.
- 28- منصر يوسف، الخطاب العلمي مرتكزاته وخصائصه، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، الجزائر العدد06، 2000.
- 29- منصر يوسف، الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، مجلة التواصل، عنابة الجزائر، عدد19، سبتمبر 2007.
- 30- يحياتن محمد، اتجاهات البحث اللساني في الجزائر، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم السودان، مج6، العدد الأول والثاني، فبراير، 1988.
- 4- الرسائل والأطروحات:**
- 1- غلفان مصطفى، اللسانيات العربية الحديثة: دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، دط، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم4، 1998.
- 2- بوراسي ياسين، البحث اللساني في الفكر العربي المغاربي المعاصر، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، دط، الجزائر، 2015.
- 3- منصر يوسف، الخطاب اللساني المغاربي، أصوله مفاهيمه إجراءاته: عبد الرحمن حاج صالح عبد السلام المسدي، عبد القادر الفاسي الفهري نماذج أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، إشراف: البشير إبيرير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار-عنابة، الجزائر، 2013.

المراجع باللّغة الأجنبيّة:

- 1- Botha,R,On The Galilean styl, lingua n58, 1982 .
- 2- Ferdinand De Saussure: cours de linguistique générale,édition Talatikit Bèjaia algerie, 2002.
- 3- Gérard Vigner : Lire du text que sens.
- 4- Jean Dubois et autre: Dictionnaire de linguistique: librairie la rousse,1973 .

مواقع إلكترونية:

- 1- مصطلحات البحث العلمي ماهيتها، أهمية تحديدها في خطة البحث، يوم الرفع: 2020/05/31 (موقع المنارة). <https://www.manaraa.com/post/>
- 2- يوسف منصر "الخطاب اللّساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه" نقلا عن: الجزائر: 13-07-2017 http://www.aljabriabed.net/n96_08mansar.htm
- 3- اللسانيات العربية- حوار مع د. مصطفى غلفان/أجراه محمد الداوي متاح على الشبكة، يوم الرفع: 2024/04/03. (<https://www.mohamed-dahi.net/site/news.php?action=view&id=45>)

فهرس المحتويات

	إهداء.
أ - د	مقدمة.
10	الباب الأول: الخطاب اللساني، مفهومه، خصائصه، أنواعه، تجلياته.
11	الفصل الأول: الإطار النظري: الخطاب اللساني والخطاب العلمي (الماهية والخصائص).
12	أولاً: الخطاب اللساني.
13	1-الخطاب:(discours).
16	2-الخطاب العلمي (Le Discours scientifique).
18	2-1- أسس الخطاب العلمي.
18	أ-الدقة والاقتصاد.
18	ب-الحيادية اللغوية.
19	ج-الموضوعية.
20	د-الانتظام والتناسق.
20	2-2: أنواع الخطابات العلمية.
21	أ-النصوص الوصفية.
21	ب-النصوص الحجاجية.
22	ج-النصوص التفسيرية.
22	د-النصوص التقريرية.
23	ثانياً: علمية الخطاب اللساني.
26	1-تعريف الخطاب اللساني.
30	2-أسس الخطاب اللساني.
30	أ- الانسجام.
31	ب- التعميم.
32	ت- البساطة
33	ث- التجريد.
35	ج- الصّورنة.

37	الفصل الثاني: الخطاب اللساني العربي المغربي، الماهية، الاتجاهات، المرجعيات.
38	أولاً: واقع اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية.
40	1-مرحلة النحو المعياري.
40	2-مرحلة فقه اللغة المقارن.
42	3-مرحلة الفيلولوجيا.
44	أ-البعد التاريخي أو التعاقبي (Diachronic).
44	ب-البعد الوصفي أو التزامني (Synchronic).
46	ثانياً: واقع اللسانيات في الثقافة اللغوية العربية.
46	1-ماهية الكتابة اللسانية المعاصرة.
48	2- حفريات الكتابات اللسانية العربية.
51	2-1-الجهود اللغوية العربية في عصر النهضة.
54	2-2-ملامح الاتجاه التاريخي والمقارن في الكتابات النهضوية.
56	2-3-الجهود اللغوية في فترة الاستشراق.
58	ثالثاً: البدايات الأولى لنشأة الدرس اللساني العربي المعاصر.
60	1-تصنيفات الكتابة اللسانية العربية.
61	1-1-الاتجاه التمهيدي.
62	1-2-الاتجاه التراثي.
63	1-3-الاتجاه الوصفي.
64	أ-رؤاد الاتجاه الوصفي العربي.
65	ب-غاية الاتجاه الوصفي.
65	1-4-الاتجاه التوليدي التحويلي.
66	1-5-الاتجاه الوظيفي.
67	رابعاً: الخطاب اللساني المغربي المعاصر.
68	1-بدايات الخطاب اللساني المغربي.
71	2-مكانة الخطاب اللساني المغربي.
75	3-مرجعيات الخطاب اللساني المغربي المعاصر.

75	3-1-مفهوم المرجعية.
77	3-2-المرجعية الثقافية.
79	3-3-المرجعية التراثية.
82	الفصل الثالث: الخطاب اللساني العربي المغاربي وأزمة التلقي
83	أولاً: تلقي اللسانيات عند الدارسين العرب.
84	1-محصلة الخطاب اللساني العربي وأزمة التلقي.
86	1-2- مصطلح (أزمة) لغة واصطلاحاً.
87	2-الأزمة في المنظور الإستمولوجي.
87	2-1-أزمة العلم في نظر توماس كون.
90	ثانياً-أزمة اللسانيات في الثقافة العربية.
92	1-دوافع أزمة اللسانيات العربية.
92	1-1-علاقة اللسانيين العرب بأزمة اللسانيات.
93	1-2-علاقة المتلقين (الطلبة) بأزمة اللسانيات العربية.
94	2-عوامل متعلقة بموضوع اللسانيات.
95	2-1-الفهم الخاطئ لوضع اللسانيات.
95	2-2-انعدام الاستمرارية واختلاف البدايات.
96	2-3-الأفكار الجاهزة وعدم التدقيق.
96	2-4-غياب التجديد والمتابعة.
98	ثالثاً: تجليات أزمة اللسانيات العربية.
98	1-تجليات الأزمة على صعيد الموضوع.
98	1-1-الانحراف عن موضوع اللسانيات.
99	1-2-النظرة غير الموضوعية للغة العربية.
100	1-3- التراث اللغوي العربي واللسانيات الحديثة.
100	2-تجليات الأزمة على الصعيد النظري والمنهجي.
100	2-1-تغيب مبادئ اللسانيات.

101	2-2-إهمال النظريات اللسانية الكبرى.
103	رابعاً: ماهية الخطاب اللساني التقويمي.
104	1-فروع الخطاب اللساني النقدي.
105	1-1-الخطاب النقدي العام.
106	1-2-خطاب نقدي خاص.
108	1-3-الخطاب النقدي المؤسس.
109	2-رؤاد الخطاب اللساني النقدي.
111	3-مقومات الخطاب النقدي العربي.
111	3-1-التحيز اللغوي النسبي.
112	3-2- التحلي بالموضوعية.
112	3-3-جودة التحليل.
112	3-4-إمكانية البطلان والنقض (Falcification).
113	رابعاً: تقويم الخطاب اللساني من خلال بعض الكتابات اللسانية النقدية.
113	1-تقويم مازن الوعر للسانيات العربية.
115	2-تقويم الخطاب اللساني العربي عند الفاسي الفهري.
116	2-1-التظاهر بالعلمية والتنظيم.
117	2-2-فهم مغلوط للتراث.
118	2-3-فهم خاطئ للغة العربية.
120	الباب الثاني: الخطاب اللساني المغربي من خلال بعض النماذج.
121	الفصل الأول: الخطاب اللساني عند مصطفى غلفان.
122	توطئة.
123	أولاً: الخطاب اللساني التمهيدي عند مصطفى غلفان.
123	1-تعريف الكتابة اللسانية التمهيدية.
124	2-خصائص الخطاب اللساني التمهيدي عند مصطفى غلفان.
125	أ-من حيث الموضوع.

133	ب-من حيث المنهج.
138	ج-من حيث الغاية(الهدف).
140	3-وضعية القارئ العربي وإشكالات التلقي.
142	4-بنية الخطاب التمهيدى عند مصطفى غلفان.
142	أ-العنوان.
145	ب-المقدمة.
148	5-لغة الخطاب اللساني التمهيدى عند مصطفى غلفان.
149	أ-الوضوح.
150	ب-الاقتصاد (الإيجاز).
152	ج-الانتظام.
152	د-الدقة العلمية.
153	هـ-الموضوعية.
154	6-الهيكله والتنظيم.
154	أ-تفصيل المعارف.
155	ب-الاكثار من المفاهيم والتعريفات.
156	ج-الاهتمام بالمصطلح اللساني الدقيق.
157	ثانيا:الخطاب اللساني التقويمي (النقدي) عند مصطفى غلفان.
160	1-تعريف الخطاب اللساني التقويمي (النقدي).
163	2-تحليل الخطاب اللساني التقويمي (النقدي) عند مصطفى غلفان.
163	أ-من حيث الموضوع.
164	ب-من حيث المنهج.
165	ج-الاعتقاد بتنوع المدارس والتيارات اللسانية.
166	د-نقد المصادر.

166	ه-التقويم الداخلي.
167	و-من حيث الغاية (الهدف).
169	3-نتائج التقويم النقديّ عند مصطفى غلفان.
169	أ-الكتابة اللسانية التمهيدية (اللسانيات التبسيطية).
169	ب-مساوي الخطاب اللساني التمهيديّ.
170	ج-الاتجاه التراثي.
171	د-نقد الخطاب اللسانيّ التراثيّ.
171	ه-استعمال الأفكار اللسانية على اللغة العربية (لسانيات العربية).
172	و-الاتجاه البنيويّ الوصفيّ.
173	ز-الاتجاه التوليديّ التحويليّ.
174	ح- إيجابيات وسلبيات الخطاب اللسانيّ التوليديّ العربيّ.
175	4-بنية الخطاب اللسانيّ التقويمي (النقديّ) عند مصطفى غلفان.
175	أ-العنوان.
177	ب-المقدمة.
178	5-لغة الخطاب اللسانيّ التقويميّ عند مصطفى غلفان.
178	أ-الوضوح اللغويّ.
178	ب-الاثبات والاستفهام.
180	ج-التركيز على المصطلح العلميّ.
180	د-المصطلح اللسانيّ.
181	ه-المصطلح الفلسفي (الإبستمولوجي).
181	ثالثا: الخطاب اللسانيّ عند (مصطفى غلفان) بين النقد والتقويم.
181	1- تجاهل المعينات الخارجية.
182	2- صعوبة التصنيف.
183	3- إسقاط النماذج الغربية على اللغة العربية.
184	4- سيطرة الانتقائية في طريقة التصنيف.

184	5- إغفال أعمال بعض اللسانيين الكبار.
186	الفصل الثاني: الخطاب اللساني عند عبد السلام المسدي.
187	توطئة:
187	أولاً: الخطاب اللساني التمهيدي عند عبد السلام المسدي.
188	أ- من حيث الموضوع.
189	ب- من حيث المنهج.
190	ج- من حيث الغاية (الهدف).
191	2- بنية الخطاب اللساني التمهيدي عند عبد السلام المسدي.
192	أ- العنوان.
193	ب- المقدمة.
195	3- لغة الخطاب اللساني التمهيدي عند عبد السلام المسدي.
195	أ- الوضوح.
196	ب- الاقتصاد (الإيجاز)
197	ج- الانتظام.
198	د- الموضوعية.
199	4- القضايا اللسانية في كتاب اللسانيات وأسسها المعرفية.
199	أ- في موضوع العلم: حدّ اللغة بين المعيار والاستعمال.
200	ب- في بنية العلم: الأنساق الدلالية.
202	ثانياً: الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي.
203	1- تعريف الخطاب اللساني التراثي.
204	2- تحليل الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي.
205	أ- من حيث الموضوع.
207	ب- من حيث المنهج.
212	ج- من حيث الغاية (الهدف).

	3-بنية الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي.
214	أ-العنوان.
215	ب-المقدمة.
217	ج-لغة الخطاب اللساني التراثي عند عبد السلام المسدي.
218	4-مقومات الخطاب اللساني التراثي عند المسدي.
218	أ-الوضوح.
219	ب-الموضوعية.
220	ج-الانتظام.
221	5-القضايا اللسانية في كتاب التفكير اللساني في الحضارة العربية.
221	أ-المواضعة.
223	ب-اكتساب المواضعة.
224	ج-مقومات الكلام.
227	ثالثا: نقد وتقييم الخطاب اللساني عند عبد السلام المسدي.
227	أ-حول مقولة تجانس التراث.
228	ب-التعصب للتراث اللغوي.
230	ج-عدم ذكر المصادر.
230	د-البعد عن موضوع اللسانيات.
231	هـ-المقارنة المجحفة.
232	الفصل الثالث: الخطاب اللساني عند صالح بلعيد.
233	توطئة.
234	أولا: الخطاب اللساني التمهيدي عند صالح بلعيد.
235	أ-من حيث الموضوع.
238	ب-من حيث المنهج.
239	ج-من حيث الغاية (الهدف).
241	2-بنية الخطاب اللساني التمهيدي عند صالح بلعيد.

241	أ-العنوان.
243	ب-المقدمة.
245	ج-لغة الخطاب اللساني التمهيدي عند صالح بلعيد.
245	أ-الوضوح.
246	ب-الموضوعية.
247	ج-الانتظام.
247	4-القضايا اللسانية في مؤلفاته التمهيديّة.
247	أ-آراؤه في اللسانيات واللّسانيات التطبيقية.
248	ب-التداخل العلمي بين اللّسانيات وعلم النفس.
249	ج-علاقة اللّسانيات النفسيّة باللّسانيات التطبيقية.
250	د-تعليم اللّغات وتعلّمها.
251	ثانيا: الخطاب اللّسانيّ التراثيّ عند صالح بلعيد.
252	1-تحليل الخطاب التراثيّ عند صالح بلعيد.
252	أ-من حيث الموضوع.
255	ب-من حيث المنهج.
257	ج-من حيث الغاية(الهدف).
258	2-بنية الخطاب اللّسانيّ التراثيّ عند صالح بلعيد.
258	أ-العنوان.
259	ب-المقدمة.
261	3-لغة الخطاب اللّسانيّ التراثيّ عند صالح بلعيد.
261	أ-الوضوح.
262	ب-الموضوعية.
263	ج-الترتيب المنطقيّ.
263	د-المفاهيم والتعريفات.
264	4-القضايا اللّسانية والتراثية في كتابات صالح بلعيد.

264	أ-نقائص النظرية اللغوية القديم.
265	ب-الدعوة إلى نظرية لغوية حديثة.
266	ج-الثابت والمتحول في النحو العربي.
268	د-جهود صالح بلعيد في تيسير النحو العربي.
270	ثالثاً: نقد وتقييم الجهود اللسانية والتراثية لصالح بلعيد.
271	1-نقد المواضيع التي تطرق إليها الكاتب.
271	أ-البعد عن موضوع اللسانيات.
272	ب-النظرة غير الموضوعية للغة العربية.
272	ج-عدم التصريح بالمنهج المتبع.
273	د-عدم مواكبة تطور النظريات اللسانية.
274	هـ-التبسيطية المفرطة.
274	و-التكرار المخل بانسجام العمل اللساني.
276	الخاتمة.
281	قائم المصادر والمراجع.
296	فهرس المحتويات.

ملخص الدراسة:

تمثل هذه الأطروحة دراسة تقييمية تقييمية للخطاب اللساني المغاربي بالاعتماد على الأسس الإبستمولوجية، التي تصدر عن منطلق فكريّ أساسه محاولة استنطاق هذا الخطاب المعاصر، وما نتج عنه من حركة لسانية عربية في علاقتها باللسانيات العامة، وذلك بالنظر إلى أسس انبثاقها ومعرفة مفاهيمها وتجلياتها المختلفة، إضافة إلى التركيز على مرجعياتها واتجاهاتها، ومكانتها في خضمّ التحولات اللسانية التي يشهدها العالم في عصرنا، ولقد مثلّ الخطاب اللسانيّ المغاربيّ كثير من اللسانيين الذين حملوا راية نشره والتأليف فيه، ومنهم مصطفى غلفان في المغرب الأقصى، وعبد السلام المسدي في تونس وصالح بلعيد في الجزائر، ولقد شكّل هؤلاء صلب التناول في هذه الأطروحة، لمعرفة مدى تقدّم اللسانيات في الأقطار المغاربية والعربية.

Abstract:

This thesis represents an evaluative study of Maghrebi linguistic discourse based on epistemological foundations, originating from an intellectual departure to examine and interrogate the contemporary discourse. It explores the resulting Arabic linguistic movement in relation to general linguistics, delving into its emergence, conceptual understanding, and various manifestations. It also focuses on its references, trends, and significance amidst the linguistic transformations of our era. Maghrebi linguistic discourse has been represented by many linguists, who have contributed to its dissemination and composition, including Mustafa Ghalfan in Morocco, Abdel Salam Al -Masadi in Tunisia and Saleh Belaid in Algeria. The study focused on those figures to evaluate the extent to which linguistics in the Maghreb and Arab countries is in progress.